

# الاتقان في علوم القرآن

تأليف  
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

راجعه  
الأستاذ مصطفى القصاص

قدّم له وعلّق عليه  
الأستاذ محمد شريف بكر

الجزء الثاني

دار إحياء العلوم  
بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة المعارف  
الرياض

دار احياء العلوم  
بيروت

الاشواق  
في علوم القرآن

٢

بكتبة محمد ياسين محلاوى ابى بهى  
وقف الله تعالى على صلواته العلم  
قال الله تعالى (فمن اراد ان يتجدد فليتعلم وانما  
اشق على الذين يتولون ان الله شديد العقاب  
الذات المنورة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### النوع الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسألة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن القرآن كله محكم لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾.

الثاني: كله متشابه لقوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾.

الثالث وهو الصحيح: انقسامه إلى محكم ومتشابه للإية المصدر بها. والجواب عن الآيتين أن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه، وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق والإعجاز.

وقال بعضهم: الآية لا تدل على الحصر في شيئين، إذ ليس فيها شيء من طرفة، وقد قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ والمحكم لا تتوقف معرفته على البيان، والمتشابه لا يرجى بيانه.

وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال. فقيل: المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل. والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والخرافة المقطعة في أوائل السور.

وقيل: المحكم ما وضع معناه، والمتشابه نقيضه. وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً. وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان، قاله الماوردي.

وقيل: المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. وقيل: المحكم ما تأويله تنزيهه، والمتشابه ما لا يدرك إلا بالتأويل. وقيل: المحكم ما لم تكرر ألفاظه ومقابله المتشابه. وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد، والمتشابه القصص والأمثال.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به.

وأخرج الفريابي عن مجاهد قال: المحكمات ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضاً. وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: المحكمات هي أوامره الزاجرة. وأخرج عن إسحاق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية، فقال أبو فاختة: فواتح السور، وقال يحيى: الفرائض والأمر والنهي والحلال.

وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام محكمات ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ والآيتان بعدها. وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ قال: من ها هنا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى ثلاث آيات، ومن ها هنا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى ثلاث آيات بعدها.

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاک قال: المحکمات ما لم ينسخ منه،  
والمتشابهات ما قد نسخ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حیان قال: المتشابهات فيما بلغنا الم والمص  
والمر والر. قال ابن أبي حاتم: وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما أن المحکم  
الذي يعمل به، والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به.

### هل يمكن الاطلاع على المتشابه:

(فصل) اختلف: هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا  
الله؟ على قولين منشؤهما الاختلاف في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ هل هو  
معطوف؟ ويقولون حال أو مبتدأ خبره يقولون، والواو للاستئناف. وعلى الأول  
طائفة يسيرة منهم مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس. فأخرج ابن المنذر من  
طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي  
الْعِلْمِ﴾ قال: إنا ممن يعلم تأويله.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ قال:  
يعلمون تأويله ويقولون آمنوا به.

### يمكن ان يعلم المتشابه:

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاک قال: ﴿الراسخون في العلم﴾ يعلمون  
تأويله، لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حلاله من حرامه  
ولا محكمه من متشابهه.

واختار هذا القول النووي فقال في شرح مسلم: إنه الأصح لأنه يبعد أن  
يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته. وقال ابن الحاجب:  
إنه الظاهر. وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصاً

أهل السنة فذهبوا إلى الثاني، وهو أصح الروايات عن ابن عباس .

### المتشابه لا يعلم :

قال ابن السمعاني: لم يذهب إلى القول الأول إلا شردمة قليلة، واختاره العتيبي قال: وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها في هذه المسألة. قال: ولا غرو فإن لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة.

قلت: ويدل لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿أَمَّنَّا بِهِ﴾ فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة، فأقل درجتها أن تكون خبراً بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه.

ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيف وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب.

وحكى الفراء أن في قراءة أبي بن كعب أيضاً: ويقول الراسخون. وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق الأعمش قال في قراءة ابن مسعود: وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به.

وأخرج الشيخان وغيرهما على عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذرهم.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا



فيقتتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله » الحديث .

أخرج ابن مردويه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال : « إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به » .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نُهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا .

وأخرج البيهقي في الشعب نحوه من حديث أبي هريرة . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس مرفوعاً : أنزل القرآن على أربعة أحرف : حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب . ثم أخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً بنحوه .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كله .

### آمنوا بالمتشابه ولا يعلمونه :

وأخرج أيضاً عن عائشة قالت : كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه . وأخرج أيضاً عن أبي الشعثاء وأبي نهيك قالاً : إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة .

وأخرج الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله بن صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمی رأسه. وفي رواية عنده: فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري: لا يجالسه أحد من المسلمين.

### الرجوع الى السنن في المتشابه أولى:

وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله. فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله، وأن الخوض فيه مذموم، وسيأتي قريباً زيادة على ذلك.

### الفرق بين المحكم والمتشابه:

قال الطيبي: المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه، لأن اللفظ الذي يقبل معنى إما أن يحتل غيره أو لا والثاني النص. والأول إما أن تكون دلالة على ذلك الغير أرجح أو لا، والأول هو الظاهر. والثاني إما أن يكون مساويه أو لا، والأول هو المجلل، والثاني المؤول، فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم، والمشترك بين المجلل والمؤول هو المتشابه، ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع المحكم مقابلاً للمتشابه.

قالوا: فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله ويعضد ذلك أسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم، لأنه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب بأن قال: ﴿منه آيات﴾

مُحْكَمَاتٍ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ ﴿ وَأَرَادَ أَنْ يُضِيفَ إِلَى كُلِّ مِنْهَا مَا شَاءَ فَقَالَ أَوْلَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ اسْتِقَامَةٌ فَيَتَّبِعُونَ الْمُحْكِمَ ، لَكِنَّهُ وَضَعَ مَوْضِعَ ذَلِكَ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لِإِتْيَانِ لَفْظِ الرَّسُوخِ لِأَنَّهُ لَا يُحْصَلُ إِلَّا بَعْدَ التَّثَبُّتِ الْعَامِّ وَالْاجْتِهَادِ الْبَلِيغِ ، فَإِذَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى طَرُقِ الْإِرْشَادِ وَرَسَخَ الْقَدَمُ فِي الْعِلْمِ أَفْصَحَ صَاحِبُهُ النُّطْقَ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ وَكَفَى بِدَعَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ الْخِ شَاهِدًا عَلَى أَنْ ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مُقَابِلَ لِقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْوَقْفَ عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ تَامٌ ، وَإِلَى أَنَّ عِلْمَ بَعْضِ الْمُتَشَابِهَةِ مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ مَنْ حَاوَلَ مَعْرِفَتَهُ هُوَ الَّذِي أُشَارَ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ « فَاحْذَرَهُمْ » .

وقال بعضهم: العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة كالحكيم إذا صنف كتاباً أجزل فيه أحياناً ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، وكالمملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره.

وقيل: لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد فبذلك يستأنس إلى التذلل بعزّ العبودية، والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاماً واعترافاً بقصورها.

وفي ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ تعريضاً للزائغين ومدحاً للراسخين: يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقول، ومن ثم قال الراسخون: ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، فَخَضَعُوا لِبَارِيهِمْ لِاسْتِزَالِ الْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ بَعْدَ أَنْ اسْتَعَاذُوا بِهِ مِنَ الزَّيْغِ النَّفْسَانِيِّ .

### المتشابه نوعان:

وقال الخطابي: المتشابه على ضربين: أحدهما ما إذا ردّ إلى المحكم واعتبر به

عرف معناه. والآخر ما لاسييل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيف فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتنون.

وقال ابن الحصار: قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب لأن إليها تردّ المشابهات، وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامثال أوامره واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات. ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه، ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شكّ واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات المشابهات. ومراد الشارع منها التقدّم إلى فهم المحكمات وتقديم الأمهات، حتى إذا حصل اليقين ورسّل العلم لم تبّل بما أشكل عليك.

ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدّم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع، ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلاً منهم، وما علموا أن الإيمان يآذن الله تعالى اهـ.

### الآيات ثلاثة انواع:

وقال الراغب في مفردات القرآن: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه. فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومن جهتهما.

فالأول ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، إما من جهة الغرابة نحو: ﴿الأب﴾ و﴿يزفون﴾ أو الاشتراك كاليد واليمين.

وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاث أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو ﴿وإن خفتم أن لا تُقسطُوا في اليتامى فانكحُوا ما طابَ لكم﴾ وضرب لبسطه نحو: ﴿ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأنه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع. وضرب لنظم الكلام نحو: ﴿أنزلَ على عَبْدِهِ الكتابَ ولم يجعلْ له عِوَجاً قَبْماً﴾ تقديره: أنزل على عبده الكتاب قبماً ولم يجعل له عوجاً.

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة، فإن تلك الأوصاف لا تتصور لنا إذا كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم تحسه أو ليس من جنسه.

والمتشابه من جهتها خمسة أضرب: الأول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: ﴿اقتلوا المشركين﴾ والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾. والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو: ﴿اتقوا الله حقَّ تَقَاتِهِ﴾ والرابع من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو: ﴿وليس البرَّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهُورها﴾ ﴿إنما النسيءُ زيادةٌ في الكُفْرِ﴾ فإن لم يعرف عاداتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية. الخامس من جهة الشروط التي يصح به الفعل ويفسد كشرط الصلاة والنكاح.

قال: وهذه الجملة إذا تصوّرت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم.

### المتشابه ثلاثة أضرب:

ثم جمع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام القلقة، وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض

الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وإذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقوف على قوله: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ووصله بقوله: ﴿ والراسخون في العلم ﴾ جائزان، وإن لكل واحد منها وجهاً جسماً دل عليه التفصيل المتقدم اهـ.

وقال الإمام فخر الدين: صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل، وهو إما لفظي أو عقلي. فالأول لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية لأنه لا يكون قاطعاً لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة، وانتفاؤها مضمون والموقوف على المضمون مضمون، والظني لا يكتفى به في الأصول. وأما العقلي فإنما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالاً.

وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل، لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل، وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي، والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد الظن، والظن لا يعول عليه في المسائل الأصولية القطعية، فهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف بعد إقامة الدليل القاطع على أن حل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التأويل اهـ. وحسبك بهذا الكلام من الإمام.

### من المتشابه (آيات الصفات):

(فصل) من المتشابه آيات الصفات، ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو: ﴿ الرحمنُ على العرشِ استوى ﴾ ﴿ كلُّ شيءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ ﴿ ويبقى وجهُ رَبِّكَ ﴾ ﴿ ولتصنعَ على عيني ﴾ ﴿ يدُ اللهِ فوقَ أيديهم ﴾ ﴿ والسَّمَوَاتُ مطوياتٌ بيمينه ﴾ وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيها له عن حقيقتها.

أخرج أبو القاسم اللالكائي في السنة من طريق قرّة بن خالد، عن الحسن عن أمه عن أم سلمة في قوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾ قالت: كيف غير معقول والاستواء غير مجهول، والاقرار به من الإيمان والجحود به كفر.

وأخرج أيضاً عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن أنه سئل عن قوله: ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾ فقال: الإيمان غير مجهول، وكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق.

وأخرج أيضاً عن مالك أنه سئل عن الآية فقال: كيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وأخرج البيهقي عنه أنه قال: هو كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع. وأخرج اللالكائي عن محمد بن الحسن قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.

### الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه:

وقال الترمذي في الكلام على حديث الرؤية، المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها، ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم.

وذهبت طائفة من أهل السنة إلى أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا مذهب الخلف. وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه فقال في الرسالة النظامية: الذي نرتضيه ديناً وندين الله به عقداً اتباع سلف الأمة، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها.

وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها، وإياها

اختار أئمة الفقهاء وقاداتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأبأها.

### اختار البعض التأويل:

واختار ابن برهان مذهب التأويل قال: ومنشأ الخلاف بين الفريقين هل يجوز أن يكون في القرآن شيء لم نعلم معناه أولاً بل يعلمه الراسخون في العلم؟ وتوسط ابن دقيق العيد فقال: إذا كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر، أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه.

قال: وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ فنحمله على حق الله وما يجب له.

### التأويل على طريقة أهل السنة:

(ذكر ما وقفت عليه من تأويل الآية المذكورة على طريقة أهل السنة) من ذلك صفة الاستواء، وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة.

أحدها: حكى مقاتل والكلبي عن ابن عباس أن استوى بمعنى استقر، وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل فإن الاستقرار يشعر بالتجسيم.

ثانيها: أن استوى بمعنى استولى، وردّ بوجهين: أحدهما أن الله تعالى مستولى على الكونين والجنة والنار وأهلها، فأبيّ فائدة في تخصيص العرش. والآخر أن الاستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك. وأخرج اللالكائي في السنة عن ابن الأعرابي أنه سئل عن معنى استوى فقال: هو على عرشه، كما أخبر فقييل يا أبا عبد الله معناه استولى، قال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء إلا إذا كان له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل استولى.



ثالثها: أنه بمعنى **صعد**، قاله أبو عبيد. وردّ بأنه تعالى منزّه عن الصعود أيضاً.

رابعها: أن التقدير الرحمن **علا**. أي أرتفع من العلوّ والعرش له استوى، حكاه إسماعيل الضرير في تفسيره. وردّ بوجهين: أحدهما أنه جعل (على) فعلاً وهي حرف هنا باتفاق، فلو كانت فعلاً لكتبت بالألف كقوله ﴿علا في الأرض﴾ والآخر أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء.

خامسها: أن الكلام تمّ عند قوله ﴿الرحمن على العرش﴾ ثم ابتداء بقوله ﴿استوى له ما في السموات وما في الأرض﴾ وردّ بأنه يزيد الآية عن نظمها ومرادها. قلت: ولا يتأني له في قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾.

سادسها: أن معنى استوى: **أقبل** على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دُخان﴾ أي قصد وعمد إلى خلقها، قاله الفراء والأشعري وجماعة أهل المعاني وقال إسماعيل الضرير: إنه الصواب. قلت: يبعده تعديته بعلى، ولو كان كما ذكروه لتعدى بإلى كما في قوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ سابعها: قال ابن اللبان: الاستواء المنسوب إليه تعالى بمعنى **اعتدل**: أي قام بالعدل كقوله تعالى ﴿قائماً بالقسط﴾ والعدل هو استواؤه، ويرجع معناه إلى أنه أعطي بعزته كل شيء خلقه موزوناً بحكمته البالغة.

### تأويل ( النفس ):

ومن ذلك النفس في قوله تعالى ﴿تَعَلَّمْ ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ووجه بأنه خرج على سبيل المشاكلة مراداً به الغيب لأنه مستتر كالنفس. وقوله ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي عقوبته، وقيل إياه.

وقال السهيلي: النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد، وقد

استعمل من لفظه النفاسة والشيء النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى .  
 وقال ابن اللبان: أولها العلماء بتأويلات: منها أن النفس عبر بها عن الذات .  
 قال: وهذا وإن كان سائغاً في اللغة ولكن تعدى الفعل إليها بفي المفيدة للظرفية  
 محال عليه تعالى، وقد أولها بعضهم بالغيب: أي ولا أعلم ما في غيبك وسرك .  
 قال: وهذا حسن لقوله في آخر الآية ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ ومن ذلك الوجه  
 وهو مؤول بالذات .

### تأويل (الوجه):

وقال ابن اللبان في قوله - يريدون وجهه ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ ﴿ إلا  
 ابتغاء وجه ربِّه الأعلى ﴾ المراد إخلاص النية . وقال غيره في قوله ﴿ فتمَّ وجه  
 الله ﴾ أي الجهة التي أمر بالتوجه إليها .

### العين:

ومن ذلك العين وهي مؤولة بالبصر أو الإدراك . بل قال بعضهم: إنها حقيقة  
 في ذلك خلافاً لتوهم بعض الناس أنها مجاز، وإنما المجاز في تسمية العضو بها .  
 وقال ابن اللبان: نسبة العين إليه تعالى اسم لآياته المبصرة التي بها سبحانه  
 ينظر للمؤمنين وبها ينظرون إليه . قال تعالى ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ ﴿ نسب  
 البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقاً لأنها المرادة بالعين المنسوبة إليه . وقال:  
 ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ﴾ قال:  
 ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ أي بآياتنا تنظر بها إلينا وننظر بها  
 إليك . ويؤيده أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علل بهم الصبر لحكم ربه  
 صريحاً في قوله ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ﴾ قال:  
 وقوله في سفينة نوح ﴿ تجري بأعيننا ﴾ أي بآياتنا بدليل ﴿ وقال اركبوا فيها بسم

الله مجراها ومُرساها ﴿ وقال ﴿ ولتصنعَ على عيني ﴾ أي على حكم آيتي التي أوحيتها إلى أمك ﴿ أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم ﴾ الآية اهـ. وقال غيره: المراد في الآيات كلاءته تعالى: أي حفظه.

### اليد:

ومن ذلك اليد في قوله تعالى: ﴿ لما خلقتُ يدي ﴾ ﴿ يدُ الله فوق أيديهم ﴾ ﴿ مما عملتُ أيدينا ﴾ ﴿ وإن الفضل بيدِ الله ﴾ وهي مؤولة بالقدرة. وقال السهيلي: اليد في الأصل كالبصر عبارة عن صفة الموصوف، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدي مقرونة مع الأبصار في قوله ﴿ أولى الأيدي والأبصار ﴾ فلم يمدحهم بالجوارح لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر. قال: ولهذا قال الأشعري: إن اليد صفة ورد بها الشرع، والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص والقدرة أعم كالمحبة مع الإرادة والمشية، فإن في اليد تشريفاً لازماً.

وقال البغوي في قوله ﴿ بيدي ﴾ في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة. وإنما هما صفتان من صفات ذاته.

وقال مجاهد: اليد هنا موصولة وتأکید كقوله ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ قال البغوي: وهذا تأويل غير قوي لأنها لو كانت صلة لكان لإبليس أن يقول: إن كنت خلقتَه فقد خلقتني، وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مزية على إبليس.

وقال ابن اللبان: فإن قلت: فما حقيقة اليدين في خلق آدم؟ قلت: الله أعلم بما أراد ولكن الذي استثمرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله، ولنورها القائم بصفة عدله، ونبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له في خلقه بين فضله وعدله.

قال: وصاحبة الفضل هي اليمين التي ذكرها في قوله ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ سبحانه وتعالى.

### الساق:

ومن ذلك الساق في قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ ومعناه: عن شدة وأمر عظيم، كما يقال قامت الحرب على ساق. أخرج الحاكم في المستدرک من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبر عناق إنه شرّ باق      قد سن لي قومك ضرب الأعناق  
وقامت الحرب بنا على ساق

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة.

### الجنب:

ومن ذلك الجنب في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي في طاعته وحقه، لأن التفريط إنما يقع في ذلك ولا يقع في الجنب المعهود.

### القرب:

ومن ذلك صفة القرب في قوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي بالعلم.

### الفوقية:

ومن ذلك صفة الفوقية في قوله ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ والمراد بها العلو من غير جهة. وقد قال فرعون ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

قَاهِرُونَ ﴿ ولا شك أنه لم يرد العلوّ المكاني .

### المجيء :

ومن ذلك صفة المجيء في قوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ و﴿ يَأْتِي رَبُّكَ ﴾ أي أمره ، لأن الملك إنما يأتي بأمره أو بتسليطه كما قال تعالى ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ فصار كما لو صرح به ، وكذا قوله ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ أي اذهب بربك : أي بتوفيقه وقوته .

### الحب :

ومن ذلك صفة الحب في قوله ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

### الغضب والرضا :

وصفة الغضب في قوله ﴿ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ وصفة الرضا في قوله ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وصفة العجب في قوله ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بضم التاء ، وقوله ﴿ وَإِنْ لَمْ تَعْجَبْ فَعَجَبَ قَوْلُهُمْ ﴾ صفة الرحمة في آيات كثيرة .

### الصفات تفسر بلازمها :

وقد قال العلماء كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها . قال الإمام فخر الدين : جميع الأعراض النفسانية : أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات . مثاله الغضب ، فإن أوله غليان دم القلب ، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه ، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب ، بل غرضه الذي هو إرادة الإضرار .

## تأويل ألفاظ أخرى:

وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس اهـ.

وقال الحسين بن الفضل: العجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه. وسئل الجنيد عن قوله ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله فقال: وإن تعجب فعجب قولهم: أي هو كما تقول.

ومن ذلك لفظة عند في قوله تعالى ﴿عند ربك﴾ ﴿ومن عنده﴾ ومعناها الإشارة إلى التمكين والزلفى والرفعة.

ومن ذلك قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أي بعلمه، وقوله ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم﴾ قال البيهقي: الأصح أن معناه أنه المعبود في السموات وفي الأرض مثل قوله ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ وقال الأشعري: الظرف متعلق بـ يعلم: أي عالم بما في السموات والأرض.

ومن ذلك قوله ﴿سنفرغ لكم آية الثقلان﴾ أي سنقصد لجرائكم.

[تنبيه] قال ابن اللبان: ليس من المتشابه قوله تعالى ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ لأنه فسره بعده بقوله ﴿إنه هو يبدى ويعيد﴾ تنبيهاً على أن بطشه عبارة عن تصرفه في بدئه وإعادته وجميع تصرفاته في مخلوقاته.

## أوائل السور من المتشابه:

(فصل) ومن المتشابه أوائل السور، والمختار فيها أيضاً أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى: أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال: إن لكل كتاب سرّاً، وإن سرّ هذا القرآن فواتح السور.

وخاض في معناها آخرون ، فأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق أبي الضحى  
عن ابن عباس في قوله ﴿الم﴾ قال : أنا الله أعلم . وفي قوله ﴿المص﴾ قال : أنا  
الله أفضل . وفي قوله ﴿الر﴾ قال : أنا الله أرى .

وأخرج من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿الم ، وحم ، ون﴾  
قال اسم مقطوع . وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال ﴿الر ، وحم ،  
ون﴾ حروف الرحمن مفارقة .

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي قال ﴿الر﴾ من الرحمن .  
وأخرج عنه أيضاً ﴿المص﴾ الألف من الله ، والميم من الرحمن ، والصاد من  
الصمد .

وأخرج أيضاً عن الضحاک في قوله ﴿المص﴾ قال أنا الله الصادق . وقيل  
المص : معناه المصوّر . وقيل ﴿الر﴾ معناه أنا الله أعلم وأرفع ، حكاهما الكرماني في  
غرائب

### تدل على اسماء الله :

وأخرج الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في  
﴿كهيص﴾ قال : الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من  
عليم والصاد من صادق . وأخرج الحاكم أيضاً من وجه آخر عن سعيد عن ابن  
عباس في قوله ﴿كهيص﴾ قال : كاف هاد أمين عزيز صادق .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن  
عباس وعن مرة ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله ﴿كهيص﴾ قال : هو  
هجاء مقطوع ، الكاف من الملك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من  
المصور . وأخرج عن محمد بن كعب مثله ، إلا أنه قال : والصاد من الصمد .

## تدل على صفات الله :

وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من طريق آخر عن سعيد عن ابن عباس في قوله ﴿كهيعص﴾ قال: كبير هاد أمين عزيز صادق. وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ﴿كهيعص﴾ قال: الكاف الكافي والهاء الهادي والعين العالم والصاد الصادق.

وأخرج من طريق يوسف بن عطية قال: سئل الكلبي فحدث عن ﴿كهيعص﴾ عن أبي صالح عن أم هانئ عن رسول الله ﷺ قال: كاف هاد أمين عالم صادق. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله ﴿كهيعص﴾ قال: يقول أنا الكبير، أنا الهادي، عليّ، أمين، صادق.

وأخرج عن محمد بن كعب في قوله ﴿طه﴾ قال: الطاء من ذي الطول.

وأخرج عنه أيضاً في قوله ﴿طسم﴾ قال: الطاء من ذي الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن. وأخرج عن سعيد بن جبير في قوله ﴿حم﴾ قال: جاء اشتقت من الرحمن وميم اشتقت من الرحيم. وأخرج عن محمد بن كعب في قوله ﴿جمسق﴾ قال: والحاء والميم من الرحمن والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر.

## أسماء الله مقطعة:

وأخرج عن مجاهد قال: فواتح السور كلها هجاء مقطوع. وأخرج عن سالم ابن عبدالله قال ﴿الم، وحم، ون﴾ ونحوها اسم الله مقطعة. وأخرج عن السدي قال: فواتح السور أسماء من أسماء الربّ جل جلاله فرقت في القرآن.

## اكتفاء بحرف عن سائر الاسم:

وحكى الكرماني في قوله ﴿ق﴾ أنه حرف من اسمه قادر وقاهر. وحكى غيره



في قوله ﴿ن﴾ أنه مفتاح اسمه تعالى نور وناصر. وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد وهو أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية. قال الشاعر:

★ قلت لها قفي فقالت ق ★ أي وقفت. وقال:

بالخير خيرات وإن شراً فا      ولا أريد الشر إلا إن تا  
أراد: وإن شراً فشر، وإلا أن تشاء. وقال:

ناداهم ألا الحموا ألاتا      قالوا جميعا كلهم ألاف  
أراد: ألا تركيبون ألا فاركبوا، وهذا القول اختاره الزجاج. وقال العرب:  
تنطق بالحرف الواحد تدل: بها على الكلمة التي هو منها.

### هي اسم الله الأعظم:

وقيل إنها الاسم الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منا. كذا نقله ابن عطية. وأخرج ابن جرير بسنده صحيح عن ابن مسعود قال: هو اسم الله الأعظم. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي أنه بلغه عن ابن عباس قال ﴿الم﴾ اسم من أسماء الله تعالى الأعظم.

وأخرج ابن جرير وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال ﴿الم، وطسم، وص﴾ وأشباهاها قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله، وهذا يصلح أن يكون قولاً ثالثاً: أي أنها برمتها أسماء الله، ويصلح أن يكون من القول الأول ومن الثاني. وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه في تفسيره من طريق نافع عن أبي نعيم القاري عن فاطمة بنت علي بن أبي طالب أنها سمعت علي بن أبي طالب يقول: يا ﴿كهيعص﴾ اغفر لي. وما أخرجه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله ﴿كهيعص﴾ قال: يا من يجير

ولا يجار عليه .

وأخرج عن أشهب قال: سألت مالك بن أنس أينبغي لأحد أن يتسمى بـ ﴿يس﴾؟ قال: وما أراه ينبغي لقول الله ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ يقول هذا اسم تسميت به .

### هي أسماء للقرآن:

وقيل هي أسماء للقرآن كالفرقان والذكر، أخرجه عبد الرزاق عن قتادة. وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: كل هجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن .

### هي أسماء للسور:

وقيل هي أسماء للسور نقله الماوردي وغيره عن زيد بن أسلم، ونسبه صاحب الكشاف إلى الأكثر. وقيل هي فواتح للسور كما يقولون في أول القصائد بل ولا .

### هي فواتح للسور:

أخرج ثور بن جرير من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ﴿الم وحم والمص وص﴾ ونحوها فواتح يفتح الله بها القرآن . وأخرج أبو الشيخ من طريق ابن جرير قال: قال مجاهد ﴿الم، الر، المر﴾ فواتح افتتح الله بها القرآن . قلت: ألم يكن يقول هذه هي أسماء؟ قال لا . وقيل هذا حساب أبي جاد لتدل على مدة هذه الأمة .

### فهم البعض أنها أرقام:

وأخرج ابن أبي إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله بن رباب قال: مرّ أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله

ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فَأَتَى أَخَاهُ  
 حِي بن أخطب في رجال من اليهود فقال: تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو  
 فيما أنزل عليه ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم. فمشى حِي  
 في أولئك نفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ألم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك  
 ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فقال بلى فقالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين  
 لنبيّ منهم مامدة ملكه وما أجل أمته غيرك، الألف بواحد واللام بثلاثين والميم  
 بأربعين، فهذه إحدى وسبعون سنة، أفندخل في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل  
 أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم قال: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم  
 ﴿المص﴾ قال: هذه أثقل وأطول: الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين  
 والصاد بتسعين، فهذه إحدى وستون ومائة سنة، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم  
 ﴿المر﴾ قال: هذه أثقل وأطول: الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين  
 والراء بمائتين، هذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال: لقد لبس علينا أمرك  
 حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً، ثم قال: قوموا عنه، ثم قال أبو ياسر  
 لأخيه ومن معه: ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون  
 وإحدى وستون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك  
 سبعمائة وأربع وثلاثون سنة، فقالوا: لقد تشابه علينا أمره، فيزعمون أن هؤلاء  
 الآيات نزلت فيهم ﴿هو الذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ  
 الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾. أخرج ابن جرير من هذا الطريق وابن المنذر من  
 وجه آخر عن ابن جريج معضلاً.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله ﴿الم﴾ قال: هذه  
 الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين دارت بها الألسن ليس منها  
 حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه تعالى، وليس منها حرف إلا وهو من آياته  
 وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم، فالألف مفتاح اسم

الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد ، فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله ، فالألف سنة واللام ثلاثون والميم أربعون . قال الخويبي : وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى ﴿الم غَلِيَتِ الرُّومُ﴾ أن البيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، ووقع كما قاله .

### علم الحروف باطل :

وقال السهيلي : لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة . قال ابن حجر : وهذا باطل لا يعتمد عليه ، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه الزجر عن عدّ أبي جاد والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر . وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له في الشريعة .

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقد تحصل لي فيها عشرون قولاً وأزيد . ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم .

### العرب يعرفون مدلولها :

والذي أقوله إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً عنهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ ، بل تلا عليهم ﴿حم ، فصلت ، ص﴾ وغيرها فلم ينكروا ذلك ، بل صرّحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة وحرصهم على زلة ، فدل على أنه كان أمراً معروفاً بينهم لا إنكار فيه . اهـ .

### الحروف هي تنبيهات :

وقيل هي تنبيهات كما في النداء عدّه ابن عطية مغايراً للقول بأنها فواتح ، والظاهر أنه بمعناه . قال أبو عبيدة : ﴿الم﴾ افتتاح كلام .

وقال الخويبي: القول بأنها تنبيهات جيد. لأن القرآن كلام عزيز وفوائده  
عزيزة فينبغي أن يرد على سمع متنبه، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في  
بعض الأوقات كون النبي ﷺ في عالم البشر مشغولاً، فأمر جبريل بأن يقول  
عند نزولهم ﴿الم والر وحم﴾ لسمع النبي صوت جبريل فيقبل عليه ويصغى  
إليه.

قال: وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كإلا وإما لأنها من الألفاظ  
التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى  
فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع سمعه اهـ.

### وردت لتعجب العرب:

وقيل إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه، فأنزل الله هذا النظم  
البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم، وسماهم له سبباً لاستماع  
ما بعده، فترقّ القلوب وتلين الأفئدة، عدّ هذا جماعة قولاً مستقلاً، والظاهر  
خلافه وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال لا قولاً في معناها، إذ ليس فيه  
بيان معنى.

### وردت لتنبية العرب ان القرآن مؤلف من حروف يعرفونها:

وقيل إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي  
هي اب ت ث، فجاء بعضها مقطعاً وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل  
القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريباً لهم ودلالة على  
عجزهم أن يأتوا بمثله بعد أن يعلموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون  
كلامهم منها.

## الفواتح تحوي من كل أجناس الحروف:

وقيل المقصود بها الإعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام. فذكر منها أربعة عشر حرفاً وهي نصف جميع الحروف، وذكر من كل جنس نصفه، فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء، ومن التي فوقها القاف والكاف، ومن الحرفين الشفهيين الميم، ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء، ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف، ومن المطبقة الطاء والصاد، ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والراء والكاف والياء والعين والسين والحاء والنون. ومن القلقلة القاف والطاء.

## وردت الفواتح مفردة ومجموعة:

ثم إنه تعالى ذكر حروفاً مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة، لأن تراكيب الكلام على هذا النمط، ولا زيادة على الخمسة. وقيل هي أمانة جعلها الله لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة. هذا ما وقفت عليه من الأقوال في أوائل السور من حيث الجملة.

## ورد فيها أقوال أخرى:

وفي بعضها أقوال آخر فقيل: إن طه ويس بمعنى يا رجل أو يا محمد أو يا إنسان، وقد تقدم في المعرب، وقيل هما اسمان من أسماء النبي ﷺ. قال الكرماني في غرائبه: ويقويه في ﴿يس﴾ قراءة يس بفتح النون، وقوله آل ياسين. وقيل ﴿طه﴾ أي طأ الأرض أو اطمئن، فيكون فعل أمر والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة من الهمزة.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول ﴿طه﴾

قال: هو كقولك افعل وقيل ﴿طه﴾ أي يا بدر، لأن الطاء بتسعة والهاء بخمسة  
فذلك أربعة عشر إشارة إلى البدر لأنه يتم فيها، ذكره الكرماني في غرائب.

وقال في قوله ﴿يس﴾ أي يا سيد المرسلين.

وفي قوله ﴿ص﴾ معناه: صدق الله. وقيل: أقسم بالصمد الصانع الصادق.  
وقيل معناه: صاد يا محمد علمك بالقرآن: أي عارضه به، فهو أمر من المضادة.  
وأخرج عن الحسين قال: صاد حادث القرآن: يعني انظر فيه. وأخرج عن سفيان  
ابن حسين قال: كان الحسن يقرأها صاد القرآن يقول: عارض القرآن. وقيل  
﴿ص﴾ اسم بحر عليه عرش الرحمن. وقيل اسم بحر يحيي به الموتى. وقيل معناه:  
صاد محمد قلوب العباد، حكاها الكرماني كلها. وحكى في قوله ﴿المص﴾ أن  
معناه: ألم نشرح لك صدرك.

وفي ﴿حم﴾ أنه ﷺ. وقيل معناه ﴿حم﴾ ما هو كائن. وفي ﴿جمعق﴾  
أنه جبل ق.

وقيل ﴿ق﴾ جبل محيط بالأرض. أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد، وقيل أقسم  
بقوة قلب محمد ﷺ. وقيل هي القاف من قوله: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ﴾ دلت على  
بقية الكلمة. وقيل معناها: قف يا محمد على أداء الرسالة والعمل بما أمرت،  
حكاها الكرماني.

وقيل ﴿ن﴾ هو الحوت. أخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: أول ما خلق  
الله القلم والحوت قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال كل شيء كائن إلى يوم  
القيامة. ثم قرأ ﴿ن والقلم﴾ فالنون: الحوت، والقلم: القلم. وقيل هو اللوح  
المحفوظ. أخرجه ابن جرير من مرسل ابن قرة مرفوعاً. وقيل هو الدواة.  
أخرجه عن الحسن وقتادة. وقيل هو المداد، حكاها ابن قتيبة في غريبه. وقيل

هو القلم حكاه الكرماني عن الجاحظ. وقيل هو اسم من أسماء النبي ﷺ ، حكاه ابن عساكر في مبهمات.

وفي المحتسب لابن جني أن ابن عباس قرأ (حم، سق) بلا عين، ويقول: السين كل فرقة تكون، والقاف: كل جماعة تكون. قال ابن جني: وفي هذه القراءة دليل على أن الفواتح فواصل بين السور، ولو كانت أسماء الله لم يجز تحريف شيء منها لأنها لا تكون (ح) أعلاماً، والأعلام تؤدي بأعيانها ولا يحرف شيء منها.

وقال الكرماني في غرائب في قوله تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ الاستفهام هنا يدل على انقطاع الحروف عما بعدها في هذه السورة وغيرها.

### هل للمحكم مزية على المتشابه:

[ خاتمة ] أورد بعضهم سؤالاً وهو أنه هل للمحكم مزية على المتشابه أو لا ؟ فإن قلت بالثاني فهو خلاف الإجماع، أو بالأول فقد نقضتم أصلكم في أن جميع كلامه سبحانه وتعالى سواء وأنه منزل بالحكمة. وأجاب أبو عبد الله النكرباذي بأن المحكم كالمتشابه من وجه ويخالفه من وجه، فيتفقان في أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع، وأنه لا يختار القبيح. ويختلفان في أن المحكم بوضع اللغة لا يحتل إلا الوجه الواحد فمن سمعه أمكنه أن يستدل به في الحال. والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر ليحمله على الوجه المطابق. ولأن المحكم أصل والعام بالأصل أسبق، ولأن الحكم يعلم مفصلاً والمتشابه لا يعلم إلا مجهلاً.

### الحكمة من المتشابه:

وقال بعضهم: إن قيل ما الحكمة في إنزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى؟ قلنا: إن كان مما يمكن علمه فله فوائد.



منها: الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه، فإن استدعاء المهتم لمعرفة ذلك من أعظم القرب.

ومنها: ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات، إذ لو كان القرآن كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره، وإن كان مما لا يمكن علمه فله فوائد.

منها: ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وإن لم يجز العمل بما فيه وإقامة الحجة عليهم، لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم دلّ على أنه منزل من عند الله، وأنه الذي أعجزهم عن الوقوف.

وقال الإمام فخر الدين: من الملحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات. وقال: إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه، فالجبري متمسك بآيات الجبر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾. والقدري يقول: هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم في معرض الذم في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرًا﴾ وفي موضع آخر ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾. ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. ومثبت الجهة متمسك بقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ ﴿من فوقهم الرحمن على العرش استوى﴾. والنافي متمسك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ثم يسمي كل واحد الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة له متشابهة، وإنما آل في ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى يوم القيامة هكذا؟

## فوائد المتشابه:

قال. والجواب أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد، منها: أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب.

ومنها: أنه لو كان القرآن كله محكماً لما كان مطابقاً إلا للمذهب واحد، وكان بصريجه مبطلاً لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به، فإذا كان مشتملاً على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب، وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويتصل إلى الحق.

ومنها: أن القرآن إذا كان مشتملاً على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتاج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، وكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة.

ومنها: أن القرآن مشتمل على دعوة الخواصّ والعوام، وطبائع العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق. فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفي وقع في التعطيل، فكان الأصح أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتحيلوه، ويكون ذلك مخلوطاً على الحق الصريح. فالقسم الأول وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من المتشابهات. والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر من المحكمات.

## النوع الرابع والأربعون: في مقدمه ومؤخره

هو قسمان. الأول: ما أشكل معناه بحسب الظاهر، فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح وهو جدير أن يفرد بالتصنيف، وقد تعرض السلف لذلك في آيات.

### من تقاديم الكلام:

فأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: هذا من تقاديم الكلام يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وأخرج عنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ قال: هذا من تقاديم الكلام، يقول: لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً. وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَبِياً﴾ قال: هذا من التقديم والتأخير، أنزل على عبده الكتاب قياً ولم يجعل له عوجاً.

### المقدم والمؤخر:

وأخرج عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ وَرَافِعُكَ﴾ قال: هذا من المقدم والمؤخر: أي رافعك إليّ ومتوفيك. وأخرج عن عكرمه في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ قال: هذا من التقديم والتأخير. يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال: هذه الآية مقدمة ومؤخرة، وإنما هي أذاعوا به إلا قليلاً منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير.

وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: إنهم إذ رأوا الله فقد رأوه، وإنما قالوا جهرة أرنا الله، قال: هو مقدم ومؤخر. قال ابن جرير: يعني أن سؤلهم كان جهرة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ قال البغوي: هذه أول القصة وإن كان مؤخرًا في التلاوة. وقال الواحدي: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أخر في الكلام لأنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية علم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقر علم هذا في نفوسهم أتبع بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ فسألت موسى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾.

ومنه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ الأصل هواه إلهه، لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذموم، فقدم المفعول الثاني للعناية به. وقوله: ﴿أَخْرَجَ الْمُرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ على تفسير أحوى: بالأخضر وجعله نعتاً للمرعى: أي أخرجه أحوى فجعله غثاء، وأخر رعاية للفاصلة. وقوله: ﴿غَرَابِيبُ سُودٍ﴾ والأصل سود غرابيب، لأن الغريب: الشديد السواد. وقوله: ﴿فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاَهَا﴾ أي فبشرناها فضحكت. وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي لهم بها، وعلى هذا فالهم منفي عنه الثاني ما ليس كذلك. وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه [المقدمة في سرّ الألفاظ المقدمة] قال فيه: الحكمة الشائعة الذائعة في ذلك الاهتمام كما قال سيبويه في كتابه: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم بيانه أعى. قال: هذه الحكمة إجمالية.

## أسباب التقديم:

وأما تفاصيل أسباب التقديم وأساراه فقد ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع.

الأول: التبرك كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية.

الثاني: التعظيم كقوله: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾.

## التقديم للتشريف:

الثالث: التشريف كتقديم الذكر على الأنثى نحو: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية، والحرّ في قوله: ﴿وَالْحُرَّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ والحيّ في قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الآية: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ والخيّل في قوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ والسمع في قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ وقوله: ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾.

## تفضيل السمع على البصر:

حكى ابن عطية عن النقاش أنه استدل بها على تفضيل السمع على البصر، ولذا وقع في وصفه تعالى سميع بصير بتقديم السمع.

## تقديم النبي:

ومن ذلك تقديمه ﷺ على نوح ومن معه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ

ميثاقهم ومِنكَ ومن نوح ﴿ الآية، وتقديم الرسول في قوله: ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ .

### من الذين قدموا:

وتقديم المهاجرين في قوله تعالى: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ وتقديم الإنس على الجن حيث ذكرا في القرآن، وتقديم النبيين ثم الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين في آية النساء .

وتقديم إسماعيل على إسحاق لأنه أشرف بكون النبي ﷺ من ولده وأسن .

وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام، وقدم هارون عليه في سورة طه رعاية للفاصلة .

وتقديم جبريل على ميكائيل في آية البقرة لأنه أفضل، وتقديم العاقل على غيره في قوله: ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ ﴾ .

وأما تقديم الأنعام في قوله: ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾ فلأنه تقدم ذكر الزرع فناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية عبس فإنه تقدم فيها: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ فناسب تقديم لكم، وتقديم المؤمنين على الكفار في كل موضع، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال، والسماء على الأرض، والشمس على القمر حيث وقع، إلا في قوله: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ فقبل لمراعاة الفاصلة، وقيل لأن انتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر. وقال ابن الأنباري: يقال إن القمر وجهه يضيء لأهل السموات وظهره لأهل الأرض، ولهذا قال تعالى فيهن لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

ومنه تقديم الغيب على الشهادة في قوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ لأن علمه أشرف، وأما: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ فأخّر فيه رعاية للفاصلة.

### التقديم للمناسبة:

الرابع: المناسبة، وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جِبَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تُسْرِحُونَ﴾ فإن الجبال بالجبال وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة إلا أنها حالة إراحتها وهو مجيئها من الرعي آخر النهار يكون الجبال بها أفخر، إذ هي فيه بطن، وحالة سراحها للرعي أول النهار يكون الجبال بها دون الأول إذ هي فيه خاص.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ قدّم نفي الإسراف لأن الصرف في الإنفاق. وقوله: ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ لأن الصواعق تقع مع أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ قدّمها على الابن لما كان السياق في ذكرها في قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ولذلك قدّم الابن في قوله: ﴿وجعلنا ابن مريمَ وأمه آيةً﴾ وحسنه تقدم موسى في الآية قبله. ومنه قوله: ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قدّم الحكم وإن كان العلم سابقاً عليه لأن السياق فيه لقوله في أول الآية: ﴿إذ يحكمان في الحرث﴾.

وأما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر كقوله: ﴿الْأُولَى وَالْآخِرَةَ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ﴿بِمَا قَدَّمْ وَأَخَّرَ﴾ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ وأما قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ فلمراعاة الفاصلة، وكذا قوله: ﴿وجعناكم والأولين﴾.

## التقديم للحث:

الخامس: الحثّ عليه والحضّ على القيام به حذراً من التهاون به، كتقديم الوصية على الدين في قوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ مع أن الدين مقدم عليها شرعاً.

## التقديم للسبق الزماني:

السادس: السابق، وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور و آدم على نوح ونوح على إبراهيم وإبراهيم على موسى وهو على عيسى وداود على سليمان والملائكة على البشر في قوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ وعاد على ثمود والأزواج على الذرية في قوله: ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ﴾ والسنة على النوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أو باعتبار الإنزال كقوله: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴿أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ الآية: ﴿إِنِ الصَّافِيَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ ولهذا قال ﷺ: «نبدأ بما بدأ الله به» أو بالذات نحو: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وكذا جميع الأعداد كل مرتبة هي مقدمة على ما فوقها بالذات. وأما قوله: ﴿إِن تَقَوْمُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ فللحث على الجماعة والاجتماع على الخير.

## التقديم للسببية:

السابع: السببية كتقديم العزيز على الحكيم لأنه عزّ فحكم، والعليم عليه لأن الأحكام والإتقان ناشىء عن العلم. وأما تقدم الحكيم عليه في سورة الأنعام



فلأنه مقام تشريع الأحكام، ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة لأنها سبب حصول الإعانة، وكذا قوله يجب التوابين ويجب المتطهرين، لأن التوبة سبب الطهارة: ﴿لِكُلِّ أَفَاكٍ أُنِيمٌ﴾ لأن الإفك سبب الإثم: ﴿يَعُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ لأن البصر داعية إلى الفرج.

### التقديم للكثرة:

الثامن: الكثرة كقوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ لأن الكفار أكثر ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ الآية، قدّم الظالم لكثيرته، ثم المقتصد ثم السابق، ولهذا قدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر، والزانية على الزاني لأن الزنا فيهن أكثر، ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً، ولهذا ورد « إن رحمتي غلبت غضبي ».

وقوله: ﴿إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال ابن الحاجب في أماليه: إنما قدّم الأزواج لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقوع ذلك في الأزواج أكثر منه في الأولاد، وكان أقعد في المعنى المراد فقدم، ولذلك قدّمت الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها فكان تقديمها أولى.

### التقديم للترقي من أدنى إلى أعلى:

التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ أَخْرَجْنَا آلَ فِرْعَوْنَ مِنْهَا وَبَدَّلْنَا خَيْرًا مِنْهَا قَوْمًا لَكَارِهُينَ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ أَخْرَجْنَا آلَ فِرْعَوْنَ مِنْهَا وَبَدَّلْنَا خَيْرًا مِنْهَا قَوْمًا لَكَارِهُينَ﴾ اليد يببشون بها ﴿الآية﴾ بدأ بالأدنى لغرض الترقي لأن اليد أشرف من الرجل والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر، ومن هذا النوع تأخير الأبلغ.

وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم والرؤوف على الرحيم والرسول على



## النوع الخامس والأربعون: في عامته وخاصة

### ألفاظ العموم والاستغراق:

العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر.

وصيغة كل مبتدأة نحو ﴿كُلٌّ مَنَ عَلَيْهَا فَانَ﴾ أو تابعة نحو ﴿فسجد الملائكة كُلَّهُمُ أَجْمَعُونَ﴾.

والذي والتي وتثنيتهما وجمعها نحو ﴿والذي قال لِوَالِدِيهِ أَفٍ لِكَمَا﴾ فإن المراد به كل من صدر منه هذا القول بدليل قوله بعد ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ﴿والذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ ﴿وَاللَّائِي يَرْتَمُونَ مِنَ الْحَيْضِ﴾ الآية ﴿وَاللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا﴾ الآية ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَدْوَهُمَا﴾

وأي وما ومن شرطاً واستفهاماً وموصولاً نحو ﴿آيَاتٍ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾

والجمع المضاف نحو ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ والمعرف بأل نحو ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ﴿واقتلوا المشركين﴾ واسم الجنس المضاف نحو ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أي كل أمر الله.

والمعرف بأل نحو ﴿وأحل الله البيع﴾ أي كل بيع ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ أي كل إنسان بدليل ﴿إلا الذين آمنوا﴾ .

أو النكرة في سياق النفي والنهي نحو ﴿فلا تقل لها أف﴾ ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ ﴿فلا رقت ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ .

وفي سياق الشرط نحو ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ وفي سياق الامتنان نحو ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾ .

(فصل) العام على ثلاثة أقسام:

العام الباقي على عمومه:

الأول: الباقي على عمومه . قال القاضي جلال الدين البلقيني : ومثاله عزيز ، إذ ما من عام إلا ويتخيل فيه التخصيص ، فقوله ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ قد يخص منه غير المكلف ﴿وحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ﴾ خص منه حالة الاضطرار ومنه السمك والجراد ﴿وحرم الربا﴾ خص منه العرايا .

وذكر الزركشي في البرهان أنه كثير في القرآن وأورد منه ﴿والله بكل شيء عليم﴾ ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ ﴿الله الذي خَلَقَكُمْ ثم رَزَقَكُمْ ثم يُمِيتُكُمْ ثم يحييكم﴾ ﴿الذي خلقكم من ترابٍ ثم من نطفة﴾ ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ .

قلت : هذه الآيات كلها في غير الأحكام الفرعية ، فالظاهر أن مراد البلقيني أنه عزيز في الأحكام الفرعية ، وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها وهي قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم﴾ الآية : فإنه لا خصوص فيها .

الثاني: العام المراد به الخصوص .

## العام المخصوص:

والثالث: العام المخصوص، وللناس بينها فروق: أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد، لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم، بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها.

والثاني أريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم.

ومنها: أن الأول مجاز قطعاً لنقل اللفظ عن موضعه الأصلي بخلاف الثاني فإن فيه مذاهب: أصحابها أنه حقيقة، وعليه أكثر الشافعية وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء.

وقال الشيخ أبو حامد: إنه مذهب الشافعي وأصحابه، وصححه السبكي لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص، وذلك التناول حقيقي اتفاقاً، فليكن هذا التناول حقيقياً أيضاً.

ومنها أن قرينة الأول عقلية والثاني لفظية. ومنها: أن قرينة الأول لا تنفك عنه وقرينة الثاني قد تنفك عنه. ومنها: أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقاً وفي الثاني خلاف.

## عام مراد به الخصوص:

ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ والقائل واحد: نعم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة. كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاته أبي سفيان. قال الفارسي: ومما يقوي أن المراد به واحد قوله ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ فوقت الإشارة بقوله ذلكم إلى واحد

بعينه، ولو كان المعنى به جمعاً لقال: إنما أولئك الشيطان، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ.

ومنها: قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسِدُونَ النَّاسَ﴾ أي رسول الله ﷺ لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة.

ومنها: قوله ﴿ثُمَّ أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ أخرج ابن جرير من طريق الضحاک عن ابن عباس في قوله ﴿من حيث أفاض الناس﴾ قال: إبراهيم: ومن الغريب قراءة سعيد بن جبیر ﴿من حيث أفاض الناس﴾ قال في المحتسب: يعني آدم لقوله ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْماً﴾

ومنها قوله تعالى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي جبريل كما في قراءة ابن مسعود.

وأما المخصوص فأمثلته في القرآن كثيرة جداً وهي أكثر من المنسوخ، إذ ما من عام إلا وقد خص، ثم المخصص له إما متصل وإما منفصل.

### المخصص للعام متصل منفصل:

فالم متصل خمسة وقعت في القرآن: أحدها الاستثناء نحو ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا﴾ والشعراء يتبعهم الغاؤون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ إلى قوله ﴿إلا من تاب﴾ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم﴾ كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

الثاني: الوصف: نحو ﴿وربائبكم اللاتي في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُم اللاتي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾

الثالث: الشرط نحو ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾

الرابع: الغاية نحو ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ إلى قوله ﴿حتى يُعطوا الجزية﴾ ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله﴾ ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض﴾ الآية.

الخامس: بدل البعض من الكل نحو ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾.

والمنفصل آية أخرى في محل آخر أو حديث أو إجماع أو قياس.

### أمثلة مما خص في القرآن:

فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ خص بقوله ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة﴾ وبقوله ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ ﴿وحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ خص من الميتة السمك بقوله ﴿أحلَّ لكم صيدُ البحرِ وطعامه متاعاً لكم وللسيارة﴾

ومن الدم الجامد بقوله ﴿أو دمًا مسفوحاً﴾

وقوله ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ الآية، خص بقوله تعالى ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾

وقوله ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ خص بقوله ﴿فعلين نصف ما على المحصنات من العذاب﴾.

وقوله ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ خص بقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الآية.

### اتهام الذي خص بالحديث:

ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة.

﴿وحرّم الربا﴾ خص منه العرايا بالسنة.

وآيات المواريث خص منها القائل والمخالف في الدين بالسنة.

وآيات تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة.

وآية ثلاثة قروء خص منها الأمة بالسنة.

وقوله ﴿مَاءَ طَهُورًا﴾ خص منه المتغير بالسنة.

وقوله ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾ خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة.

### العام الذي خص بالاجماع والقياس:

ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالاجماع، ذكره مكّي.

ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا ﴿فاجلدوا كلّ واحدٍ منها مائة جلدة﴾ خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله ﴿فعليهن نصفُ ما على المحصنات من العذاب﴾ المخصص لعموم الآية. ذكره مكّي أيضاً.



## القرآن خصص عموم السنة:

(فصل) من خاص القرآن ما كان مخصصاً لعموم السنة وهو عزيز. ومن أمثلته قوله تعالى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ خص عموم قوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وقوله ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ خص عموم نهي ﷺ عن الصلاة في الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض.

وقوله ﴿وَمَنْ أَصَوَّفَهَا وَأُوبَارَهَا﴾ الآية خص عموم قوله ﷺ «ما أبين من حيّ فهو ميت»

وقوله ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلِّفَةَ لِقُلُوبِهِمْ﴾ خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام «لا تحل الصدقة لغنيّ حولا لذي مرة سوى».

وقوله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

[فروع مشورة تتعلق بالعموم والخصوص].

### إذا سيق العام للمدح:

الأول: إذا سيق العام للمدح أو الذم فهل هو باق على عمومته. فيه مذاهب.

أحدها: نعم إذ لا صارف عنه ولا تنافي بين العموم وبين المدح أو الذم.

والثاني: لا لأنه لم يسق للتعميم بل للمدح أو للذم.

والثالث وهو الأصح: التفصيل فيعم إن لم يعارضه عام آخر لم يسق لذلك،

ولا يعم إن عارضه ذلك جمعاً بينها.

مثاله ولا معارض قوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾

ومع المعارض قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فإنه سيق للمدح، وظاهره يعم الأختين بملك اليمين جمعاً، وعارضه في ذلك ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ﴾ فإنه شامل لجمعها بملك اليمين ولم يسق للمدح، فحمل الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له.

ومثاله في الذم ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ الآية. فإن سيق للذم وظاهره يعم الحليّ المباح. وعارضه في ذلك حديث جابر «ليس في الحليّ زكاة» وحمل الأول على غير ذلك.

### خطاب النبي لا يعم:

والثاني: اختلف في الخطاب الخاص به ﷺ نحو: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، هل هو يشمل الأمة؟ فقليل نعم، لأن أمر القدوة أمر لاتباعه معه عرفاً، والأصح في الأصول المنع لاختصاص الصيغة.

### خطاب الناس:

الثالث: اختلف في الخطاب بيا أيها الناس، هل يشمل الرسول ﷺ؟ على مذاهب أصحابها وعليه الأكثرون نعم لعموم الصيغة له.

أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري قال: إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا فالنبي ﷺ منهم. والثاني: لا لأنه ورد في لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص.

والثالث: إن اقترن بقل لم يشمله لظهوره في التبليغ، وذلك قرينة عدم شموله وإلا فيشملة.

### (أيها الناس) تشمل الكافر:

الرابع: الأصح في الأصول أن الخطاب بيا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ. وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع، ولا العبد لصرف منافعه إلى سيده شرعاً.

### (من) تشمل الأنثى:

الخامس: اختلف في «من» هل يتناول الأنثى؟ فالأصح نعم خلافاً للحنفية لنا قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ فالتفسير بهما دال على تناول من لهما، وقوله ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكِنَّ لِلَّهِ﴾ واختلف في جمع المذكر السالم هل يتناولها؟ فالأصح لا، وإنما يدخلن بقريئة. أما المكسر فلا خلاف في دخولهن فيه.

السادس: اختلف في الخطاب بيا أهل الكتاب. هل يشمل المؤمنين؟ فالأصح لا، لأن اللفظ قاصر على من ذكر. وقيل إن شاركوهم في المعنى شملهم وإلا فلا. واختلف في الخطاب بيا أيها الذين آمنوا، هل يشمل أهل الكتاب؟ فقيل لا بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع، وقيل نعم، واختاره ابن السمعاني قال: وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشریف لا تخصيص.

## النوع السادس والأربعون: في مجله ومبينه

المجمل ما لم تتضح دلالته وهو واقع في القرآن خلافاً لداود الظاهري. وفي جواز بقائه مجملاً أقوال، أصحابها: لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره.

### أسباب الاجمال:

وللإجمال أسباب: منها الاشتراك نحو ﴿والليل إذا عسعس﴾ فإنه موضوع لأقبل وأدبر.

﴿ثلاثة قروء﴾ فإن القراء موضوع للحيض والطهر. ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ يحمل الزوج والوليّ فإن كلاّ منها بيده عقدة النكاح.

ومنها الحذف نحو ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ يحمل في وعن.

ومنها: اختلاف مرجع الضمير نحو ﴿إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يحتمل عود ضمير الفاعل في يرفعه إلى ما عاد عليه ضمير إليه وهو الله، ويحتمل عوده إلى العمل، والمعنى: أن العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم الطيب، ويحتمل عوده إلى الكلم: أي أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل الا مع الإيمان.

ومنها: احتمال العطف والاستئناف نحو ﴿إلا الله والراسخون في العلم﴾

﴿يقولون﴾.

ومنها غرابة اللفظ نحو ﴿ فلا تعضلوهم ﴾

ومنها عدم كثرة الاستعمال نحو ﴿ يلقون السمع ﴾ أي يسمعون ﴿ ثاني عطفه ﴾ أي متكبر ﴿ فأصبح يقلب كفيه ﴾ أي نادماً.

ومنها التقديم والتأخير نحو ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ أي ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً. ﴿ يسألونك كأنك حفي عنها ﴾ أي يسألونك عنها كأنك حفي.

ومنها: قلب المنقول نحو: ﴿ طور سينين ﴾ أي سينا ﴿ على آل ياسين ﴾ أي على الياس.

ومنها: التكريم القاطع لوصل الكلام في الظاهر نحو: ﴿ للذين استضعفوا لمن آمن منهم ﴾.

### التبيين وأنواعه:

(فصل) قد يقع التبيين متصلاً نحو ﴿ من الفجر ﴾ بعد قوله ﴿ الخيط الابيضُ من الخيط الأسود ﴾.

ومنفصلاً في آية أخرى نحو ﴿ فإن طلقها فلا تحلُّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ بعد قوله ﴿ الطلاق مرتان ﴾ فإنها بينت أن المراد به الطلاق الذي تملك الرجعة بعده، ولولاها لكان لكل منحصرأ في الطلقتين. وقد أخرج أحمد وأبو داود في ناسخه وسعيد بن منصور وغيرهم عن أبي رزين الأسدي قال « قال رجل: يا رسول الله أرأيت قول الله ﴿ الطلاق مرتان ﴾ فأين الثالثة؟ قال أو تسريح بإحسان »

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال « قال رجل: يا رسول الله، ذكر الله

الطلاق مرتين فأين الثالثة؟ قال «إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» .

وقوله ﴿وجوه يومئذٍ ناضرةً إلى ربها ناظرة﴾ دالٌّ على جواز الرؤية، ويفسره أن المراد بقوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ قال: لا تحيط به. وأخرج عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية: أليس قد قال ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فقال: ألسنت ترى السماء أفكلها ترى؟

وقوله ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ فسره قوله ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ الآية.

وقوله ﴿مالك يوم الدين﴾ فسره قوله ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ الآية

وقوله ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ فسره قوله ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الآية.

وقوله ﴿وإذا بشر أحدُهُم بما ضربَ للرحمن مثلاً﴾ فسره قوله في آية النحل ﴿بالأنثى﴾ .

وقوله ﴿وأوفوا بعهدي أوفٍ بعهدكم﴾ قال العلماء: بيان هذا العهد قوله ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي﴾ الخ فهذا عهده وعهدهم ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ الخ

وقوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بينه قوله ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ الآية.

وقد يقع التبيين بالسنة مثل ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكاة في أنواعها.

## آيات مختلف على اجمالها:

[ تنبيه ] اختلف في آيات هل هي من قبيل المجمل أو لا ؟ منها : آية السرقة ، قيل إنها مجملة في اليد لأنها تطلق على العضو إلى الكوع وإلى المرفق وإلى المنكب . وفي القطع لأنه يطلق على الإبانة ، وعلى الجرح ولا ظهور لواحد من ذلك ، وإبانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك .

وقيل لا إجمال فيها لأن القطع ظاهر في الإبانة .

## آية المسح:

ومنها ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ قيل إنها مجملة لتردها بين مسح الكل والبعض ومسح الشارع الناصية مبين لذلك ، وقيل لا وإنما هي لمطلق المسح الصادق بأقل ما ينطلق عليه الاسم وبغيره .

## حرمة الامهات:

ومنها ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ قيل مجملة لأن إسناد التحريم إلى العين لا يصح لأنه إنما يتعلق بالفعل فلا بد من تقديره ، وهو محتمل لأمر لا حاجة إلى جميعها ولا مرجح لبعضها . وقيل لا لوجود المرجح وهو العرف ، فإنه يقضي بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه ، ويجري ذلك في كل ما علق فيه التحريم والتحليل بالأعيان .

## آية البيع:

ومنها ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ قيل إنها مجملة لأن الربا الزيادة ، وما من بيع إلا وفيه زيادة . فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم .

وقيل لأن البيع منقول شرعاً فحمل على عمومته ما لم يقم دليل التخصيص .

وقال الماوردي: للشافعي في هذه الآية أربعة أقوال. أحدها: أنها عامة، فإن لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع ويقتضي إباحتها جميعاً إلا ما خصه الدليل، وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز، فدل على أن الآية تناولت إباحتها جميعاً البيوع إلا ما خص منها، فبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخصوص.

قال: فعلى هذا في العموم قولان. أحدهما: إنه عموم أريد به العموم وإن دخله التخصيص والثاني: أنه عموم أريد به الخصوص. قال: والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدم على اللفظ وفي الأول متأخر عنه مقترن به. قال: وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل المختلف فيها ما لم يقم دليل تخصيص.

والقول الثاني: أنها مجملة لا يعقل منها صحة بيع من فساده إلا بيان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم قال: هل هي مجملة بنفسها أم يعارض ما نهى عنه من البيوع؟ وجهان. وهل الإجمال في المعنى المراد دون لفظها لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه معقول، لكن لما قام بإزائه من السنة ما يعارضه تدافع معموماً ولم يتعين المراد إلا بيان السنة فصار مجملاً لذلك دون اللفظ، وفي اللفظ أيضاً لأنه لما لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة كان مشكلاً أيضاً وجهان. قال: وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولا فساده وإن دلث على صحة البيع من أصله. قال: وهذا هو الفرق بين العام والمجمل حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل. والقول الثالث: أنها عامة مجملة معاً، قال: واختلف في وجه ذلك على أوجه. أحدها: أن العموم في اللفظ والإجمال في المعنى، فيكون اللفظ عاماً مخصوصاً والمعنى مجملاً لحقه التفسير. والثاني: أن العموم في ﴿وأحلّ الله البيع﴾ والإجمال في ﴿وحرّم الربا﴾ والثالث: أنه كان مجملاً، فلما بينه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار عاماً فيكون داخلاً في المجمل قبل البيان وفي العموم بعد البيان، فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في



البيوع المختلف فيها ، والقول الرابع : أنها تناولت بيعاً معهوداً ونزلت بعد أن أحل النبي ﷺ بيوعاً وحرّم بيوعاً ، فاللام للعهد ، فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظواهرها اهـ .

### آيات الفرائض :

ومنها : الآيات التي فيها الأسماء الشرعية نحو ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ ﴿ والله على الناس حج البيت ﴾ قيل إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء والصيام لكل إمساك والحج لكل قصد ، والمراد بها لا تدل عليه اللغة وافتقر إلى البيان . وقيل لا بل يحمل على كل ما ذكر إلا ما خص بدليل .

### المجمل والمحتمل :

[ تنبيه ] قال ابن الحصار : من الناس من جعل المجمل والمحتمل بإزاء شيء واحد . قال : والصواب أن المجمل اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه ، والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعداً سواء كان حقيقة في كلها أو بعضها . قال : والفرق بينهما أن المحتمل يدل على أمور معروفة واللفظ مشترك متردد بينهما ، والمبهم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل .

## النوع السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه

أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وابن الأنباري ومكي وابن العربي وآخرون. قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ. وقد قال عليّ لقاض: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت.

### معاني النسخ:

وفي هذا النوع مسائل. الأولى: يرد الناسخ بمعنى الإزالة ومنه قوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ وبمعنى التبديل ومنه ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد، وبمعنى النقل من موضع إلى موضع. ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه. قال: وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن، وأنكر على النحاس إجازته ذلك محتجاً بأن الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ، وأنه إنما يأتي بلفظ آخر. وقال السعيدي. يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقال ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّيَّ حَكِيمٌ﴾ ومعلوم أن ما نزل من الوحي نحو - ما جميعه في أم الكتاب - وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

## غاية النسخ التيسير:

الثانية: النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير، وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود، ظناً منهم أنه بقاء كالكذي يرى الرأي ثم يبدو له وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه، والفقر بعد الغنى وعكسه، وذلك لا يكون بقاء فكذا الأمر والنهي.

## القرآن ينسخ القرآن:

واختلف العلماء فقيل: لا ينسخ القرآن إلا بقرآن كقوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ قالوا: ولا يكون مثل القرآن وخيراً منه إلا قرآن. وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضاً من عند الله، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وجعل منه آية الوصية الآتية.

## السنة تنسخ أحياناً:

والثالث: إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحي نسخت وإن كانت باجتهاد فلا، حكاه ابن حبيب النيسابوري في تفسيره. وقال الشافعي: حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعها سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة. وقد بسطت فروع هذه المسألة في شرح منظومة جمع الجوامع في الأصول.

## النسخ يكون بالأمر:

الثالثة: لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر، أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد، وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيراً من آيات الإخبار والوعد والوعيد.

## النسخ أقسام:

الرابعة: النسخ أقسام. أحدها: نسخ المأمور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى. الثاني: نسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية، أو كان أمر به أمراً إجمالياً كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان، وإنما يسمى هذا نسخاً تجزئاً. الثالث: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف والقلّة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخاً بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى: ﴿أَوْ نَنسَأْهَا﴾ فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف، وليس كذلك بل هي من المنسأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله تقتضي ذلك الحكم، بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله. وقال مكي: ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعر بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ محكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل، والمؤجل بأجل لا نسخ فيه.

## سور ليس فيها نسخ:

الخامسة: قال بعضهم: سور القرآن باعتبار النسخ والمنسوخ أقسام: قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلاثة وأربعون: سورة الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والهاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث بعدها، والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن إلا التين والعصر والكافرين.

### سور فيها نسخ:

وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون: البقرة وثلاث بعدها، والحج والنور وتالياها، والأحزاب وسبأ والمؤمن والشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكوثر والعصر.

### سور فيها ناسخ:

وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة: الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى.

### سور فيها منسوخ:

وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون الباقية. وفيه نظر يعرف مما سيأتي.

### أقسام الناسخ:

السادسة: قال مكي: الناسخ أقسام: فرض نسخ فرضاً ولا يجوز العمل بالأول كنسخ الحبس للزواني بالحدّ. وفرض نسخ فرضاً ويجوز العمل بالأول كآية المصاهرة. وفرض نسخ ندباً كالقتال كان ندباً ثم صار فرضاً. وندب نسخ فرضاً كقيام الليل نسخ بالقراءة في قوله: ﴿فأقرءوا ما تيسر من القرآن﴾.

### النسخ ثلاثة أنواع:

السابعة: النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب. أحدها: ما نسخ تلاوته وحكمه معاً. قالت عائشة: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات. فتوفى رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن. رواه الشيخان، وقد تكلموا في قولها: وهن مما يقرأ من القرآن، فإن ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك. وأجيب بأن المراد قارب الوفاة، أو أن التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلغ

ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .  
وقال أبو موسى الأشعري: نزلت ثم رفعت . وقال مكي : هذا المثال فيه المنسوخ  
فير متلوّ، والناسخ أيضاً غير متلوّ، ولا أعلم له نظيراً اهـ .

الضرب الثاني: ما نسخ حكمه دون تلاوته، وهذا الضرب هو الذي فيه  
الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جداً وإن أكثر الناس من تعدد الآيات  
فيه: فإن المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بيّن ذلك وأتقنه .

### ما ذكر أنه نسخ وليس كذلك:

والذي أقوله: إن الذي أورده المكثرون أقسام: قسم ليس من النسخ في شيء  
ولا من التخصيص ولا له بها علاقة بوجه من الوجوه، وذلك مثل قوله تعالى:  
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ . ونحو ذلك، قالوا: إنه  
منسوخ بآية الزكاة، وليس كذلك بل هو باق، أما الأولى فإنها خبر في معرض  
الثناء عليهم بالإنفاق، وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإنفاق على الأهل  
وبالإنفاق في الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة، وليس في الآية ما يدل على أنها  
نفقة واجبة غير الزكاة، والآية الثانية يصلح حملها على الزكاة وقد فسرت  
بذلك .

وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ قيل إنها مما نسخ بآية  
السيف، وليس كذلك لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبداً، لا يقبل هذا الكلام  
النسخ وإن كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة .

وقوله في البقرة: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ عدّه بعضهم من المنسوخ بآية  
السيف، وقد غلطه ابن الحصار بأن الآية حكاية عما أخذه على بني إسرائيل من  
الميثاق فهو خبر فلا نسخ فيه وقس على ذلك .

وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ. وقد اعتنى ابن العربي بتحريره فأجاد كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ وغير ذلك من الآيات التي خصت باستثناء أو غاية. وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ قيل إنه نسخ بقوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وإنما هو مخصوص به.

وقسم رفع ما كان عليه الأمر في الجاهلية أو في شرائع من قبلنا أو في أول الإسلام ولم ينزل في القرآن، كإبطال نكاح نساء الآباء، ومشروعية القصاص والدية، وحصر الطلاق في الثلاث، وهذا إدخاله في قسم الناسخ قريب، ولكن عدم إدخاله أقرب، وهو الذي رجحه مكِّي وغيره، ووجهه بأن ذلك لو عدّ في الناسخ لعدّ جميع القرآن منه إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب. قالوا: وإنما حق الناسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية اهـ.

نعم النوع الآخر منه وهو رافع ما كان في أول الإسلام إدخاله أوجه من القسمين قبله، إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات التي أوردتها المكثرون الجَم الغفير مع آيات الصفح والعفو إن قلنا إن آية السيف لم تنسخها، وبقي مما يصلح لذلك عدد يسير، وقد أفردته بأدلته في تأليف لطيف، وها أنا أورده هنا محرراً.

### نماذج من آيات النسخ:

فمن البقرة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية منسوخة، قيل بآية المواريث، وقيل بمجديث: «ألا لا وصية لوارث» وقيل بالإجماع حكاه ابن العربي.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل منسوخة بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقيل محكمة ولا مقدرة.

قوله ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ﴾ ناسخة لقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ لأن مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم، ذكره ابن العربي.

وحكى قولاً آخر أنه نسخ لما كان بالسنة قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية منسوخة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ الآية، أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾ منسوخة بآية: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

والوصية منسوخة بالميراث، والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث: «ولا سكنى» قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ منسوخة بقوله بعده: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

ومن آل عمران قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قيل إنه منسوخ بقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقيل لا بل هو محكم، وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية.

ومن النساء قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ منسوخة بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية، قيل منسوخة، وقيل لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّاقِي يَأْتِنَ الْفَاحِشَةَ﴾ الآية منسوخة بآية النور/ من المائدة.



قوله تعالى: ﴿ولا الشهر الحرام﴾ منسوخة بإباحة القتال فيه .

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخة بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ .

ومن الأنفال قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ الآية منسوخة بالآية بعدها .

ومن براءة قوله تعالى: ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ منسوخة بآية العذر وهو قوله: ﴿ليس على الأعمى﴾ الآية .

وقوله: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الآيتين، وبقوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ .

ومن النور قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ الآية منسوخة بقوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ قوله تعالى: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ الآية، قيل منسوخة، وقيل لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها .

ومن الأحزاب قوله تعالى: ﴿لا تحلّ لك النساء﴾ الآية، منسوخة بقوله: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾ الآية .

ومن المجادلة قوله تعالى: ﴿إذا ناجيتم الرسول فقدموا﴾ الآية منسوخة بالآية بعدها .

ومن الممتحنة قوله تعالى: ﴿فأتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ قيل منسوخة بآية السيف، وقيل بآية الغنيمة، وقيل محكم .

ومن المزمل قوله: ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ منسوخة بآخر السورة، ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس .

فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في بعضها لا يصح دعوى النسخ في غيرها، والأصح في آية الاستئذان والقسمة الأحكام فصارت تسعة عشر. ويضم إليها قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ على رأي ابن عباس أنها منسوخة بقوله: ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية، فتمت عشرون، وقد نظمتها في أبيات فقلت:

وقد أكثر الناس في المنسوخ من عدد	وأدخلوا فيه آياً ليس تنحصر
وهاك تحرير آي لا مزيد لها	عشرين حرّرها الخذاق والكبر
آي التوجه حيث المرء كان وإن	يوصي لأهليه عند الموت محتضر
وحرمة الأكل بعد النوم مع رفث	وفدية لمطيق الصوم مشتهر
وحق تقواه فيما صحح في أثر	وفي الحرام قتال للألى كفروا
والاعتداد بجول مع وصيتها	وإن يدان حديث النفس والفكر
والخلف والحبس للزاني وترك أولى	كفروا شهادهم والصبر والنفر
ومنع عقد لزان أو لزانية	وما على المصطفى في العقد محتظر
ودفع مهر لمن جاءت وآية نجب	سواه كذاك قيام الليل مستطر
وزيد آية الاستئذان من ملكت	وآية القسمة الفضلى لمن حضروا

### الحكمة من رفع الحكم وبقاء التلاوة:

فإن قلت: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ فالجواب من وجهين. أحدهما: أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة.

والثاني: أن النسخ غالباً ما يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ورفع المشقة. وأما ما ورد في القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية أو كان في شرع من قبلنا أو في أول الإسلام فهو أيضاً قليل العدد كنسخ استقبال بيت المقدس

بآية القبلة وصوم عاشوراء بصوم رمضان في أشياء آخر حررتها في كتابي المشار إليه.

### فوائد في النسخ:

[ فوائد منثورة ] قال بعضهم: ليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله في الترتيب إلا في آيتين: آية العدة في البقرة، وقوله: ﴿ لا تحلُّ لك النساء ﴾ كما تقدم. وزاد بعضهم ثالثة وهي آية الحشر في الفبيء على رأي من قال إنها منسوخة بآية الأنفال: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء ﴾ وزاد قوم رابعة وهي قوله: ﴿ خذ العفو ﴾ يعني الفضل من أموالهم على رأي من قال إنها منسوخة بآية الزكاة. وقال ابن العربي: كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم منسوخ بآية السيف وهي: ﴿ فإذا نسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ﴾ الآية نسخ مائة وأربع وعشرين آية، ثم نسخ آخرها أولها اهـ. وقد تقدم ما فيه.

وقال أيضاً: من عجيب المنسوخ قوله تعالى: ﴿ خذ العفو ﴾ الآية فإن أولها وآخرها وهو: ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ منسوخ، ووسطها محكم، وهو: ﴿ وأمر بالعرف ﴾.

وقال: من عجيبه أيضاً آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها، وهي قوله: ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴾ يعني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ناسخ لقوله: ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ وقال السعيدي: لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى: ﴿ قل ما كنتُ بدعاً من الرُّسل ﴾ الآية، مكثت ست عشرة سنة حتى نسخها أول الفتح عام الحديبية.

وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال في قوله تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام ﴾

على حَبِّهِ ﴿ الآية: أن المنسوخ من هذه الجملة ﴿ وأسيراً ﴾ والمراد بذلك أسير  
المشركين، فقرأ عليه الكتاب وابنته تسمع: فلما انتهى إلى هذا الموضع، قالت  
له: أخطأت يا أبت، قال: وكيف؟ قالت: أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم  
ولا يقتل جوعاً، فقال: صدقت.

وقال شيدلة في البرهان: يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخاً كقوله ﴿ لكم  
دينكم ولي دين ﴾ نسخها قوله تعالى: ﴿ اقتلوا المشركين ﴾ ثم نسخ هذه بقوله:  
﴿ حتى يُعْطُوا الجزية ﴾ كذا قال، وفيه نظر من وجهين: أحدهما: ما تقدمت  
الإشارة إليه. والآخر أن قوله: [ حتى يُعْطُوا الجزية ﴾ مخصص للآية لا ناسخ.  
نعم يمثل له بآخر سورة المزمل فإنه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات. وقوله  
﴿ انفروا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ ناسخ لآيات الكف منسوخ بآيات العذر.

وأخرج أبو عبيد عن الحسن وأبي ميسرة قالوا: ليس في المائدة منسوخ،  
ويشكل بما في المستدرک عن ابن عباس أن قوله: ﴿ فاحكم بينهم أو أعرضْ  
عَنْهُمْ ﴾ منسوخ بقوله ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ أخرج أبو عبيد وغيره  
عن ابن عباس قال: أول ما نسخ من القرآن نسخ القبلة. وأخرج أبو داود في  
ناسخه من وجه أخذ عنه قال: أول آية نسخت من القرآن القبلة، ثم الصيام  
الأول. قال مكّي: وعلى هذا فلم يقع في المكّي ناسخ. قال: وقد ذكر أنه وقع فيه  
في آيات منها قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ والملائكةُ يسبحونَ بحمدِ ربِّهمْ  
ويؤمنونَ بهِ ويستغفرونَ للذين آمنوا ﴾ فإنه ناسخ لقوله: ﴿ ويستغفرونَ لمن في  
الأرضِ ﴾ قلت: أحسن من هذه نسخ قيام الليل في أول سورة المزمل بآخرها،  
وبإيجاب الصلوات الخمس وذلك بمكة اتفاقاً.

### لا نسخ إلا بنقل صريح:

[ تنبيه ] قال ابن الحصار: إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا. قال: وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر. قال: ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين: بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة، لأن النسخ يتضمن رفع حكم إثبات حكم تقرر في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد. قال: والناس في هذا بين طرفي نقيض، فمن قائل لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد العدول، ومن متساهل يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد، والصواب خلاف قولها اهـ.

### الحكمة من نسخ التلاوة دون الحكم:

الضرب الثالث: ما نسخ تلاوته دون حكمه. وقد أورد بعضهم فيه سؤالاً وهو: ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم، وهلاً أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها؟ وأجاب صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استئصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحي.

### المنسوخ تلاوة كثير:

وأمثلة هذا الضرب كثيرة. قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقبل قد أخذت منه ما ظهر. وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن.

وقال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم ابن أبي النجود عن ذرّ بن حبيش: قال لي أبيّ بن كعب: كأين تعد سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثاً وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم. قلت: وما آية الرجم قال: إذا زنا الشيخ والشيخة فارجوهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم.

وقال: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن مروان بن عثمان عن أبي أمامة بن سهل أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم: الشيخ والشيخة فارجوهما البتة بما قضيا من اللذة.

وقال: حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ على أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، وعلى الذين يصلون الصفوف الأول. قالت: قبل أن يغير عثمان المصاحف.

وقال: حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي قال « كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه أتيناها فعلمنا مما أوحى إليه. قال: فجئت ذات يوم فقال: إن الله يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً لأحب أن يكون إليه الثاني، ولو كان إليه الثاني لأحب أن يكون إليها الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.»

وأخرج الحاكم في المستدرک عن أبيّ بن كعب قال: قال لي رسول الله ﷺ: « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ ومن بقيتها: لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً، وإن سأل ثانياً فأعطيه سأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا

التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفة غير اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره» .

وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حرب ابن أبي الأسود عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: « إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمني وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها، غير أني حفظت منها: « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون: فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة » .

وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن عدي بن عدي قال: قال عمر: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم. ثم قال لزيد بن ثابت: أذلك؟ قال: نعم. وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي، حدثني ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمن ابن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة فإننا لا نجدها. قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن.

وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبنا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال ابن مسلمة: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما

كانوا يعملون .

وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله ﷺ فكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرنا منها على حرف فأصبحا غادين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال: إنها مما نسخ فالهوا عنها .

وفي الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا وقت يدعو على قاتليهم قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع: أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. وفي المستدرک عن حذيفة قال: ما تقرأون ربعا: يعني براءة. قال الحسين بن المناري في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد .

### انكر قوم النسخ تلاوة:

[ تنبيه ] حكى القاضي أبو بكر في الانتصار عن قوم إنكار هذا الضرب، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها. وقال أبو بكر الرازي: نسخ الرسم والتلاوة، وإنما يكون بأن ينسبهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه في قوله: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى﴾ ولا يعرف اليوم منها شيء، ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبي ﷺ حتى إذا توفي لا يكون متلوّاً من القرآن أو يموت وهو متلوّاً موجود بالرسم ثم ينسبه الله الثاني ويرفعه من أذهانهم، وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي ﷺ .



وقال في البرهان في قول عمر: لولا أن تقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: يعني آية الرجم. ظاهره أن كتابتها جائزة، وإنما منعه قول الناس. والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه، فإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لأن هذا شأن المكتوب. وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرج على مقالة الناس، لأن مقالة الناس لا تصلح مانعاً.

### سبب الانكار:

وبالجمله هذه الملازمة مشكلة، ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد والقرآن لا يثبت به وإن ثبت الحكم، ومن هنا أنكر ابن ظفر في ينبوع عدّه هذا مما نسخ تلاوته. قال: لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن. قال: وإنما هذا من المنسأ لا النسخ وهما مما يلتبان، والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه اهـ.

وقوله لعله كان يعتقد أنه خبر واحد مردود، فقد صح أنه تلقاه من النبي ﷺ. وأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد ابن العاص يكتبان المصحف فمرّ على هذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها ألبتة، فقال عمر: لما نزلت أتيت النبي ﷺ فقلت: أكتبها، فكأنه كره ذلك، فقال عمر ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلده، وأن الشاب إذا زنا وقد أحصن رجم؟

قال ابن حجر في شرح المنهاج: فيستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها. قلت: وخطري في ذلك نكتة حسنة، وهو أن سببه التخفيف على الأمة بعدم اشتهاار تلاوتها وكتابتها في المصحف وإن كان حكمها باقياً لأنه أثقل الأحكام وأشدّها وأغلظ الحدود، وفيه الإشارة إلى ندب الستر.

وأخرج النسائي أن مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت: «ألا تكتبها في المصحف؟ قال: ألا ترى أن الشابين الشيبين يرجمان، ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر: أنا أكفيكم فقال: يا رسول الله اكتب لي آية الرجم، قال: لا تستطيع». قوله اكتب لي: أي ائذن في كتابتها ومكني من ذلك. وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد بن أسلم أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فإنه حق، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت أبا ابن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا استقرئها رسول الله ﷺ؟ فدفعت في صدري وقلت: تستقرئ آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر؟ قال ابن حجر: وفيه إشارة إلى بيان السبب في رفع تلاوتها وهو الاختلاف.

[ تنبيه ] قال ابن الحصار: في هذا النوع إن قيل كيف يقع النسخ إلى غير بدل وقد قال تعالى: ﴿ مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ وهذا إخبار لا يدخله خلف، فالجواب أن تقول: كل ما ثبت الآن في القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته، فكل ما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد أبدله بما علمناه وتواتر إلينا لفظه ومعناه.

## النوع الثامن والأربعون:

### في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض

أفرده بالتصنيف قطرب، والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات، وكلامه تعالى منزّه عن ذلك كما قال: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة فاحتيج لإزالته، كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وقد تكلم في ذلك ابن عباس، وحكي عنه التوقف في بعضها.

#### ابن عباس يجيب عن اختلاف القرآن:

قال عبد الرزاق في تفسيره: أنبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: رأيت أشياء تختلف عليّ من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو، أشك؟ قال: ليس بشك، ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وقال: ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ فقد كتموا، وأسمعه يقول: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ثم قال: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ وقال: ﴿أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ حتى بلغ ﴿طائعين﴾ ثم قال في الآية الأخرى ﴿أم السماء بناها﴾ ثم قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحّاها﴾ وأسمعه يقول: ﴿وكان الله﴾ ما شأنه يقول وكان الله؟ فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة وأن الله يغفر لأهل

الإسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركاً ولا يتعاضمه ذنب أن يغفره جحده  
المشركون رجاء أن يغفر لهم، فقالوا: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فختم الله  
على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك: ﴿يودّ  
الذين كفروا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾  
وأما قوله: ﴿فلا أنسابَ بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ فإنه إذا نفخ في الصور  
فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ  
ولا يتساءلون ﴿ثم نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿وأقبل بعضهم على  
بعض يتساءلون﴾ وأما قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فإن الأرض خلقت  
قبل السماء وكانت السماء دخاناً فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق  
الأرض. وأما قوله: ﴿والأرضَ بعد ذلك دحاًها﴾ يقول: جعل فيها جبلاً  
وجعل فيها نهراً وجعل فيها شجراً وجعل فيها بحوراً. وأما قوله: ﴿كان الله﴾  
فإن الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك،  
فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك، وإن الله لم ينزل شيئاً إلا  
وقد أصاب به الذي أراد: ﴿ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أخرجه بطوله  
الحاكم في المستدرک وصححه، وأصله في الصحيح.

### ابن حجر يشرح كلام ابن عباس:

قال ابن حجر في شرحه: حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع. الأول:  
نفي المسألة يوم القيامة وإثباتها. الثاني: كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه. الثالث:  
خلق الأرض أو السماء أيهما تقدم. الرابع: الإتيان بحرف كان الدالة على المضي  
مع أن الصفة لازمة. وحاصل جواب ابن عباس عن الأول: أن نفي المسألة فيما  
قبل النفخة الثانية وإثباتها فيما بعد ذلك. وعن الثاني: أنهم يكتُمون بألسنتهم  
فتنطق أيديهم وجوارحهم. وعن الثالث: أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير

مدحوة، ثم خلق السموات فسوّاهن في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض. وعن الرابع: بأن كان وإن كانت للماضي لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أنه لم يزل كذلك، فأما الأول فقد جاء فيه تفسير آخر أن نفي المسألة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط وإثباتها فيما عدا ذلك، وهذا منقول عن السدي، أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن نفي المسألة عند النفخة الأولى وإثباتها بعد النفخة الثانية.

وقد تأول ابن مسعود نفي المسألة على معنى آخر وهو طلب بعضهم من بعض العفو، فأخرج ابن جرير من طريق زاذان قال: أتيت ابن مسعود فقال: يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادى: ألا إن هذا فلان بن فلان، فمن كان له حق قبله فليأت، قال: فتودّ المرأة يومئذ أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها: ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ومن طريق أخرى قال: لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيئاً ولا يتساءلون به، ولا يمت برحم.

وأما الثاني فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير عن الضحاک بن مزاحم أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال: قول الله: ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ وقوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فقال: إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم آتي ابن عباس ألقى عليه متشابه القرآن؟ فأخبرهم أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون: إن الله لا يقبل إلا ممن وحده، فيسألهم فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، قال: فيختم على أفواههم وتستنتطق جوارحهم.

ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في أثناء حديث وفيه: ثم يلقي الثالث فيقول: ربّ آمنت بك وبكتابك ورسولك. ويثني ما استطاع فيقول:

الآن نبعث شاهداً عليك، فيذكر في نفسه من الذي يشهد عليّ، فيختم على فيه وتنطق جوارحه.

وأما الثالث ففيه أجوبة أخرى: منها أن ثم بمعنى الواو فلا إيراد. وقيل المراد ترتيب الخبر لا المخبر به كقوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ وقيل على بابها وهي لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في الزمان. وقيل خلق بمعنى قدر. وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتمل كلامه أنه أراد أنه سمي نفسه غفوراً رحماً، وهذه التسمية مضت لأن التعلق انقضى. وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان، لأن تعالى إذا أراد المغفرة والرحمة في الحال أو الاستقبال وقع مراده.

قاله الشمس الكرماني. قال: ويحتمل أن يكون ابن عباس أجاب بجوابين: أحدهما أن التسمية هي التي كانت وانتهت والصفة لا نهاية لها. والآخر أن معنى كان الدوام فإنه لا يزال كذلك.

ويحتمل أن يحمل السؤال على مسلكين والجواب على دفعهما، كأن يقال: هذا اللفظ مشعر بأنه في الزمان الماضي كان غفوراً رحماً، مع أنه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم، وبأنه ليس في الحال كذلك كما يشعر به لفظ كان. والجواب عن الأول بأنه كان في الماضي يسمى به. وعن الثاني بأن كان تعطى معنى الدوام. وقد قال النحاة: كان لثبوت خبرها ماضياً دائماً أو منقطعاً. وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أن يهودياً قال له: إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكماً فكيف هو اليوم؟ فقال: إنه كان في نفسه عزيزاً حكماً.

### توقف ابن عباس عن الاجابة على الاختلاف:

موضع آخر توقف فيه ابن عباس قال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم

عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال: سألت رجل ابن عباس عن ﴿يومٍ كان مقداره ألف سنة﴾ وقوله: ﴿يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه الله أعلم بهما. وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وزاد: ما أدري ما هي وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم.

قال ابن أبي مليكة: فضربت البعير حتى دخلت على سعيد بن المسيب، فسأل عن ذلك فلم يدر ما يقول، فقلت له: ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس؟ فأخبرته فقال ابن المسيب للسائل: هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم مني.

وروي عن ابن عباس أيضاً أن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات، ويوم الخمسين ألف، هو يوم القيامة.

فأخرج ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال له: حدثني ما هؤلاء الآيات ﴿في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ و﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنة﴾ قال: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة﴾ فقال: يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة، والسموات في ستة أيام كل يوم يكون ألف سنة، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة. قال: ذلك مقدار السير. وذهب بعضهم إلى أن المراد بها يوم القيامة، وأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل قوله: ﴿يومٍ عسير على الكافرين غير يسير﴾.

### أسباب الاختلاف:

(فصل) قال الزركشي في البرهان: للاختلاف أسباب. أحدها: وقوع المخبر

به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله في خلق ﴿آدم من تراب﴾ ، ومرة ﴿من حمأ مسنون﴾ ، ومرة ﴿من طين لازب﴾ ، ومرة ﴿من صلصال كالفخار﴾ ، فهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة ، لأن الصلصال غير الحمأ ، والحمأ غير التراب ، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر ، وهو التراب ، ومن التراب درجت هذه الأحوال . وكقوله : ﴿فإذا هي ثعبان﴾ وفي موضع ﴿تهتز كأنها جان﴾ والجان : الصغير من الحيات ، والثعبان الكبير منها ، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته .

### اختلاف الموضع :

الثاني : لاختلاف الموضع كقوله : ﴿وقفؤهم إنهم مسئولون﴾ وقوله : ﴿فلنستئن الذين أرسل إليهم ولنستئن المرسلين﴾ مع قوله : ﴿فيومئذ لا يسئَلُ عن ذنبيه إنس ولا جان﴾ .

قال الحلبي : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل . والثانية على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه ، وحمله غيره على اختلاف الأماكن لأن في القيامة مواقف كثيرة . ففي موضع يسألون ، وفي آخر لا يسألون .

وقيل إن السؤال المثبت سؤال تبكيت وتوبيخ ، والمنفي سؤال المعذرة وبيان الحجة .

### آيات ظاهرها اختلاف :

وكقوله : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ مع قوله : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلي الأولى على التوحيد بدليل قوله بعدها : ﴿ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ والثانية على الأعمال . وقيل : بل الثانية ناسخة للأولى .

وكقوله : ﴿فإن خفتن أن لا تعدلوا فواحدة﴾ مع قوله : ﴿ولن تستطيعوا



أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴿ فالأولى تفهم إمكان العدل، والثانية تنفيه .  
والجواب أن الأولى في توفية الحقوق، والثانية في الميل القلبي، وليس في قدرة  
الإنسان .

وكقوله: ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ مع قوله: ﴿ أمرنا مترفيها ففسقوا  
فيها ﴾ فالأولى في الأمر الشرعي، والثانية في الأمر الكوني، بمعنى القضاء  
والتقدير .

### اختلاف في جهتي الفعل:

الثالث: لاختلافها في جهتي الفعل كقوله: ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله  
قتلهم ﴾ . ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ أضيف القتل إليهم والرمي إليه ﷺ على  
جهة الكسب والمباشرة . ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير .

### اختلاف في الحقيقة والمجاز:

الرابع: لاختلافها في الحقيقة والمجاز ﴿ وترى الناس سكارى وما هم  
بسكارى ﴾ أي سكارى من الأهوال مجازاً لا من الشراب حقيقة .

### اختلاف الوجهين:

الخامس: بوجهين واعتبارين كقوله: ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ مع قوله  
﴿ خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾ قال قطرب: فبصرك: أي  
علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا: أي علم، وليس المراد رؤية  
العين . قال الفارسي: ويدل على ذلك قولك: ﴿ فكشفنا عنك غطاءك ﴾ .

وكقوله ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ مع قوله: ﴿ إنما

المؤمنون الذين إذا ذَكَرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿ فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة. وجوابه أن الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزبغ والذهاب عن الهدى فتجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿ تقشعرُّ منه جلودُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثم تلينُ جلودُهُم وقلوبُهُم إلى ذِكْرِ اللهِ ﴾.

### آيات أشكلت على الفهم:

ومما استشكلوه قوله تعالى: ﴿ وما منعَ الناسَ أن يُؤْمِنُوا إذ جاءَهُمُ الهدى وَيسْتَغْفِرُوا ربَّهُم إلا أن تأتيهم سنَّةُ الأولين أو يأتيهم العذابُ قبلاً ﴾ فإنه يدل على حصر المانع من الإيمان في أحد هذين الشيئين. وقال في آية أخرى: ﴿ وما منعَ الناسَ أن يُؤْمِنُوا إذ جاءَ الهدى إلا أن قالوا أبعثَ اللهُ بشراً رسولاً ﴾ فهذا حصر آخر في غيرهما.

وأجاب ابن عبد السلام بأن معنى الآية الأولى: ﴿ وما منعَ الناسَ أن يُؤْمِنُوا إلا ﴾ إرادة ﴿ أن تأتيهم سنَّةُ الأولين ﴾ من الخسف أو غيره ﴿ أو يأتيهم العذابُ قبلاً ﴾ في الآخرة، فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين. ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافي المراد، فهذا حصر في السبب الحقيقي لأن الله هو المانع في الحقيقة

ومعنى الآية الثانية ﴿ وما منعَ الناسَ أن يُؤْمِنُوا ﴾ إلا استغراب بعثه بشراً رسولاً، لأن قولهم ليس مانعاً من الإيمان لأنه لا يصلح لذلك وهو يدل على الاستغراب بالالتزام وهو المناسب للمانعية، واستغرابهم ليس مانعاً حقيقياً بل عادياً لجواز وجود الإيمان معه بخلاف إرادة الله تعالى، فهذا حصر في المانع العادي، والأول حصر في المانع الحقيقي فلا تنافي أيضاً.

## اشكال آيات (ومن أظلم) :

ومما استشكل أيضاً قوله تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ مع قوله ﴿ومن أظلم ممن ذكّرَ بآياتِ ربه فأعرضَ عنها ونسي ما قدمتُ يداهُ﴾ ﴿ومن أظلم ممن منع مساجدَ الله﴾ إلى غير ذلك من الآيات. ووجهه أن المراد بالاستفهام هنا النفي، والمعنى: لا أحد أظلم، فيكون خبراً، وإذا كان خبراً وأخذت الآيات على ظواهرها أدى إلى التناقض. وأجيب بأوجه. منها: تخصيص كل موضع بمعنى صلته: أي لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذباً، وإذا تخصص بالصلاة فيها زال التناقض. ومنها: أن التخصيص بالنسبة إلى السبق لما لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم من جاء بعدهم سالكاً طريقهم، وهذا يثول معناه إلى ما قبله. لأن المراد السبق إلى المانعة والافتراضية.

ومنها: وادعى أبو حيان أنه الصواب أن نفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظلمية، لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق، وإذا لم يدل على نفي الظلمية لم يلزم التناقض لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لأنهم يتساوون في الأظلمية، وصار المعنى: لا أحد أظلم ممن افترى، ومن منع ونحوها، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر كما إذا قلت: لا أحد أفقه منهم اهـ.

وحاصل الجواب أن نفي التفضيل لا يلزم منه نفي المساواة. وقال بعض المتأخرين: هذا استفهام مقصود به التهويل والتفطيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره.

## لو كان في القرآن تناقض لتعلق به كفار العرب:

وقال الخطابي: سمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج قال: سألت رجل بعض العلماء عن قوله ﴿لَا أَسْمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ فأخبر أنه لا يقسم به، ثم أقسم به في قوله ﴿وهذا البلد الأمين﴾ فقال: أيما أحب إليك أجيئك ثم أفضعك، أو أفضعك ثم أجيئك، فقال: بل أفضعني ثم أجيئي، فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهري قوم، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزاً وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا منه ما أنكرت. ثم قال له: إن العرب قد تدخل لا في أثناء كلامها وتلغي معناها، وأنشد فيه أبياتاً.

## ماذا نفعل إذا تعارضت الآيات:

[ تنبيه ] قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني: إذا تعارضت الآي وتعدرت فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالتأخر ويكون ذلك نسخاً، وإن لم يعلم وكان الإجماع على العمل بإحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها. قال: ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين.

قال غيره: وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو ﴿وأرجلكم﴾ بالنصب والجر، ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل، والجر على مسح الخف.

وقال الصيرفي: جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض، وإنما التناقض

في اللفظ ما ضاده من كل جهة، ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك أبداً، وإنما يوجد فيه النسخ في وقتين.

### لا تعارض بين الآيات والآثار والعقل:

وقال القاضي أبو بكر: لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما يوجبه العقل، فلذلك لم يجعل قوله ﴿الله خالق كل شيء﴾ معارضاً لقوله ﴿وتخلقون إفكاً﴾ ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله، فتعين تأويل ما عارضه فيؤول وتخلقون على تكذبون، وتخلق على تصوّر.

### اختلاف القرآن ليس تناقضاً:

[فائدة] قال الكرمانى عند قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ الاختلاف على وجهين: اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرن. واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد.

## النوع التاسع والأربعون: في مطلقه ومقيده

المطلق الدالّ على الماهية بلا قيد، وهو مع القيد كالعام مع الخاص. قال العلماء: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب.

### ضابط التقييد:

والضابط أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظر: فإن لم يكن له أصل يردّ إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل يردّ غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر. فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ وقوله ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله ﴿وأشهدوا إذا تباعتم﴾ ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ والعدالة شرط في الجميع.

### مثال على التقييد:

ومثل تقييده ميراث الزوجين بقوله ﴿من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ وإطلاقه الميراث فيما أطلق فيه، وكذلك ما أطلق من المواريث كلها بعد الوصية والدين، وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة، وإطلاقها في كفارة الظهار واليمين، والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة، وكذلك تقييد الأيدي بقوله ﴿إلى المرافق﴾ في الوضوء وإطلاقه التيمم وتقييد إحباط العمل بالردة

بالموت على الكفر في قوله ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾  
الآية، وأطلق في قوله ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ وتقييد تحريم  
الدم بالمسفوح في الأنعام وأطلق فيما عداها.

### الشافعي يحمل المطلق على المقيد :

فمذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع ومن العلماء من لا يحمله ،  
ويجوز إعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين ، ويكتفي في التيمم بالمسح إلى  
الكوعين ، ويقول : إن الردة تحبط العمل بمجردھا . والثاني : مثل تقييد الصوم  
بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، وتقييده بالتفريق في صوم التمتع ، وأطلق  
كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على إطلاقه من جوازه مفرقاً ومتتابعاً لا  
يمكن حمله عليهما لتنافي القيدین ، وهما التفريق والتتابع ، وعلى أحدهما لعدم  
المرجح .

### حمل المطلق على المقيد لغة وقياساً :

[ تنبيهان . الأول ] إذا قلنا : يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة  
أو بالقياس ؟ مذهبان . وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الإطلاق  
اكتفاء بالمقيد وطلباً للإيجاز والاختصار . الثاني : ما تقدم محله إذا كان الحكمان  
بمعنى واحد . وإنما اختلفا في الإطلاق والتقييد ، فأما إذا حكم في شيء بأمور ثم  
في آخر ببعضها وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضي الإلحاق كالأمر بغسل  
الأعضاء الأربعة في الوضوء وذكر في التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ومسح  
الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضاً ، وكذلك ذكر العتق والصوم والإطعام في  
كفارة الظهار ، واقتصر في كفارة القتل على الأولين ولم يذكر الإطعام ، فلا يقال  
بالحمل وإبدال الصيام بالطعام .

## النوع الخمسون: في منطوقه ومفهومه

المنطوق ما دلّ عليه اللفظ في محل النطق، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص نحو ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتُمْ تلكَ عُشْرَةٌ كاملةٌ﴾ وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جداً في الكتاب والسنة، وقد بالغ إمام الحرمين وغيره في الردّ. قال: لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطع من انحصار جهات التأويل والاحتمال. وهذا وإن عزّ حصوله بوضع الصيغ ردّاً إلى اللغة فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية اهـ.

أو مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، فالظاهر نحو ﴿فمن اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ﴾ فإن الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب، ونحو ﴿ولا تقرّبوهنَّ حتى يطهرنَّ﴾ فإنه يقال للانقطاع طهر وللوضوء والغسل، وهو في الثاني أظهر وإن حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل.

ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولاً كقوله ﴿وهو معَكُمْ أينما كنتم﴾ فإنه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك، وحمله على القدرة والعلم والحفظ والرعاية، وكقوله ﴿واخفضْ لهما جناحَ الذلِّ من الرِّحْمَةِ﴾ فإنه يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق.

وقد يكون مشتركاً بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعاً فيحمل عليهما جميعاً، سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ في معنييه أو لا. ووجهه على



هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين، مرة أريد هذا ومرة أريد هذا، ومن أمثلته ﴿ولا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ فإنه يحتمل ولا يضارر الكاتب والشهيد صاحب الحق بجور في الكتابة والشهادة. ولا يضارر بالفتح: أي لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما ما لا يلزمها وإجبارهما على الكتابة والشهادة.

ثم إن توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمار سميت دلالة اقتضاء نحو ﴿واسئل القرية﴾ أي أهلها.

وإن لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم تقصد به سميت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى ﴿أحلَّ لكم ليلة الصَّيَامِ الرِّفْثُ إلى نَسَائِكُمْ﴾ على صحة صوم من أصبح جنباً، إذ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنباً في جزء من النهار، وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظي.

### المفهوم وأنواعه:

(فصل) والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة. فالأول: ما يوافق حكمه المنطوق، فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب كدلالة ﴿فلا تقل لها أف﴾ على تحريم الضرب لأنه أشد، وإن كان مساوياً سمي لحن الخطاب: أي معناه كدلالة ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ على تحريم الإحراق لأنه مساو للأكل في الإلتلاف. واختلف هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية، مجازية أو حقيقية على أقوال بينها في كتبنا الأصولية.

### مفهوم المخالفة:

والثاني: ما يخالف حكمه المنطوق، وهو أنواع: مفهوم صفة نعمتاً كان أو حالاً أو ظرفاً أو عدداً نحو ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ مفهومه أن غير

الفاسق لا يجب التبيين في خبره فيجب قبول خبر الواحد العدل ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ ﴿الحجَّ أشهرٌ معلومات﴾ أي فلا يصح الإحرام به في غيرها ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ أي فالذكر عند غيره ليس محصلاً للمطلوب ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ أي لا أقل ولا أكثر.

وشرط نحو ﴿وإن كنَّ أولاتٍ حملٍ فأنفقوا عليهن﴾ أي فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن.

وغاية نحو ﴿فلا تحلَّ له من بعدُ حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي فإذا نكحته تحلَّ للأول بشرطه.

وحصر نحو ﴿لا إله إلا الله﴾ ﴿إنما إلهكم الله﴾ أي فغيره ليس بإله، فالله هو الولي: أي فغيره ليس بولي ﴿لا إله إلا الله تحشرون﴾ أي لا إلى غيره ﴿إياك نعبد﴾ أي لا غيرك.

### هل يصح الاحتجاج بالمفاهيم:

واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة، والأصح في الجملة أنها كلها حجة بشروط. منها: أن لا يكون المذكور خرج للغالب ومن ثم لم يعتبر الأكثرون مفهوم قوله ﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم﴾ فإن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج فلا مفهوم له، لأنه إنما خص بالذكر لغلبة حضوره في الذهن، وأن لا يكون موافقاً للواقع، ومن ثم لا مفهوم لقوله ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ وقوله ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ وقوله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾ والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول.

## أنواع الدلالات:

[ فائدة ] قال بعضهم: الألفاظ إما أن تدل بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها، أو باقتضائها وضرورتها، أو بمعقولها المستنبط منها، حكاه ابن الحصار وقال: هذا كلام حسن. قلت: فالأول دلالة المنطوق، والثاني دلالة المفهوم، والثالث دلالة الاقتضاء، والرابع دلالة الإشارة.

## النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته

قال ابن الجوزي في كتاب النفيس: الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً. وقال غيره: على أكثر من ثلاثين وجهاً. أحدها خطاب العام والمراد به العموم كقوله ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾. والثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ الثالث: خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ لم يدخل فيه الأطفال والمجانين. الرابع: خطاب الخاص والمراد العموم كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ افتتح الخطاب بالنبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد سائر من يملك الطلاق. وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ الآية. قال أبو بكر الصيرفي: كان ابتداء الخطاب له. فلما قال في الموهوبة خالصة لك، علم أن ما قبلها له ولغيره.

الخامس: خطاب الجنس كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ السادس: خطاب النوع نحو ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ السابع: خطاب العين نحو ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ﴾ ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾ ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ولم يقع في القرن الخطاب بيا محمد، بل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً بذلك عما سواه، وتعليماً للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه. الثامن: خطاب المدح، نحو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولهذا وقع الخطاب بأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا. أخرج ابن أبي حاتم عن خيشمة قال: ما تقرأون في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه في التوراة: يا أيها المساكين. وأخرج البيهقي وأبو عبيد وغيرهما عن ابن مسعود قال: إذا سمعت الله يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأوعها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شرّ ينهى عنه.  
 التاسع: خطاب الذم نحو ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ ﴿قل يا أيها  
 الكافرون﴾ ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين، وكثر  
 الخطاب بيا أيها الذين آمنوا على المواجهة. وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة  
 إعراضاً عنهم كقوله ﴿إن الذين كفروا﴾ ﴿قل للذين كفروا﴾.

العاشر: خطاب الكرامة كقوله ﴿يا أيها النبي﴾ ﴿يا أيها الرسول﴾ قال  
 بعضهم: ونجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه في الأمر  
 بالتشريع العام ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وفي مقام الخاص  
 ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ قال: وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع  
 العام، لكن مع قرينة إرادة العموم كقوله ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم﴾ ولم يقل  
 طلقت. الحادي عشر: خطاب الإهانة نحو ﴿فإنك رَجِيمٌ﴾ ﴿اخسئوا فيها ولا  
 تكلمون﴾ الثاني عشر: خطاب التهكم نحو ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾  
 الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد نحو ﴿يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك  
 الكريم﴾ الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو ﴿يا أيها الرسل كلُّوا من  
 الطَّيبَاتِ﴾ إلى قوله ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ فهو خطاب له ﷺ وحده، إذ لا نبيَّ  
 معه ولا بعده، وكذا قوله ﴿وإن عاقبتُم فعاقبوا﴾ الآية. خطاب له ﷺ وحده  
 بدليل قوله ﴿واصبرْ وما صَبْرَكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الآية: وكذا قوله ﴿فإن لم  
 يستجيبوا لكم فاعلموا﴾ بدليل قوله ﴿قل فائتوا﴾ وجعل منه بعضهم ﴿قال  
 رب ارجعُون﴾ أي أرجعني. وقيل ﴿رب﴾ خطاب له تعالى ﴿وارجعون﴾  
 للملائكة. وقال السهيلي: هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب فاختلف  
 فلا يدري ما يقول من الشطط، وقد اعتاد أمراً يقوله في الحياة من ردّ الأمر إلى  
 المخلوقين.

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ والخطاب  
لمالك خازن النار، وقيل لخزنة النار والزبانية، فيكون من خطاب الجمع بلفظ  
الاثنين. وقيل للملكين الموكلين به في قوله ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ  
وَشَهِيدٌ﴾ فيكون على الأصل وجعل المهدي «من» من هذا النوع ﴿قال قد  
أجيبت دعوتكما﴾ قال: الخطاب لموسى وحده لأنه الداعي، وقيل لهما لأن  
هارون آمن على دعائه، والمؤمن أحد الداعيين، السادس عشر: خطاب الاثنين  
بلفظ الواحد كقوله ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ أي ويا هارون، وفيه وجهان:  
أحدهما أنه أفرده بالنداء لإدلاله عليه بالتربية. والآخر لأنه صاحب الرسالة  
والآيات وهارون تبع له، ذكره ابن عطية. وذكر في الكشاف آخر، وهو أن  
هارون لما كان أفصح من موسى نكب فرعون عن خطابه حذراً من لسانه، ومثله  
﴿فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال ابن عطية: أفرده بالشقاء لأنه المخاطب  
أولاً والمقصود في الكلام. وقيل لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب  
الرجال. وقيل إغضاء عن ذكر المرأة كما قيل من الكرم ستر الحرم. السابع عشر:  
خطاب الاثنين بلفظ الجمع كقوله ﴿أَنْ تَبُوءَ الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بِيوتاً﴾ و﴿اجعلوا  
بيوتكم قبلة﴾. الثامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الاثنين كما تقدم في ﴿أَلْقِيَا﴾  
التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد كقوله ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ و﴿وَمَا  
تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ و﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ قال ابن الأنباري: جمع في  
الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي ﷺ، ومثله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا  
طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

العشرون: عكسه نحو ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحادي والعشرون:  
خطاب الاثنين بعد الواحد نحو ﴿أَجْتِنَّا لَتَلَفْتُنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ  
لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾. الثاني والعشرون: عكسه نحو ﴿مَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾  
الثالث والعشرون: خطاب العين، والمراد به الغير نحو ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا

تُطع الكافرين ﴿الخطاب له، والمراد أمته لأنه ﷺ كان تقياً، وحاشاه من طاعة الكفار، ومنه ﴿فإن كنت في شك﴾ مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب ﴿الآية: حاشاه ﷺ من الشك، وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية قال: لم يشك ﷺ ولم يسأل، ومثله ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ الآية ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ وأثناء ذلك. الرابع والعشرون: خطاب الغير، والمراد به العين نحو ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾.

الخامس والعشرون: الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين نحو ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ ﴿ألم تر أن الله يسجد له﴾ ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم﴾ ولم يقصد بذلك خطاب معين، بل كل أحد. وأخرج في صورة الخطاب لقصد العموم يريد أن حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء، بل كل من أمكن منه الرؤية داخل في ذلك الخطاب: السادس والعشرون: خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره نحو ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ حوَّط به النبي ﷺ، ثم قال للكفار ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ بدليل ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ ومنه ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ إلى قوله ﴿لتؤمنوا﴾ في من قرأ بالفوقية. السابع والعشرون: خطاب التكوين وهو الالتفات. الثامن والعشرون: خطاب الجادات خطاب من يعقل نحو ﴿فقال لها وللأرض ائتما طوعاً أو كرهاً﴾. التاسع والعشرون: خطاب التهيج نحو ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

الثلاثون: خطاب التحنن والاستعطاف نحو: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية. الحادي والثلاثون: خطاب التحبب نحو: ﴿يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾ ﴿يا بني إنَّها إن تك﴾ ﴿يا ابنَ أمِّ لا تأخذُ بِلِحيتي﴾. الثاني والثلاثون: خطاب التعجيز نحو: ﴿فائتوا بسورة﴾. الثالث والثلاثون: خطاب التشریف، وهو كل ما في

القرآن مخاطبة بقل فإنه تشریف منه تعالی هذه الأمة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة. الرابع والثلاثون: خطاب المعدم، ويصح ذلك تبعاً لموجود نحو: ﴿يا بني آدم﴾ فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم.

[ فائدة ] قال بعضهم: خطاب القرآن ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي، صلی اللہ علیہ وسلم، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم لهما.

### المعاني التي نجدها في القرآن:

[ فائدة ] قال ابن القيم: تأمل خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله وله الحمد كله، أزيمة الأمور كلها بيده ومصدرها منه وموردها إليه، مستويّاً على العرش لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبيده مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى ويعطي ويمنع ويشب ويعاقب ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويقدر ويقضي ويدبر الأمور، نازلة من عنده دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

فتأمل كيف تجده يثني على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه وينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ويتحجب إليهم بنعمه وآلائه، يذكرهم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

ويثني على أوليائه بمصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بسيء أعمالهم وقبيح صفاتهم، ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، ويحيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدق الصادق ويكذب الكاذب، ويقول الحق ويهدي



السبيل، ويدعو إلى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها، ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها.

ويذكر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل وجه وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين، ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات، وأنه الغني بنفسه عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه، وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضلله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته، وتشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب، وأنه مع ذلك مقبل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعدارهم ومصلح فسادهم والدافع عنهم والحامي عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجي لهم من كل كرب والموفي لهم بوعدده، وأنه وليهم الذي لا ولي لهم سواه فهو مولاهم الحق وينصرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير.

وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً جواداً رحيماً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه وتنفق أنفاسها في التودد إليه ويكون أحبّ إليها من كل ما سواه ورضاه أثر عندها من رضا كل من سواه، وكيف لا تلهج بذكره وتصير حبه والشوق إليه، والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها، بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها.

### ما يجب على المتكلم في الدين معرفته:

[فائدة] قال بعض الأقدمين: أنزل القرآن على ثلاثين نحواً، كل نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهها ثم تكلم في الدين أصاب ووفق، ولن لم يعرفها وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب، وهو المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول والسبب والإضمار والخاص والعام والأمر والنهي والوعد والوعيد والحدود والأحكام والخبر

والاستفهام والأبهة والحروف المصرفة والإعذار والإنذار والحجة والاحتجاج  
والمواعظ والأمثال والقسم.

أمثله على ما سبق:

قال: فالمكي مثل: ﴿واهجرتهم هجراً جيلاً﴾ والمدني مثل: ﴿وقاتلوا في  
سبيل الله﴾ والناسخ والمنسوخ واضح. والمحكم مثل: ﴿ومن يقتل مؤمناً  
متعمداً﴾ الآية. ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ ونحوه مما  
أحكمه الله وبيّنه. والمتشابه مثل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا  
بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ الآية، ولم يقل: ﴿ومن  
يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً﴾ كما قال في المحكم، وقد ناداهم  
في هذه الآية بالإيمان ونهاهم عن المعصية ولم يجعل فيها وعيداً، فاشتبه على أهلها  
ما يفعل الله بهم. والتقديم والتأخير مثل: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم  
الموت إن ترك خيراً الوصية﴾ التقدير: كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم  
الموت. والمقطوع والموصول مثل: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ولا مقطوع من  
أقسم، وإنما هو في المعنى: أقسم بيوم القيامة: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ ولم  
يقسم. والسبب والإضمار مثل: ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية. والخاص  
والعام مثل: ﴿يا أيها النبي﴾ فهذا في المسموع خاص: ﴿إذا طلقتم النساء﴾  
فصار في المعنى عاماً. والأمر وما بعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة. والأبهة  
مثل: ﴿إننا أرسلنا﴾ ﴿نحن قسّمنا﴾ عبر بالصيغة الموضوعية للجماعة للواحد  
تعالى تفخياً وتعظيماً وأبهة. والحروف المصرفة كالفتننة تطلق على الشرك نحو:  
﴿حتى لا تكون فتننة﴾ وعلى المعذرة نحو ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي معذرتهم.  
وعلى الاختبار نحو: ﴿قد فتنا قومك من بعدك﴾ والإعذار نحو: ﴿فما  
نقضهم ميثاقهم لعناهم﴾ اعتذر أنه لم يفعل ذلك إلا بمعصيتهم، والبواقي أمثلتها  
واضحة.

## النوع الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازه

### القرآن حوى الحقائق والمجاز:

لا خلاف في قوع الحقائق في القرآن، وهي كل لفظ نقي على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير، وهذا أكثر الكلام. وأما المجاز فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه.

وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويزمنداد من المالكية، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزّه عنه، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى.

وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلوّ القرآن من المجاز وجب خلّوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها.

وقد أفرده بالتصنيف الإمام عزّ الدين بن عبد السلام، ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سمّيته [مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن] وهو قسمان:

### المجاز في التركيب:

الأول: المجاز في التركيب، ويسمى مجاز الإسناد. والمجاز العقلي وعلاقته الملابس، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة للملابسته له كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ نسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً لها: ﴿يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ ﴿يَا هَامَانَ ابْنَ لِي﴾ نسبت

الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون، والبناء وهو فعل العملة إلى هامان لكونها أمرين به، وكذا قوله: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ نسب الإحلال إليهم لتسببهم في كفرهم بأمرهم إياهم به. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه: ﴿عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي مرضية: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي عزم عليه بدليل، فإذا عزمت. وهذا القسم أربعة أنواع. أحدها: ما طرفاه حقيقيان كآلية المصدر بها، وكقوله ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾. ثانيها: مجازيان نحو: ﴿فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ أي ما رجوا فيها، وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز. ثالثها، ورابعها: ما أحد طرفيه حقيقي دون الآخر، أما الأول أو الثاني. كقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أي برهاناً: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى نَزَاعَةٌ لِّلشُّوْیِ﴾ ﴿تَدْعُو﴾ فإن الدعاء من النار مجاز. وقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فاسم الأم الهاوية مجاز: أي كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له كذلك لنار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع.

### المجاز في المفرد:

القسم الثاني: المجاز في المفرد، ويسمى المجاز اللغوي وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً، وأنواعه كثيرة.

أحدها: الحذف، وسيأتي مبسوطاً في نوع المجاز فهو به أجدر، خصوصاً إذا قلنا إنه ليس من أنواع المجاز.

الثاني: الزيادة، وسبق تحرير القول فيها في نوع الإعراب.

### إطلاق الكل على الجزء:

الثالث: إطلاق اسم الكل على الجزء نحو: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾

أي أناملهم، ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار، فكأنهم جعلوا الأصابع: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ أي وجوههم، لأنه لم ير جلتهم: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ أطلق الشهر وهو اسم الثلاثين ليلة، وأراد جزءاً منه، كذا أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكال أن الجزء إنما يكون بعد تمام الشرط، والشرط أن يشهد الشهر وهو اسم لكله حقيقة فكأنه أمر بالصوم بعد مضي الشهر وليس كذلك. وقد فسره علي وابن عباس وابن عمر على أن المعنى: من شهد أول الشهر فليصم جميعه وإن سافر في أثنائه. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما، وهو أيضاً من هذا النوع، ويصلح أن يكون من نوع الحذف.

### إطلاق الجزء على الكل:

الرابع: عكسه نحو: ﴿وبقي وجه ربك﴾ أي ذاته: ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ أي ذواتكم إذا الاستقبال يجب بالصدر: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ ووجوه يومئذ خاشعة﴾ ﴿عاملة ناصية﴾ عبر بالوجه عن جميع الأجساد لأن التمتع والنصب حاصل لكلها: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ ﴿بما كسبت أيديكم﴾ أي قدمت وكسبت، ونسب ذلك إلى الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بها: ﴿قم الليل﴾ ﴿قرآن الفجر﴾ ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ أطلق كلاً من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصلاة وهو بعضها: ﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ أي الحرم كله بدليل أنه لا يذبح فيها.

### ما ألحق بالمجاز:

[ تنبيه ] ألحق بهذين النوعين شيثان:

أحدهما: وصف البعض بصفة الكل كقوله: ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾

فالخطأ صفة الكل وصف به الناصية وعكسه كقوله: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾  
والوجل صفة القلب: ﴿وَمَلَأْتُمْ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ والرغب إنما يكون في القلب.

والثاني: إطلاق لفظ بعض مراد به الكل، ذكره أبو عبيدة وخرج عليه  
قوله: ﴿وَلَأَبِينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي كله: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا  
يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ وتعقب بأنه لا يجب على النبي بيان كل ما اختلف  
فيه بدليل الساعة والروح ونحوهما، وبأن موسى كان وعدهم بعذاب في الدنيا وفي  
الآخرة فقال: يصيبكم هذا العذاب في الدنيا، وهو بعض الوعيد من غير نفي  
عذاب الآخرة، ذكره ثعلب. قال الزركشي: ويحتمل أيضاً أن يقال، إن الوعيد  
مما لا يستنكر ترك جميعه فكيف بعضه؟ ويؤيد ما قاله ثعلب قوله: ﴿فَأَمَّا  
نُرَيْتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّئُكَ فإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾.

### إطلاق الخاص على العام:

الخامس: إطلاق اسم الخاص على العام نحو: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾  
أي رسله.

السادس: عكسه نحو: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي المؤمنين بدليل  
قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

السابع: إطلاق اسم الملزوم على اللازم.

الثامن: عكسه نحو: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ أي هل  
يفعل؟ أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له.

### إطلاق المسبب على السبب:

التاسع: إطلاق المسبب على السبب نحو: ﴿يُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾

﴿ قد أنزلنا عليكم لباساً ﴾ أي مطراً يتسبب عنه الرزق واللباس : ﴿ لا يجدون نكاحاً ﴾ أي مئونة من مهر ونفقة وما لا بد للمتزوج منه .

العاشر : عكسه نحو : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ أي القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع .

[ تنبيه ] من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب كقوله : ﴿ فأخرجها مما كانا فيه ﴾ ﴿ كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ فإن المخرج في الحقيقة هو الله تعالى ، وسبب ذلك أكل الشجرة ، وسبب الأكل وسوسة الشيطان .

الحادي عشر : تسمية الشيء باسم ما كان عليه نحو : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ أي الذين كانوا يتامى ، إذ لا يتم بعد البلوغ : ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ أي الذين كانوا أزواجهن : ﴿ من يأت ربّه مجرمًا ﴾ سماه مجرمًا باعتبار ما كان في الدنيا في الاجرام .

### تسمية الشيء بما يصير إليه :

الثاني عشر : تسميته باسم ما يؤول إليه نحو : ﴿ إني أراني أعصرُ خراً ﴾ أي عنباً يؤول إلى الخمرية ﴿ ولا يلدُ إلا فاجراً كفّاراً ﴾ أي صائر إلى الكفر والفجور : ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ سماه زوجاً لأن العقد يؤول إلى زوجية ، لأنها لا تنكح إلا في حال كونه زوجاً : ﴿ فبشرناه بغلامٍ حلیم ﴾ ﴿ نبشرك بغلامٍ حلیم ﴾ وصفه في حال البشارة بما يؤول إليه من العلم والحلم .

### إطلاق الحال على الحمد والعكس :

الثالث عشر : إطلاق اسم الحال على المحل نحو : ﴿ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ أي في الجنة لأنها محل الرحمة ﴿ بل مكرُّ الليل ﴾ أي في الليل : ﴿ إذ يرِيكهم الله في منامك ﴾ أي عينك في قول الحسن .

الرابع عشر: عكسه نحو: ﴿فَلِيدُ نَادِيَةٍ﴾ أي أهل نادية: أي مجلسه، ومنه التعبير باليد عن القدرة نحو: ﴿بِيَدِ الْمَلِكِ﴾ وبالقلب على العقل نحو: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي عقول هذا النوع وما قبله في قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فإن أخذ الزينة غير ممكن لأنها مصدر، فالمراد محلها فأطلق عليه اسم الحال وأخذها للمسجد نفسه لا يجب، فالمراد به الصلاة فأطلق اسم المحل على الحال.

الخامس عشر: تسمية الشيء باسم آتته نحو: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي ثناء حسناً، لأن اللسان آتته: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ أي بلغة قومه.

#### تسمية الشيء باسم ضده:

السادس عشر: تسمية الشيء باسم ضده نحو: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والبشارة حقيقة في الخبر السار، ومنه تسمية الداعي إلى الشيء باسم الصارف عنه، ذكره السكاكي وخرج عليه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجُدَ﴾ يعني: ما دعاك إلى أن لا تسجد، وسلم بذلك من دعوى زيادة لا.

السابع عشر: إضافة الفعل إلى ما يصح منه تشبيهاً نحو: ﴿جداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ وصفه بالإرادة وهي من صفات الحي تشبيهاً لميله للوقوع بإرادته.

#### إطلاق الفعل والمراد مقاربتة:

الثامن عشر: إطلاق الفعل والمراد مشارفته ومقاربتة وإرادته نحو: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي قاربن بلوغ الأجل: أي انقضاء العدة، لأن الإمساك لا يكون بعده، وهو في قوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ﴾ حقيقة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي فإذا قرب



بجيئه ، وبه يندفع السؤال المشهور فيها أن عند مجيء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم﴾ الآية: أي لو قاربوا أن يتركوا خافوا، لأن الخطاب للأوصياء، وإنما يتوجه إليهم قبل الترك لأنهم بعده أموات: ﴿إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ أي أردتم القيام: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾ أي أردت القراءة لتكون الاستعاذة قبلها: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا﴾ أي أردنا إهلاكها، وإلا لم يصح العطف بالفاء، وجعل منه بعضهم قوله: ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ أي من يرد الله هدايته وهو حسن جداً لثلاث يتحد الشرط والجزاء.

### القلب وأنواعه:

التاسع عشر: القلب، إما قلب إسناده نحو: ﴿ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة﴾ أي لتنوء العصبة بها: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكل كتاب أجل: ﴿وحرّمنا عليه المراضع﴾ أي حرّمناه على المراضع: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ أي تعرض النار عليه لأن المعروض عليه هو الذي له الاختيار: ﴿وإنه لحبّ الخير لشديد﴾ أي وإن حبه للخير: ﴿وإن يردك بخير﴾ أي يريد بك الخير: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ لأن المتلقي حقيقة هو آدم كما قرىء بذلك أيضاً. أو قلب عطف نحو: ﴿ثم تولّ عنهم فانظر﴾ أي فانظر ثم تول: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ أي تدلى فدنا، لأنه بالتدلي مال إلى الدنو. أو قلب تشبيه وسياقي في نوعه.

### إقامة صيغة مقام أخرى:

العشرون: إقامة صيغة مقام أخرى، وتحت أنواع كثيرة. منها: إطلاق المصدر على الفاعل نحو: ﴿فإنهم عدوّ لي﴾ ولهذا أفرده، وعلى المفعول نحو: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ أي من معلومه: ﴿صنع الله﴾ أي مصنوعه:

﴿وجاءوا على قميصه بدمٍ كَذِبٍ﴾ أي مكذوب فيه ، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام . ومنها : إطلاق البشري على المبشر به والهوى على المهوى والقول على المقول .

### إطلاق الفاعل والمفعول على المصدر :

ومنها : إطلاق الفاعل والمفعول على المصدر نحو : ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي تكذيب : ﴿بأيِّكُمُ المفتون﴾ أي الفتنة على أن الباء غير زائدة . ومنها : إطلاق فاعل على مفعول نحو : ﴿ماء دافق﴾ أي مدفوق : ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ أي لا معصوم : ﴿جعلنا حرماً آمناً﴾ أي مأموناً فيه ، وعكسه نحو : ﴿إنه كان وعدة ماتياً﴾ أي آتياً ﴿حجاباً مستوراً﴾ أي ساتراً . وقيل هو على بابه : أي مستوراً على العيون لا يحس به أحد . ومنها : إطلاق فعيل بمعنى مفعول نحو : ﴿وكان الكافرُ على ربِّه ظهيراً﴾ .

### إطلاق المفرد على المثني والجمع والعكس :

ومنها : إطلاق واحد من المفرد والمثني والجمع على آخر . منها : مثال إطلاق المفرد على المثني : ﴿واللهُ ورسولُهُ أحقُّ أن يرضوه﴾ أي يرضوهما ، فأفرد لتلازم الرضاهين ، وعلى الجمع : ﴿إن الإنسانَ لفي خسر﴾ أي الأناسي بدليل الاستثناء منه : ﴿إن الإنسانَ خُلِقَ هلوغاً﴾ بدليل : ﴿إلا المصلين﴾ . ومثال إطلاق المثني على المفرد : ﴿ألقيا في جهنَّمَ﴾ أي ألق ، ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط نحو : ﴿يخرجُ منها اللؤلؤُ والمرجانُ﴾ وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب ونظيره : ﴿ومن كلِّ تأكلونَ لحماً طرياً وتستخرجونَ حليَّةً تلبسونَهَا﴾ وإنما تخرج الحلية من الملح : ﴿وجعلَ القمَرَ فيهن نوراً﴾ أي في إحداهن : ﴿نسيًا حوتَهَا﴾ والناسي يوشع بدليل قوله لموسى :

﴿إني نسيتُ الحوتَ﴾ وإنما أضيف النسيان إليها معاً لسكوت موسى عنه :  
﴿فمن تَعَجَّلَ في يَوْمين﴾ والتعجيل في اليوم الثاني : ﴿على رجلٍ من القريتين  
عظيم﴾ قال الفارسي : أي من إحدى القريتين ، وليس منه : ﴿ولمَن خَافَ مَقَامَ  
رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وإن المعنى جنة واحدة خلافاً للفراء . وفي كتاب « ذا القد » لابن  
جني أن منه : ﴿أنتِ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُونِي وأمي إلهين﴾ وإنما المتخذ إلهاً عيسى  
دون مريم . ومثال إطلاقه على الجمع : ﴿ثم ارجعِ البصَرَ كرتين﴾ أي كرات ،  
لأن البصر لا يحسر إلا بها ، وجعل منه بعضهم قوله : ﴿الطلاقُ مرتان﴾ . ومثال  
إطلاق الجمع على المفرد قال : ﴿ربِّ ارجعون﴾ أي أرجعني . وجعل منه ابن  
فارس : ﴿فناظرةٌ بِمَ يَرَجُعُ المرسلون﴾ والرسول واحد بدليل : ﴿ارجع  
إليهم﴾ وفيه نظر لأنه يَحْتَمِلُ أنه خاطب رئيسهم لاسيما وعادة الملوك جارية أن  
لا يرسلوا واحداً . وجعل منه : ﴿فنادتُهُ الملائكةُ﴾ ﴿ينزل الملائكةُ بِالرُّوحِ﴾  
أي جبريل : ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾ والقاتل واحد . ومثال إطلاقه على  
المتنى : ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ ﴿قالوا لا تخفُ خصمان﴾ ﴿فإن كان له إخوةُ  
فلامَّهُ السُّدُسُ﴾ أي أخوان : ﴿فقد صَغَت قلوبكما﴾ أي قلباكما : ﴿وداود  
وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ إلى قوله : ﴿وكننا لحكمهم شاهدين﴾ .

### إطلاق الماضي على المستقبل والعكس :

ومنها : إطلاق الماضي على المستقبل لتحقق وقوعه نحو ﴿أتى أمرُ الله﴾ أي  
الساعة بدليل ﴿فلا تستعجلوه﴾ ﴿ونُفِخَ في الصورِ فصعقَ من في السموات﴾  
﴿وإذ قالَ اللهُ يا عيسى ابنُ مريمَ أنتِ قُلْتَ للناسِ﴾ الآية ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾  
﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ وعكسه لإفادة الدوام والاستمرار فكأنه وقع  
واستمر نحو ﴿أأأمرون الناسَ بالبرِّ وتنسون﴾ ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على  
ملك سليمان﴾ أي تلت ﴿ولقد تعلم﴾ أي علمنا ﴿قد يعلمُ ما أنتم عليه﴾ أي علم

﴿ فَم تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ أي قتلتم وكذا ﴿ فَرِيقًا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾  
﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مَرْسَلًا ﴾ أي قالوا .

ومن لواحق ذلك التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول ، لأنه حقيقة في  
الحال لا في الاستقبال نحو ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ ﴿ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ ﴾ .

### إطلاق الخبر على الطلب والعكس:

ومنها: إطلاق الخبر على الطلب أمراً أو نهياً أو دعاء مبالغة في الحث عليه  
حتى كأنه وقع وأخبر عنه . قال الزمخشري: ورود الخبر والمراد الأمر أو النهي  
أبلغ من صريحي الأمر والنهي ، كأنه سورع فيه إلى الامتثال وأخبر عنه نحو  
﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ ﴾ ﴿ وَالْمَطْلَقَاتُ يُتْرَبْنَ ﴾ ﴿ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا  
جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ على قراءة الرفع ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ أي لا  
تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي لا يمسه ﴿ وَإِذْنَا  
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ أي لا تعبدوا بدليل ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ  
حُسْنًا ﴾ ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي اللهم اغفر لهم . وعكسه  
نحو ﴿ فليمدد له الرحمن مداً ﴾ أي يمدد ﴿ اتبعوا سبيلنا ﴾ ﴿ ولنحمل  
خطاياكم ﴾ أي ونحن حاملون بدليل ﴿ وإنيهم لكاذبون ﴾ والكذب إنما يرد على  
الخبر ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ قال الكواشي: في الآية الأولى الأمر  
بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم نحو إن زرتنا فلنكرمك ، يريدون تأكيد  
إيجاب الإكرام عليهم . وقال ابن عبد السلام: لأن الأمر للايجاب يشبه الخبرية  
في إيجابه .

### وضع النداء موضع التعجب:

ومنها: وضع النداء موضع التعجب نحو ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ قال

الفراء: معناها فيالها حسرة. وقال ابن خالويه: هذه من أصعب مسألة في القرآن، لأن الحسرة لا تنادى وإنما ينادى الاشخاص، لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب.

### وضع القلة موضع الكثرة والعكس:

ومنها: وضع جمع القلة موضع الكثرة نحو ﴿وهم في الغرقات آمنون﴾ وغرف الجنة لا تحصى ﴿هم درجات عند الله﴾ ورتب الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ ﴿أياماً معدودات﴾ ونكتة التقليل في هذه الآية التسهيل على المكلفين. وعكسه نحو ﴿يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾.

### تذكير المؤنث:

ومنها: تذكير المؤنث على تأويله بمذكر نحو ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ أي وعظ ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾ على تأويل البلدة بالمكان ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ أي الشمس أو الطالع ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ قال الجوهري: ذكرت على معنى الإحسان. وقال الشريف المرتضى في قوله ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ إن الإشارة للرحمة، وإنما لم يقل ولتلك، لأن تأنيثها غير حقيقي، ولأنه يجوز أن يكون في تأويل أن يرحم.

### تأنيث المذكر:

ومنها: تأنيث المذكر نحو: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها﴾ أنث الفردوس وهو مذكر حملا على معنى الجنة. ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أنث عشرًا حيث حذف الهاء مع إضافتها إلى الأمثال، وواحدًا مذكر

فقليل لإضافة الأمثال إلى مؤنث وهو ضمير الحسنات فاكتسب منه التأنيث .  
وقيل هو من باب مراعاة المعنى، لأن الأمثال في المعنى مؤنثة، لأن مثل الحسنة  
حسنة، والتقدير: فله عشر حسنات أمثالها. وقد قدمنا في القواعد المهمة قاعدة  
في التذكير والتأنيث .

### التغليب:

ومنها: التغليب، وهو إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل ترجيح أحد المعلومين  
على الآخر وإطلاق لفظه عليها إجراء للمختلفين مجرى المتفقين نحو ﴿وكانت  
من القانتين﴾ ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ والأصل من القانتات  
والغابرات، فعدت الأنثى من المذكر بحكم التغليب ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ أتى  
بتاء الخطاب تغليباً لجانب أنتم على جانب قوم. والقياس أن يؤتى بياء الغيبة لأنه  
صفة لقوم، وحسن العدول عنه وقوع الموصوف خيراً عن ضمير المخاطبين قال  
﴿أذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم﴾ غلب في الضمير المخاطب وإن  
كان من تبعك يقتضي الغيبة، وحسنه أنه لما كان الغائب تبعاً للمخاطب في  
المعصية والعقوبة جعل تبعاً له في اللفظ أيضاً، وهو من محاسن ارتباط اللفظ  
بالمعنى.

﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ غلب غير العاقل حيث أتى  
بما لكثرتة. وفي آية أخرى عبر بمن فغلب العاقل لشرفه ﴿لنخرجنك يا شعيب  
والذين آمنوا معك من قريبتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ أدخل شعيباً في لتعودن،  
بحكم التغليب، إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود فيها. وكذا قوله ﴿إن عدنا  
في ملتكم﴾ ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس﴾ عد منهم بالاستثناء  
تغليباً لكونه كان بينهم.

﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي المشرق والمغرب. قال ابن

الشجري: وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين ﴿مَرَجَ البحرين﴾ أي الملح والعذب، والبحر خاص بالملح لكونه أعظم ﴿ولكل درجات﴾ أي من المؤمنين والكفار، فالدرجات للعلو والدركات للسفل، فاستعمل الدرجات في القسمين تغليبا للأشرف.

قال في البرهان: وإنما كان التغليب من باب المجاز لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له. ألا ترى أن القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف بإطلاقه على الذكور والإناث اطلاقاً على غير ما وضع له وكذا باقي الأمثلة.

### استعمال حروف الجر في غير معانيها:

ومنها: استعمال حروف الجر في غير معانيها الحقيقية كما تقدم في النوع الأربعين.

### استعمال الأمر لغير الوجوب:

ومنها: استعمال صيغة إفعال لغير الوجوب، وصيغة لا تفعل لغير التحريم وأدوات الاستفهام لغير طلب التصور والتصديق، وأداة التمني والترجي والنداء لغيرها كما سيأتي كل ذلك في الإنشاء.

### التضمين:

ومنها: التضمين وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، ويكون في الحروف والأفعال والأسماء أما الحروف فتقدم في حروف الجر وغيرها. وأما الأفعال فإن تضمن فعل معنى فعل آخر فيكون فيه معنى الفعلين معاً، وذلك بأن يأتي الفعل متعدياً بحرف ليس من عادته التعدي به فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدي به. والأول تضمين الفعل والثاني تضمين الحرف.

واختلفوا أيها أولى، فقال أهل اللغة وقوم من النحاة: التوسع في الحرف. وقال المحققون: التوسع في الفعل لأنه من الأفعال أكثر، مثاله ﴿عِيناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ فيشرب إنما يتعدى بمن، فتعديته بالباء إما على تضمينه معنى يروى ويلتذ أو تضمين الباء معنى من ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فالرفث لا يتعدى يلى إلا على تضمن معنى الإفضاء ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ والأصل في «أن» تضمن معنى أدعوك ﴿يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ﴾ عدت بعن لتضمنها معنى العفو والصفح.

وأما في الأسماء فإن يضمن اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معاً نحو ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ضمن حقيق معنى حريص، ليفيد أنه محقق بقول الحق وحريص عليه. وإنما كان التضمن مجازاً لأن اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً فالجمع بينهما مجاز.

### مجاز مختلف عليه:

(فصل: في أنواع مختلف في عدّها من المجاز) وهي ستة.

أحدها: الحذف، فالمشهور أنه من المجاز، وأنكره بعضهم لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه، والحذف ليس كذلك. وقال ابن عطية: حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه، وليس كل حذف مجازاً.

### أنواع الحذف:

وقال القرافي: الحذف أربعة أقسام: قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد نحو ﴿واسأل القرية﴾ أي أهلها، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها. وقسم يصح بدونها لكن يتوقف عليه شرعاً كقوله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدةٌ من أيامٍ آخر﴾ أي فأفطر فعدة. وقسم يتوقف عليه عادة لا



شرعاً نحو ﴿اضربْ بعصاك البحر فانفلق﴾ أي فضربه. وقسم يدل عليه دليل غير شرعي ولا هو عادة نحو ﴿فقبضت قبضةً من أثر الرسول﴾ دلّ الدليل على أنه إنما قبض من أثر حافر فرس الرسول، وليس في هذه الأقسام مجاز إلا الأول.

### متى يكون الحذف مجازاً:

وقال الزنجاني في المعيار: إنما يكون مجازاً إذا تغير حكم، فأما إذا لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازاً، إذ لم يتغير حكم ما بقي من الكلام.

وقال القزويني في الإيضاح: متى تغير إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهي مجاز نحو ﴿واسأل القرية﴾ ﴿ليسَ كمثلِه شيء﴾ وإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الإعراب نحو ﴿أو كصيبٍ﴾ ﴿فبها رحمة﴾ فلا توصف الكلمة بالمجاز

### التأكيد:

الثاني: التأكيد، زعم قوم أنه مجاز لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول، والصحيح أنه حقيقة. قال الطرطوشي في العمد: ومن سماه مجازاً قلنا له إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو عجل عجل ونحوه، فإن جاز أن يكون الثاني مجازاً جاز في الأول لأنها في لفظ واحد، وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثاني عليه لأنه مثل الأول.

### التشبيه:

الثالث: التشبيه، زعم قوم أنه مجاز، والصحيح أنه حقيقة. قال الزنجاني في المعيار: لأنه معنى من المعاني، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً، فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه.

وقال الشيخ عز الدين: إن كان مجرف فهو حقيقة، أو مجذفه فمجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز.

### الكناية:

الرابع: الكناية، وفيها أربعة مذاهب. أحدها: أنها حقيقة. قال ابن عبد السلام: وهو الظاهر لأنها استعملت فيما وضعت له وأريد بها الدلالة على غيره. الثاني: أنها مجاز. الثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز، وإليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك فيها. الرابع: وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي أنها تقسم إلى حقيقة ومجاز، فإن استعملت اللفظ في معناه مراداً منه لازم المعنى أيضاً فهو حقيقة، وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له.

والحاصل أن الحقيقة منها أن يستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له والمجاز منها أن يريد به غير موضوعه استعمالاً وإفادة.

### التقديم والتأخير:

الخامس: التقديم والتأخير، عدّه قوم من المجاز لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل لكل واحد منهما عن مرتبته وحقه. قال في البرهان: والصحيح أنه ليس منه، فإن المجاز نقل ما وضع إلى ما لم يوضع له.

### الالتفات:

السادس: الالتفات: قال الشيخ بهاء الدين السبكي لم أر من ذكر هل هو حقيقة أو مجاز قال وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد.

(فصل: فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز باعتبارين).

هو الموضوعات الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة.

(فصل: في الوساطة بين الحقيقة والمجاز).

قيل بها في ثلاثة أشياء. أحدها: اللفظ قبل الاستعمال وهذا القسم مفقود في القرآن، ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للإشارة إلى الحروف التي يتركب منها الكلام. ثانياً: الأعلام. ثالثها: اللفظ المستعمل في المشاكلة نحو ﴿ومكروا ومكرَ اللهُ﴾ ﴿وجزاء سيئة سيئةً مثلها﴾ ذكر بعضهم أنه واسطة بين الحقيقة والمجاز. قال: لأنه لم يوضع لما استعمل فيه. فليس حقيقةً، ولا علاقة معتبرة فليس مجازاً، كذا في شرح بديعية ابن جابر لرفيقه. قلت: والذي يظهر أنها مجاز، والعلاقة المصاحبة.

### مجاز المجاز:

[خاتمة] لهم مجاز المجاز، وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما كقوله تعالى ﴿ولكن لا تُواعِدُوهم سرّاً﴾ فإنه مجاز عن مجاز. فإن الوطاء تجوز عنه بالسرّ لكونه لا يقع غالباً إلا في السرّ، وتجوز به عن العقد لأنه مسبب عنه، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة، والثاني السببية، والمعنى: لا تواعدوهن عقد نكاح. وكذا قوله ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبطَ عمله﴾ فإن قوله «لا إله إلا الله» مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والعلاقة السببية، لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان، والتعبير بلا إله إلا الله عن الوجدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه. وجعل منه ابن السيد قوله ﴿أنزلنا عليكم لباساً﴾ فإن المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس، بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس.

## النوع الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعاراته

### التشبيه:

التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها. قال المبرد في الكامل: لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد. وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سمّاه الجمان. وعرفه جماعة منهم السكاكي بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. وقال ابن أبي الأصبغ: هو إخراج الأغمض إلى الأظهر. وقال غيره: هو إلحاق شيء بذى وصف في وصفه. وقال بعضهم: هو أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به.

والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ، وإدناؤه البعيد من القريب ليفيد بياناً. وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار.

وأدواته حروف وأسماء وأفعال.

فالحروف: الكاف نحو (كرماد) وكان نحو ﴿كأنه رؤوسُ الشياطين﴾.

والأسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المائلة والمشابهة، قاله الطيبي. ولا تستعمل مثل الا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة نحو ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرّ﴾.

والأفعال نحو ﴿يحسبه الظّان ماء﴾ ﴿يخيّلُ إليه من سحرهم أنها تسمى﴾ قال في التخليص تبعاً للسكاكي: وربما يذكر فعل ينهى عن التشبيه فيؤتى في التشبيه القريب بنحو: علمت زيدا أسداً، الدالّ هل التحقيق. وفي البعيد بنحو:

حسبت زيداً أسداً، الدالّ على الظنّ وعدم التحقيق وخالفه جماعة منهم الطيبي فقالوا: في كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوع خفاء، والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد، وأن الأداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه.

### أقسام التشبيه باعتبار طرفيه:

(ذكر أقسامه) ينقسم التشبيه باعتبارات: [الأول باعتبار طرفيه] إلى أربعة أقسام، لأنها إما حسيان أو عقليان، أو المشبه به حسي والمشبه عقلي أو عكسه.

مثال الأول ﴿والقمرَ قدرناه منازلَ حتى عادَ كالعُرجونِ القديمِ﴾ ﴿كأنهم أعجازُ نخلٍ منقعرٍ﴾ ومثال الثاني ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدَّ قسوةً﴾ كذا مثل في البرهان، وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة وهو غير ظاهر، بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من الأول. ومثال الثالث ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريحُ﴾ ومثال الرابع: لم يقع في القرآن بل منعه الإمام أصلاً، لأن العقل مستفاد من الحسن، فالمحسوس أصل للمعقول وتشبيهه به يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وهو غير جائز.

وقد اختلف في قوله تعالى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾

### أقسامه باعتبار وجهه:

[الثاني: ينقسم باعتبار وجهه] إلى مفرد ومركب، والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض كقوله ﴿كمثل الحمارِ يحملُ أسفاراً﴾ فالتشبيه مركب من أحوال الحمار، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل

التعب في استصحابه وقوله ﴿إنما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء﴾ إلى قوله ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ فإن فيه عشرِ جلٍ وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختلف التشبيه، إذ التشبيه تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس.

وقال بعضهم: وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران. أحدهما: أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا. والثاني: أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء، فكذلك الدنيا. وقوله: ﴿مثل نورهٍ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ﴾ الآية، فشبّه نوره الذي يليق في قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة، إما بوضعه في مشكاة وهي الطاقة التي لا تنفذ وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر. وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرّي في صفائها، ودهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقوداً لأنه من زيت شجرة في وسط السراج، لا شرقية ولا غربية ولا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تصيبها الشمس أعدل إصابة. وهذا مثل ضربه الله للمؤمن. ثم ضرب للكافر مثلين: أحدهما ﴿كسراب بقيعة﴾ والآخر ﴿كظلمات في بحرٍ لجي﴾ الخ. وهو أيضاً تشبيه تركيب.

### أقسامه باعتبار آخر:

[ الثالث ينقسم باعتبار آخر ] إلى أقسام: أحدها: تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتماداً على معرفة النقيض والضد، فإن إدراكها أبلغ من إدراك الحاسة كقوله ﴿طلّعها كأنه رؤوسُ الشياطين﴾ شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح

لما حصل في نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وإن لم ترها عياناً.

الثاني: عكسه، وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه كقوله ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ الآية. أخرج ما لا يحس وهو الإيمان إلى ما يحس وهو السراب، والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة.

الثالث: إخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرت كقوله تعالى ﴿وإذ نتقنا الجبلَ فوقهم كأنه ظلة﴾ والجامع بينها الارتفاع في الصورة.

الرابع: إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها كقوله ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ والجامع العظم، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة.

الخامس: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها كقوله تعالى ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ والجامع فيها العظم، والفائدة إبانة القدرة على تسخير الأجسام العظام في ألطف ما يكون من الماء، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة، وما يلزم ذلك من تسخير الرياح للإنسان فتضمن الكلام بناء عظيمًا من الفخر وتعداد النعم على هذه الأوجه الخمسة تجري تشبيهات القرآن.

### أقسامه باعتبار آخر أيضاً:

[الرابع: ينقسم باعتبار آخر] إلى مؤكد وهو ما حذف فيه الأداة نحو ﴿وهي تمرُّ من السحاب﴾ أي مثل مر السحاب ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ ومرسل وهو ما لم تحذف كآيات السابقة، والمحدوفة الأداة أبلغ، لأنه نزل فيه الثاني منزلة الأول تجوزاً.

## دخول أداة التشبيه:

[قاعدة] الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به، وقد تدخل على المشبه إما لقصد المبالغة فتقلب التشبيه وتجعل المشبه هو الأصل نحو ﴿قالوا إنما البيعُ مثلُ الربا﴾ كأن الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع، فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز وأنه الخلق بالحل، ومنه قوله تعالى ﴿أفمن يخلقُ كمن لا يخلقُ﴾ فإن الظاهر العكس لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى، فجعلوا غير الخالق مثل الخالق، فخولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة فجاء الردّ على وفق ذلك.

وإما لوضوح الحال نحو ﴿وليسَ الذكرُ كالأنثى﴾ فإن الأصل وليس الأنثى كالذكر، وإنما عدل عن الأصل لأن المعنى: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت.

وقيل لمراعاة الفواصل لأن قبله ﴿إني وضعتها أنثى﴾.

وقد تدخل على غيرها اعتماداً على فهم المخاطب نحو ﴿كونوا أنصارَ اللهِ كما قال عيسى ابنُ مريمَ﴾ الآية، المراد كونوا أنصار الله خالصين في الانقياد كشأن مخاطبي عيسى إذ قالوا.

## تشبيه الأدنى بالأعلى والعكس:

[قاعدة] القاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى. وفي الذم تشبيه الأعلى بالأدنى، لأن الذم مقام الأدنى والأعلى طارئ عليه، فيقال في المدح الحصى كالياقوت، وفي الذم ياقوت كالزجاج، وكذا في السلب، منه ﴿يا نساء النبي لستنَ كأحدٍ من النساء﴾ أي في النزول لا في العلو ﴿أم نجعل المتقين



كالفُجَار ﴿﴾ أي في سوء الحال: أي لا نجعلهم كذلك. نعم أورد على ذلك ﴿﴾ مثل نُورِهِ كِمَشْكَاتِهِ ﴿﴾ فإنه شبه فيه الأعلى بالأدنى لا في مقام السلب. وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين، إذ لا أعلى من نوره فيشبه به.

[ فائدة ] قال ابن أبي الأصبغ: لم يقع في القرآن تشبيه شيئين بشيئين ولا أكثر من ذلك، وإنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد.

### الاستعارة:

(فصل) زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينها الاستعارة فهي مجاز علاقته المشابهة، أو يقال في تعريفها: اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، والأصح أنها مجاز لغوي لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا الأعم منها، فأسد في قولك: رأيت أسداً يرمى، موضوع للسبع لا للشجاع. ولا المعنى أعم منها كالحيوان الجريء مثلاً ليكون إطلاقه عليها حقيقة كإطلاق الحيوان عليها. وقيل مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي لا لغوي، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به، فكان استعمالها فيما وضعت له سيكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده، وليس نقل الاسم المجرد استعارة لأنه لا بلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق إلا أن يكون مجازاً عقلياً.

### الحكمة من الاستعارة:

وقال بعضهم: حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجليّ، أو حصول المبالغة أو المجموع.

مثال إظهار الخفي ﴿﴾ وإنه في أمّ الكتاب ﴿﴾ فإن حقيقته: وإنه في أصل

الكتاب، فاستعير لفظ الأم للأصل لأن الاولاد تنشأ من الأم كإنشاء الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرثي حتى يصير مرثياً، فينتقل السامع من حدّ السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان.

### إيضاح الخفي:

ومثال إيضاح ما ليس بهي ليصير جلياً ﴿واخفض لها جناح الذل﴾ فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة، فاستعير للذل أولاً جانب ثم للجانب جناحاً، وتقديره الاستعارة القريبة: واخفض لها جانب الذل: أي اخفض جانبك ذلاً، وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرثي مرثياً لأجل حسن البيان. ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لها والاستكانة ممكناً احتيج في الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى، فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب، لأن من يميل جانبه إلى جهة السفلى أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه، والمراد خفض بلصق الجنب بالأرض، ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح كالتأثر.

### إظهار المبالغة:

ومثال المبالغة ﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ وحقيقته: وفجرنا عيون الأرض، ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت عيوناً.

### أركان الاستعارة:

[فرع] أركان الاستعارة ثلاثة: مستعار وهو لفظ المشبه به. ومستعار منه وهو معنى لفظ المشبه، ومستعار له وهو المعنى الجامع.

## أقسام الاستعارة:

وأقسامها كثيرة باعتبارات. فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام:

أحدها: استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس نحو ﴿واشتعل الرأسُ شيباً﴾ فالاستعار منه هو النار، والمستعار له الشيب، والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب، وكل ذلك محسوس، وهو أبلغ مما لو قيل اشتعل شيب الرأس لإفادته عموم الشيب لجميع الرأس، ومثله ﴿وتركنا بعضهم يومئذٍ يموجٌ في بعضٍ﴾ أصل الموج حركة الماء، فاستعمل في تركتهم على سبيل الاستعارة، والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة ﴿والصبح إذا تنفس﴾ استعير خروج النفس شيئاً فشيئاً لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً بجامع التتابع على طريق التدرج، وكل ذلك محسوس.

الثاني: استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي. قال ابن أبي الأصعب: وهي أَلْطَفُ مِنَ الْأَوَّلَى نَحْوُ ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ فالاستعار منه السِّلْخُ الَّذِي هُوَ كَشَطُ الْجِلْدِ عَنِ الشَّاةِ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ كَشْفُ الضَّوءِ عَنِ مَكَانِ اللَّيْلِ وَهِيَ حَسِيَانٌ، وَالْجَامِعُ مَا يَعْقِلُ مِنْ تَرْتَبِ أَمْرٍ عَلَى آخِرٍ وَحَصُولِهِ عَقِبَ حَصُولِهِ كَتَرْتَبِ ظَهْوَرِ اللَّحْمِ عَلَى الْكَشَطِ وَظَهْوَرِ الظُّلْمَةِ عَلَى كَشْفِ الضَّوءِ عَنِ مَكَانِ اللَّيْلِ، وَالتَّرْتَبُ أَمْرٌ عَقْلِيٌّ.

ومثله ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أصل الحصيد النبات، والجامع الهلاك وهو أمر عقلي.

الثالث: استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي. وقال ابن أبي الأصعب: وهي أَلْطَفُ الْإِسْتِعَارَاتِ نَحْوُ ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مِرْقَدْنَا﴾ المستعار منه الرقاد: أي النوم، والمستعار له الموت، والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي، ومثله ﴿ولما سكت

عن موسى الغضب ﴿ المستعار السكوت، والمستعار منه الساكت، والمستعار له الغضب.

الرابع: استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي أيضاً نحو ﴿ مستهم البأساء والضراء ﴾ استعير المس وهو حقيقة في الأجسام وهو محسوس لمقاساة الشدة، والجامع للحقوق وهما عقليان ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴾ فالقذف والدمع مستعاران وهما محسوسان، والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان ﴿ ضُربَتْ عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا ببجلٍ من الله وحبلٍ من الناس ﴾ استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول ﴿ فاصدغ بما تؤمر ﴾ استعير الصدع وهو كسر الزجاجه وهو محسوس للتبليغ وهو معقول، والجامع التأثير وهو أبلغ من بلغ وإن كان بمعناه لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ والصدع يؤثر جزماً ﴿ واخفض لها جناح الذل ﴾ قال الراغب: لما كان الذل على ضربين: ضرب يضع الإنسان، وضرب يرفعه، وقصد في هذا المكان إلى ما يرفع استعير لفظ الجناح، فكأنه قيل: استعمل الذل الذي يرفعك عند الله. وكذا قوله ﴿ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ ﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾ ﴿ أفمن أسس بُنيانه على تقوى ﴾ ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾ ﴿ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ ﴿ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ كلها من استعارة المحسوس للمعقول، والجامع عقلي.

الخامس: استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي أيضاً نحو ﴿ إنا لما طغى الماء ﴾ المستعار منه التكثير وهو عقلي، والمستعار له كثرة الماء وهو حسي، والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضاً ومثله ﴿ تكادُ تميزُ من الغيظِ ﴾ ﴿ وجعلنا آية النهار مُبْصِرةً ﴾.

وتنقسم باعتبار اللفظ إلى أصلية، وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كآية ﴿ بجبلٍ من الله ﴾ ﴿ من الظلماتِ إلى النورِ ﴾ ﴿ في كل وادٍ ﴾.

وتبعية وهي ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس كالفعل والمشتقات كسائر الآيات السابقة وكالحروف نحو ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً﴾ شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علة الغاية عليه، ثم استعير في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به.

وتنقسم باعتبار آخر إلى مرشحة ومجردة ومطلقة. فالأولى وهي أبلغها: أن تقرن بما يلائم المستعار منه نحو ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ استعير الاشتراء للاستبدال والاختبار، ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة.

الثانية: أن تقرن بما يلائم المستعار له نحو ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ استعير اللباس للجوع ثم قرن بما يلائم المستعار له من الإذاقة، ولو أراد الترشيح لقال فكساها، لكن التجريد هنا أبلغ لما في لفظ الإذاقة من المبالغة في الألم باطنياً. والثالثة: لا تقرن بواحد منها.

وتنقسم باعتبار آخر إلى حقيقية وتخيلية ومكنية وتصريحية. فالأولى: ما تحقق معناها حساً نحو ﴿فأذاقها الله﴾ الآية، أو عقلاً نحو ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ أي بياناً واضحاً وحجة لامة ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ أي الدين الحق، فإن كلاً منها يتحقق عقلاً. والثانية: أن يضم التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه، ويدل على ذلك التشبيه المضمرة في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، ويسمى ذلك التشبيه المضمرة استعارة بالكناية ومكنيتها عنها لأنه لم يصرح به، بل دل عليه ذكر خواصه. ويقابله التصريحية، ويسمى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخيلية، لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر المختص بالمشبه به، وبه يكون كمال المشبه به وقوامه في وجه الشبه لتخيل أن المشبه من جنس المشبه به.

ومن أمثلة ذلك ﴿الذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ شبه العهد بالحبل، وأضمر في النفس فلم يصرح بشيء من أركان التشبيه سوى العهد المشبه، ودل عليه يائبات النقض الذي هو من خواصّ المشبه به وهو الحبل، وكذا ﴿واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئاً﴾ طوى ذكر المشبه به وهو النار ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ﴾ الآية، شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر، فأوقع عليه الإذاعة ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ شبهها في أن لا تقبل الحق بالشيء الموثوق المختوم، ثم أثبت لها الختم ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ شبه ميلانه للسقوط بانحراف الحيّ فأنبت له الإرادة التي هي من خواصّ العقلاء.

ومن التصريحية آية ﴿مَسْتَهْمُ الْبِأْسَاءِ﴾ ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَاقِدِنَا﴾ .

وتنقسم باعتبار آخر إلى وفاقية بأن يكون اجتماعها في شيء ممكناً نحو ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي ضالاً فهديناه، استعير الإحياء من جعل الشيء حياً للهداية التي بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعها في شيء. وعنادية وهي ما لا يمكن اجتماعهما كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه، واجتماع الوجود والعدم في شيء ممنوع.

ومن العنادية التهكمية والتمليلية، وهما ما استعمل في ضد أو نقيض نحو ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي أنذرهم، استعيرت البشارة وهي الإخبار بما يسر للإنذار الذي هو ضده بإدخال جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء نحو ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ عنوا الغويّ السفيه تهكماً ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ .

وتنقسم باعتبار آخر إلى تمثيلية، وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد نحو ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ شبه استظهار العبد بالله ووثوقه

بجمايته والنجاة من المكاره باستمسك الواقع في مهواة بجبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه .

[ تنبيه ] قد تكون الاستعارة بلفظين نحو ﴿قوارير قوارير من فضة﴾ يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة بل في صفاء القارورة وبياض الفضة ﴿فصب عليهم ربهم سوط عذاب﴾ فالصب كناية عن الدوام، والسوط عن الإيلام، فالعنى: عذبهم عذاباً دائماً مؤلماً .

### انكر قوم الاستعارة:

[ فائدة ] أنكر قوم الاستعارة بناء على إنكارهم المجاز، وقوم إطلاقها في القرآن لأن فيها إيهاماً للحاجة، ولأنه لم يرد في ذلك إذن من الشرع، وعليه القاضي عبد الوهاب المالكي، وقال الطرطوشي: إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها، وإن امتنعوا امتنعنا، ويكون هذا من قبيل أن الله عالم والعلم هو العقل، ثم لا نصفه به لعدم التوقيف اهـ .

### مراتب البلاغة:

[ فائدة ثانية ] تقدم أن التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها، واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه لأنه مجاز وهو حقيقة والمجاز أبلغ، فإذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة، وكذا الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة أبلغ من الكناية كما قال في عروس الأفراح: إنه الظاهر لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة ولأنها مجاز قطعاً. وفي الكناية خلاف. وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية كما يؤخذ من الكشاف، ويليهما المكنية صرح به الطيبي لاشتغالها على المجاز العقلي، والترشيفية أبلغ من المجردة والمطلقة، والتخييلية أبلغ من التحقيقية، والمراد بالأبلغية إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه، لا زيادة في المعنى لأ توجد في غير ذلك .

## الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

[ خاتمة ] من المهم تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة نحو زيد أسد . قال الزمخشري في قوله تعالى ﴿ صُمِّ بِكُمْ عُمِي ﴾ فإن قلت : هل يسمى ما في الآية استعارة ؟ قلت : مختلف فيه ، والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام . ومن ثم ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحاً ، وعلله السكاكي بأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه ، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة فلا يجوز أن يكون استعارة ، وتابعه صاحب الإيضاح . قال في عروس الأفراح : وما قالاه ممنوع ، وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصفه إلى الحقيقة في الظاهر . قال : بل لو عكس ذلك وقيل لا بد من عدم صلاحيته لكان أقرب ، لأن الاستعارة مجاز لا بد له من قرينة ، فإن لم تكن قرينة امتنع صفه إلى الاستعارة وصرفناه إلى حقيقته ، وإنما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة إما لفظية أو معنوية نحو زيد أسد ، فالإخبار به عن زيد قرينة صارفة عن إرادة حقيقته قال : والذي نختاره في نحو زيد أسد قسماً : تارة يقصد به التشبيه فتكون أداة التشبيه مقدرة . وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ويكون الأسد مستعملاً في حقيقته . وذكر زيد : والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة دالة عليها ، فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه ، وإن لم تقم فنحن بين إضمار واستعارة ، والاستعارة أولى فيصير إليها . ومن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادي في قوانين البلاغة ، وكذا قال حازم : الفرق بينها أن الاستعارة وإن كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك ، لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه .



## النوع الرابع والخمسون: في كنياته وتعريضه

### الكناية والتعريض:

هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة، وقد تقدم أن الكناية أبلغ من التصريح، وعرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه. وقال الطيبي: ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم، وأنكر وقوعها في القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على أنها مجاز، وقد تقدم الخلاف في ذلك.

### أساليب الكناية عديدة:

وللكناية أساليب. أحدها: التنبية على عظم القدرة نحو ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ كناية عن آدم.

### ترك اللفظ إلى ما هو أجمل:

ثانيها: ترك اللفظ إلى ما هو أجمل نحو ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةً واحدة﴾ فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك، لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه، ولهذا لم يذكر في القرآن امرأة باسمها، على خلاف عادة الفصحاء لنكتة وهو أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ ولا يبتذلون أسماءهن، بل يكونون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك، فإذا ذكروا الإماء لم يكونوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر، فلما قالت النصراني في مريم ما قالوا صرح الله باسمها، ولم يكن تأكيداً للعبودية التي هي صفة لها وتأكيداً لأن عيسى لا أب له وإلا لنسب إليه.

## استقبح التصريح:

ثالثها: أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع باللامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول، والسرّ في قوله ﴿ولكن لا تُواعدوهنَّ سرّاً﴾ والغشيان في قوله ﴿فلما تَغَشَّاهَا﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: المباشرة الجماع، ولكن الله يكتفي.

وأخرج عنه قال: إن الله كريم يكتفي ما شاء، وإن الرفث هو الجماع، وكنى عن طلبه بالمرادة في قوله ﴿وراودتُهُ التي هُوَ في بيتها عن نفسه﴾ وعنه: أو عن المعانقة باللباس في قوله ﴿هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنَّ﴾ وبالحرث في قوله ﴿نساؤُكم حرثٌ لكم﴾.

وكنى عن البول ونحوه بالغائط في قوله ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ﴾ وأصله المكان المطمئن من الأرض.

وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام في قوله في مريم وابنها ﴿كانا يأكلان الطَّعامَ﴾.

وكنى عن الاستاه بالأدبار في قوله ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدبارَهُمْ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في هذه الآية قال: يعني استاههم، ولكن الله يكتفي، وأورد على ذلك التصريح بالفرج في قوله ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ وأجيب بأن المراد به فرج القميص، والتعبير به من أطف الكنايات وأحسنها: أي لا يعلق ثوبها بريبة فهي طاهرة الثوب كما يقال نقي الثوب وعفيف الذيل كناية عن العفة، ومنه ﴿وثيابك فطهر﴾ وكيف يظن أن نفخ جبريل وقع في فرجها، وإنما نفخ في جيب درعها، ونظيره أيضاً ﴿ولا يأتين بهتانٍ يفترينه بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ﴾ قلت: وعلى هذا ففي الآية كناية عن كناية، ونظيره ما تقدم من مجاز المجاز.

## قصد المبالغة:

رابعها: قصد البلاغة والمبالغة نحو ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني، ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك، والمراد نفي ذلك عن الملائكة.

وقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كناية عن سعة جوده وكرمه جداً.

## قصد الاختصار:

خامسها: قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل نحو ﴿وَلَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي فإن لم تأتوا بسورة من مثله.

## التنبيه على المصير

سادسها: التنبيه على مصيره نحو ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي جهني مصيره إلى اللهب ﴿حَالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ﴾ أي نامة مصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم في جيدها غل.

قال بدر الدين بن مالك في المصباح: إنما يعدل عن الصرائح إلى الكناية بنكتة كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح أو الذم أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والإلغاز، والتعبير عن الصعب بالسهل، وعن المعنى القبيح باللفظ الحسن.

## نوع غريب من الكناية:

واستنبط الزمخشري نوعاً من الكناية غريباً، وهو أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر، فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز، فتعبر بها عن المقصود كما تقول في نحو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إنه كناية

عن الملك، فإن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعل كناية عنه، وكذا قوله ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين حقيقة ومجاز.

### الكناية التي تشبه الإرداف:

[تذنيب] من أنواع البديع التي تشبه الكناية الإرداف، وهو أن يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه باللفظ الموضوع له ولا بدلالة الإشارة بل بلفظ يرادفه كقوله تعالى ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ والأصل: وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته، وعدل عن ذلك إلى لفظ الإرداف لما فيه من الإيجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع وقضاء من لا يردّ قضاؤه، والأمر يستلزم أمراً فقضاؤه يدل على قدرة الأمر به وقهره، وإن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضن على طاعة الأمر، ولا يحصل ذلك كله في اللفظ الخاص.

وكذا قوله ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ حقيقة ذلك جلست، فعدل عن اللفظ الخاص المعنى إلى مرادفه لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس.

كذا: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ الأصل عفيفات، وعدل عنه للدلالة على أنهن مع العفة لا تطمح أعينهن إلى غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم، ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة.

قال بعضهم: والفرق بين الكناية والإرداف: أن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم، والإرداف من مذكور إلى متروك.

ومن أمثلته أيضاً: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ عدل في الجملة الأولى عن قوله بالسوء: أي مع أن فيه مطابقة كالجملة الثانية إلى بما عملوا تأديباً أن يضاف السوء إلى الله تعالى .

### الفرق بين الكناية والتعريض:

(فصل) للناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة. فقال الزمخشري: الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره.

وقال ابن الأثير: الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، والتعريض اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي كقول من يتوقع صلة والله إني محتاج، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، وإنما فهم من عرض اللفظ: أي جانبه.

### شرح الكناية والتعريض:

وقال السبكي في كتاب [ الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض ] الكناية لفظ استعمل في معناه مراداً منه لازم المعنى، فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى حقيقة، والتجوز في إرادة إفادة ما لم يوضع له، وقد لا يراد بها المعنى بل يعبر بالملزوم عن اللازم وهي حينئذ مجاز.

ومن أمثلته: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ فإنه لم يقصد إفادة ذلك لأنه معلوم، بل إفادة لازمه وهو أنهم يردونها ويجدون حرّاً إن لم يجاهدوا. وأما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره نحو: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحاً لعباديتها لأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من

عجز كبيرها عن ذلك الفعل والإله لا يكون عاجزاً فهو حقيقة أبدأ.

### التعريض وأنواعه:

وقال السكاكي: التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور. ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره، وسمي به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشاركاً به إلى آخر. يقال نظر إليه بعرض وجهه: أي جانبه. قال الطيبي: وذلك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف ومنه ﴿ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ أي محمداً ﷺ إعلانه لقدره: أي أنه العلم الذي لا يشتهه. وإما التلطف به واحتراز عن المخاشنة نحو: ﴿ومَالِي لَا أَغْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي ومالككم لا تعبدون بدليل قوله: ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وكذا قوله: ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ووجه حسنه إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والإعانة على قبوله، إذ لم يرد له إلا ما أراده لنفسه. وإما لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، ومنه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ خوطب النبي ﷺ وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعاً. وإما للذم نحو: ﴿إِنَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فإنه تعريض لذم الكفار، وإنهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون. وإما للإهانة والتوبيخ نحو: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ فإن سؤاها لإهانة قاتلها وتوبيخه.

### رأي آخر في التعريض:

وقال السبكي: التعريض قسمان: قسم يراد به معناه الحقيقي ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم. وقسم لا يراد به بل يضرب مثلاً للمعنى الذي هو مقصود التعريض كقول إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

## النوع الخامس والخمسون: في الحصر والاختصاص

### تعريف الحصر وأقسامه:

أما الحصر ويقال له القصر فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص . ويقال أيضاً إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه . وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف . وكل منها إما حقيقي وإما مجازي .

### قصر الموصوف على الصفة:

مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو: ما زيد إلا كاتب، أي لا صفة له غيرها، وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية، وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها، ولذا لم يقع في التنزيل، ومثاله مجازياً: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ أي أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الموت الذي استعظموه الذي هو من شأن الإله .

### قصر الصفة على الموصوف:

ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً: ﴿لا إله إلا الله﴾ ومثاله مجازياً: ﴿قل لا أجدُ فيما أوحى إليّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلا أن يكون ميتة﴾ الآية، لما قال الشافعي فيما تقدم نقله من أسباب النزول أن الكفار لما كانوا يجلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكانوا يجرّمون كثيراً

من المباحات وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ونزلت الآية مسوقة بذكر شبههم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وكان الغرض إبانة كذبهم، فكأن قال: لا حرام إلا ما أحللتموه، والغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقي، وقد تقدم بأبسط من هذا.

### ينقسم الحصر باعتبار آخر:

وينقسم الحصر باعتبار آخر إلى ثلاثة أقسام، **قصر أفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين.** فالأول: يخاطب به من يعتقد الشركة نحو: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام في الألوهية. والثاني: يخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له نحو: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ خوطب به نمرود الذي اعتقد أنه هو المحي المميت دون الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب. والثالث: يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد ياحدى الصفتين بعينها.

### طرق الحصر:

(فصل) طرق الحصر كثيرة. أحدها: **النفي والاستثناء** سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما.

### الاستثناء بإلا:

والاستثناء بإلا أو غير نحو: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿مَا قَلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ ووجه إفادة الحصر أن الاستثناء المتفرغ لا بد أن يتوجه النفي فيه إلى مقدر وهو مستثنى منه، لأن الاستثناء إخراج فيحتاج إلى



مخرج منه، والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي، ولا بد أن يكون عاماً لأن الإخراج لا يكون إلا من عام، ولا بد أن يكون مناسباً للمستثنى منه في جنسه مثل ما قام إلا زيد: أي لا أحد، وما أكلت إلا تمرأ: أي مأكولاً، ولا بد أن يوافقه في صفته: أي إعرابه، وحينئذ يجب القصر إذا وجب منه شيء يالا ضرورة فيبقى ما عداه على صفة الانتفاء.

وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلاً بالحكم، وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب نحو: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ فإنه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي ﷺ، لأنه نزل استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته، لأن كل رسول فلا بد من موته، فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته.

### الحصر (يانما):

الثاني «إنما» الجمهور على أنها للحصر، فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم. وأنكر قوم إفادتها منهم أبو حيان. واستدل مثبتوه بأمر منها قوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ بالنصب، فإن معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة، لأنه المطابق في المعنى لقراءة الرفع فإنها للقصر، فكذا قراءة النصب، والأصل استواء معنى القراءتين.

ومنها أن «إن» للإثبات و«ما» للنفي، فلا بد أن يحصل القصر للجمع بين النفي والإثبات، لكن تعقب بأن «ما» زائدة كافة لا نافية.

ومنها: أن «إن» للتأكيد و«ما» كذلك، فاجتمع تأكيدان فأفاد الحصر، قاله السكاكي. وتعقب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لأفاده نحو: إن زيدا لقاتم. وأجيب بأن مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر.

ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ فإنه إنما تحصل مطابقة الجواب إذا كانت «إنما» للحصر ليكون معناها: لا آتاكم به إنما يأتي به الله، ولا أعلمها إنما يعلمها الله، وكذا قوله: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ﴾ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ لا يستقيم المعنى في هذه الآيات ونحوها إلا بالحصر.

وأحسن ما يستعمل «إنما» هو من مواقع التعريض نحو: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

### الحصر (إنما) بالفتح:

الثالث «إنما» بالفتح. عدّها من طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي فقالا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ إنما القصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم نحو: إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد، وقد اجتمع الأمران في هذه الآية، لأن إنما يوحى إليّ مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد، وإنما إلهكم بمنزلة إنما زيد قائم، وفائدة اجتماعها الدلالة على أن الوحي إلى الرسول ﷺ مقصور على استثثار الله بالوحدانية.

وصرح التنوخي في الأقصى القريب بكونها للحصر فقال: كلما أوجب أن «إنما» بالكسر للحصر أوجب أن «إنما» بالفتح للحصر لأنها فرع عنها، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه، والأصل عدمه.

ورّد أبو حيان على الزمخشري ما زعمه بأنه يلزمه انحصار الوحي في الوحدانية. وأجيب بأنه حصر مجازي باعتبار المقام.

## العطف ( بلا ) :

الرابع : العطف بلا أو بل ذكره أهل البيان ولم يحكوا فيه خلافاً ، ونازع فيه الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح فقال : أي قصر في العطف بلا إنما فيه نفي وإثبات ، فقولك زيد شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة ، والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازاً ، وليس هو خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدونها المخاطب ، وأما العطف ببل فأبعد منه لأنه لا يستمر فيها النفي والإثبات .

## تقديم المعمول :

الخامس : تقديم المعمول نحو : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ تُخْشَرُونَ﴾ وخالف فيه قوم ، وسيأتي بسط الكلام فيه قريب .

## ضمير الفصل :

السادس : ضمير الفصل نحو : ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي لا غيره ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿إِن هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ ﴿إِن شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ومن ذكر أنه للحصر البيانون في بحث المسند إليه ، واستدل له السهيلي بأنه أتى به في كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله ولم يؤت به حيث لم يدع وذلك في قوله : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ إلى آخر الآيات ، فلم يؤت به في : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْهِ النِّشَآءَ﴾ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ﴾ لأن ذلك لم يدع لغير الله ، وأتى به في الباقي لادعائه لغيره .

قال في عروس الأفراح : وقد استنبطت دلالتها على الحصر من قوله : ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيباً عليهم ، وإنما الذي حصل بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى ،

ومن قوله: ﴿ لا يستوي أصحاب النارِ وأصحابُ الجنةِ أصحابُ الجنةِ همُ الفائزون ﴾ فإنه ذكر لتبيين عدم الاستواء، وذلك لا يحسن إلا بأن يكون الضمير للاختصاص.

### تقديم المسند إليه:

السابع: تقديم المسند إليه على ما قاله الشيخ عبد القاهر: قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي، والحاصل على رأيه أن له أحوالاً.

[أحدها: أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً] فيأتي للتخصيص نحو: أنا قمت وأنا سميت في حاجتك، فإن قصد به قصر الأفراد أكد بنحو وحدي، أو قصر القلب أكد بنحو لا غيري، ومنه في القرآن: ﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ فإن ما قبله من قوله: ﴿ أتمدوني بما ﴾.

ولفظ « بل » المشعر بالاضراب يقضي بأن المراد: بل أنتم لا غيركم، على أن المقصود نفي فرحه هو بالهدية لا إثبات الفرح لهم بهديتهم، قاله في عروس الأفراس. قال وكذا قوله: ﴿ لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ أي لا يعلمهم إلا نحن. وقد يأتي للتقوية والتأكيد دون التخصيص. قال الشيخ بهاء الدين: ولا يتميز ذلك إلا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام.

[ثانيها: أن يكون المسند منفيًا] نحو: أنت لا تكذب، فإنه أبلغ في نفي الكذب من لا تكذب ومن لا تكذب أنت، وقد يفيد التخصيص ومنه: ﴿ فهم لا يتساءلون ﴾.

[ثالثها: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً] نحو: رجل جاءني، فيفيد التخصيص إما بالجنس: أي لا امرأة، أو الوحدة: أي لا رجلان.

[رابعها: أن يلي المسند إليه حرف النفي فيفيده] نحو: ما أنا قلت هذا:

أي لم أقله مع أن غيري قاله، ومنه ﴿وما أنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: أي العزيز علينا رهطك لا أنت، ولذا قال ﴿أَرْهَطِيْ أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ هذا حاصل رأي الشيخ عبد القاهر، ووافقه السكاكي وزاد شروطاً وتفصيل بسطناها في شرح ألفية المعاني.

### تقديم المسند:

الثامن: تقديم المسند، ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص، ورده صاحب الفلك الدائر بأنه لم يقل به أحد وهو ممنوع، فقد صرح السكاكي وغيره بأن تقديم ما رتبته التأخير يفيد ومثله بنحو: تميمي أنا.

### ذكر المسند إليه:

التاسع: ذكر المسند إليه، ذكر السكاكي أنه قد يذكر ليفيد التخصيص، وتعبه صاحب الإيضاح، وصرح الزمخشري بأنه أفاد الاختصاص في قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ في سورة الرعد، وفي قوله: ﴿اللَّهُ أَنْزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَيَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ويحتمل أنه أراد أن تقديمه أفاده فيكون من أمثلة الطريق السابع.

### تعريف الجزئين

العاشر تعريف الجزئين: ذكر الإمام فخر الدين في نهاية الإيجاز أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة نحو: المنطلق زيد، ومنه في القرآن فيما ذكر الزمكاني في أسرار التنزيل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: إنه يفيد الحصر كما في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي الحمد لله لا لغيره.

## أنواع أخرى من الحصر:

الحادي عشر: نحو: جاء زيد نفسه، نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر.

الثاني عشر: نحو: إن زيداً لقائم، نقله المذكور أيضاً. الثالث عشر: نحو: قائم في جواب زيد إما قائم أو قاعد، ذكره الطيبي في شرح البيان.

الرابع عشر: قلب بعض حروف الكلمة، فإنه يفيد الحصر على ما نقله في الكشاف في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قال: القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ الطاغوت، لأن وزنه على قول فعلوت من الطغيان كملكوت ورحوت، قلب بتقديم اللام على العين فوزنه فعلوت ففيه مبالغات التسمية بالمصدر والبناء وبناء مبالغة والقلب، وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان.

## تقديم المعمول يفيد الحصر:

[ تنبيه ] كان أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً ولهذا قيل في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معناه: نخصك بالعبادة والاستعانة، وفي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾ معناه: إليه لا إلى غيره.

وفي: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ أخرت الصلة في الشهادة الأولى وقدمت في الثانية، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم وفي الثاني إثبات اختصاصهم بشهادة النبي ﷺ.

وخالف في ذلك ابن الحاجب فقال في شرح المفصل: الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم، واستدل على ذلك بقوله:

﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ ثم قال: ﴿ بل الله فاعبد ﴾ ورد هذا الاستدلال بأن مخلصاً له الدين أغنى عن أداة الحصر في الآية الأولى، ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر كما قال تعالى: ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ وقال: ﴿ أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ بل قوله: ﴿ بل الله فاعبد ﴾ من أقوى أدلة الاختصاص، فإن قبلها: ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها أعبد الله لما جعل الإضراب الذي هو معنى بل.

واعترض أبو حيان على مدعي الاختصاص بنحو: ﴿ أفغير الله تأمروني أعبد ﴾ وأجيب بأنه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله كان أمرهم بالشرك كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة. ورد صاحب الفلك الدائر والاختصاص بقوله: ﴿ كلاً هدينا ﴾ ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾ وهو أقوى ما رد به. وأجيب بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة، وقد يخرج الشيء عن الغالب.

### الاختصاص يجتمع وعدمه في آية:

قال الشيخ بهاء الدين: وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة وهي: ﴿ أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ ﴿ بل إياه تدعون ﴾ فإن التقديم في الأول قطعاً ليس للاختصاص، وفي إياه قطعاً للاختصاص. وقال والده الشيخ تقي الدين في كتاب [ الاقتصاص في الفرق بين الحصر والاختصاص ] اشتهر كلام الناس في أن تقديم المفعول يفيد الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول: إنما يفيد الاهتمام، وقد قال سيويه في كتابه: وهم يقدمون ما هم به: أعني والبيانين على إفادته الاختصاص.

### الفرق بين الاختصاص والحصر:

وفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر، وليس كذلك وإنما

الاختصاص شيء والحصر شيء آخر، والفضلاء لم يذكروا في ذلك لفظة الحصر، وإنما عبروا بالاختصاص. والفرق بينهما أن الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه، وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص.

### الخصوص مركب من شيئين:

والخصوص مركب من شيئين: أحدهما: عام مشترك بين شيئين أو أشياء. والثاني معنى منضم إليه يفصله عن غيره كضرب زيد، فإنه أخص من مطلق الضرب. فإذا قلت: ضربت زيداً، أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص فصار ذلك الضرب المخبر به خاصاً لما انضم إليه منك ومن زيد، وهذه المعاني الثلاثة: أعني مطلق الضرب وكونه واقعاً منك وكونه واقعاً على زيد قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السواء، وقد يترجح قصده لبعضها على بعض، ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه، فإن الابتداء بالشيء يدل على الاهتمام به وأنه هو الأرجح في غرض المتكلم. فإذا قلت زيداً ضربت علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود.

### المركب من خاص وعام له جهتان:

ولا شك في أن كل مركب من خاص وعام له جهتان، فقد يقصد من جهة عمومته وقد يقصد من جهة خصوصه. والثاني هو الاختصاص وأنه هو الأهم عند المتكلم، وهو الذي قصد إفادته السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفي، ففي الحصر معنى زائد عليه وهو نفي ما عدا المذكور، وإنما جاء في هذا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ للعلم بأن قائله لا يعبدون غير الله تعالى، ولذا لم يطرد في بقية الآيات، فإن قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ لو جعل في معنى ما يبغيون إلا غير دين الله وهمزة الإنكار داخلة عليه لزم أن يكون المنكر الحصر



لا مجرد بغيهم غير دين الله، وليس المراد، وكذلك: ﴿آيَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر.

وقد قال الزمخشري في: ﴿وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ﴾ في تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب، وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وإن قولهم ليس بصادق عن إيقان، وأن اليقين ما عليه: ﴿من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ وهذا الذي قاله الزمخشري في غاية الحسن. وقد اعترض عليه بعضهم فقال: تقديم الآخرة أفاد أن إيقانهم مقصور على أنه إيقان بالآخرة لا بغيرها، وهذا الاعتراض من قائله مبني على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر، وليس كذلك. ثم قال المعارض: وتقديم هم أفاد أن هذا القصر مختص بهم فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيماناً بغيرها حيث قالوا: ﴿لن نمسنا النار﴾ وهذا منه أيضاً استمرار على ما في ذهنه من الحصر: أي أن المسلمين لا يوقنون إلا بالآخرة، وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها، وهذا فهم عجيب ألجأه إليه فهمه الحقير وهو ممنوع، وعلى تقدير تسليمه.

### الحصر ثلاثة أقسام:

فالحصر على ثلاثة أقسام: أحدها بما وإلا، كقولك: ما قام إلا زيد، صريح في نفي القيام عن غير زيد ويقتضي إثبات القيام لزيد، قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وهو الصحيح لكنه أقوى المفاهيم، لأن إلا موضوعة للاستثناء وهو الإخراج، فدلالته على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم، ولكن الإخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام، بل قد يستلزمه فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم، والتبس على بعض الناس لذلك فقال إنه بالمنطوق.

والثاني: الحصر بإفهام، وهذا قريب من الأول فيما نحن فيه، وإن كان جانب

الإثبات فيه أظهر، فكأنه يفيد إثبات قيام زيد إذا قلت إنما قام زيد بالمنطوق ونفيه عن غيره بالمفهوم.

الثالث: الحصر الذي قد يفيد التقديم، وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين بل هو في قوة جملتين: إحداهما ما صدر به الحكم نفيًا كان أو إثباتًا وهو المنطوق، والأخرى ما فهم من التقديم والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط دون ما دل عليه من المفهوم، لأن المفهوم لا مفهوم له، فإذا قلت أنا لا أكرم إلا إياك، أفاد التعريض بأن غيرك يكرم غيره ولا يلزم أنك لا تكرمه.

وقد قال تعالى ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مُشركة﴾ أفاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية وهو ساكت عن نكاحه الزانية، فقال سبحانه وتعالى بعده ﴿والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مُشرك﴾ بيانًا لما سكت عنه في الأول، فلو قال بالآخرة يوقنون أفاد بمنطوقه إيقانهم بها ومفهومه عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها، وليس ذلك مقصودًا بالذات، والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض فهو حصر مجازي وهو دون قولنا ﴿يوقنون بالآخرة﴾ لا بغيرها، فالضبط هذا، وإياك أن تجعل تقديره: لا يوقنون إلا بالآخرة.

إذا عرفت هذا فتقديم هم أفاد أن غيرهم ليس كذلك، فلو جعلنا التقدير: لا يوقنون إلا بالآخرة، كان المقصود المهم النفي فيتسلط المفهوم عليه، فيكون المعنى إفادة أن غيرهم يوقن بغيرها كما زعم المعارض وي طرح إفهام أنه لا يوقن بالآخرة، ولا شك أن هذا ليس بمراد، بل المراد إفهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة، فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم إثبات الإيقان بالآخرة ليتسلط المفهوم عليه، وأن المفهوم لا يتسلط على الحصر لأن الحصر لم يدل عليه بجملة واحدة مثل ما وإلا، ومثل إنما، وإنما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق،

وليس أحدهما متقيداً بالآخر حتى تقول إن المفهوم أفاد نفي الإيقان المحصور، بل أفاد نفي الإيقان مطلقاً عن غيرهم، وهذا كله على تقدير تسليم الحصر، ونحن نمنع ذلك ونقول: إنه اختصاص وإن بينهما فرقاً أهـ كلام السبكي.

## النوع السادس والخمسون: في الإيجاز والإطناب

اعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سرّ الفصاحة عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب. قال صاحب الكشاف: كما أنه يجب على البليغ في مضان الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع، أنشد الجاحظ:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء  
واختلف هل بين الإيجاز والإطناب واسطة وهي المساواة أولاً؟ وهي داخلة في قسم الإيجاز. فالسكاكي وجماعة على الأول، لكنهم جعلوا المساواة غير محودة ولا مذمومة لأنهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة.

### تعريف الإيجاز والإطناب:

وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقاً بالبسط. وابن الأثير وجماعة على الثاني فقالوا: الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، والإطناب بلفظ أزيد.

### طرق التعبير:

وقال القزويني: الأقرب أن يقال: إن المنقول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله، إما بلفظ مساو للأصل المراد، أو ناقص عنه واف، أو زائد عليه

لفائدة. والأول المساواة، والثاني الإيجاز، والثالث الإطناب. واحترز بواف عن الإخلال وبقولنا لفائدة عن الحشو والتطويل، فعنده ثبوت المساواة واسطة، وأنها من قسم المقبول. فإن قلت: عدم ذكر المساواة في الترجمة لماذا؟ هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها أو لأسر غير ذلك؟ قلت: لها ولأمر ثالث، وهو أن المساواة لا تكاد توجد خصوصاً في القرآن.

وقد مثل لها في التلخيص بقوله تعالى ﴿ولا يحيقُ المكرُ السيءُ إلا بأهله﴾ وفي الإيضاح بقوله ﴿وإذا رأيتَ الذينَ يخوضونَ في آياتِنَا﴾ وتعقب بأن في الآية الثانية حذف موصوف الذين، وفي الأولى إطناب بلفظ السيء لأن المكر لا يكون إلا سيئاً، وإيجاز بالحذف إن كان الاستثناء غير مفرغ: أي بأحد، وبالقصر في الاستثناء وبكونها حادثة على كف الأذى عن جميع الناس محذرة عن جميع ما يؤدي إليه، وبأن تقديرها يضرّ بصاحبه مضرة بليغة، فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيل لأن يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل الا في الأجسام.

### الفرق بين الإيجاز والاختصار:

[ تنبيه ] الإيجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح، وصرح به الطيبي. وقال بعضهم: الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز. قال الشيخ بهاء الدين: وليس بشيء. والإطناب قيل بمعنى الإسهاب، والحق أنه أخص منه، فإن الإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة، ذكره التنوخي وغيره.

### الإيجاز قسماً:

(فصل) الإيجاز قسماً: إيجاز قصر، وإيجاز حذف. فالأول هو الوجيز بلفظه. قال الشيخ بهاء الدين: الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول منه

فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاماً يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر.

وقال بعضهم: إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ. وقال آخر: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة، وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «أوتيت جوامع الكلم».

### الايجاز ثلاثة أقسام:

وقال الطيبي في التبيان: الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام أحدها: إيجاز القصر، وهو أن تقصر اللفظ على معناه كقوله ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله ﴿وَإِنِّي مُسْلِمِينَ﴾ جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة. وقيل في وصف بليغ: كانت ألفاظه قوالب معناه. قلت: وهذا رأي من يدخل المساواة في الإيجاز.

الثاني: إيجاز التقدير، وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق، ويسمى بالتضييق أيضاً وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح لأنه نقص من كلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه نحو ﴿فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي خطاياها غفرت فهي له لا عليه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى.

الثالث: الإيجاز الجامع: وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة نحو ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومي به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية. والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله «أن تعبد الله كأنك تراه» أي تعبد مخلصاً في نيتك وواقفاً في الخضوع آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿وَإِيتَاءَ ذِي الْقُرْبَى﴾ هو الزيادة على الواجب من النوافل، هذا في الأوامر، وأما النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة

الشهوانية، وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضب أو كل محرّم شرهاً، وبالبغي إلى الاستعلاء الفاض عن الوهمية.

قلت: ولهذا قال ابن مسعود: ما في القرآن آية أجمع للظير والشر من هذه الآية، أخرجه في المستدرک. وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن أنه قرأها يوماً ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

وروي أيضاً عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين «بعثت بجوامع الكلم» قال: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك، ومن ذلك قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الآية، فإنها جامعة لمكارم الأخلاق، لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف كف الأذى وغضّ البصر وما شاكلها من المحرمات، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة.

### أمثلة على الإيجاز:

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها فإنه نهاية التنزيه، وقد تضمنت الردّ على نحو أربعين فرقة، كما أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد. وقوله: ﴿وأخرج منها ماءها ومرعاها﴾ دلّ بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح، لأن النار من العيدان والملح من الماء. وقوله: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ جمع فيه جميع عيوب الخمر من الصداع وعدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب.

وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ الآية، أمر فيها ونهي وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقصّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام، وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف.

وفي العجائب للكرماني: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال.

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ الآية، جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام: نادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت. فالنداء يا، والكناية: أي، والتنبيه ها، والتسمية النمل، والأمر ادخلوا، والقصص مساكنكم، والتحذير لا يحطمنكم، والتخصيص سليمان، والتعميم جنوده، والإشارة وهم، والعذر لا يشعرون، فأدت خمس حقوق: حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيته وحق جنود سليمان.

وقوله ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية، جمع فيها أصول الكلام: النداء والعموم والخصوص والأمر والإباحة والنهي والخبر. وقال بعضهم: جمع الله الحكمة في شطر آية ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية، قال ابن العربي: هي من أعظم أي في القرآن فصاحة، إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان.

وقوله ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال ابن أبي الأصبغ: المعنى صرح بجميع ما أوحى إليك وبلغ كل ما أمرت ببيانه وإن شق بعض ذلك على بعض القلوب



فانصدعت، والمشابهة بينها فيما يؤثره التصريح في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة، فانظر إلى جليل هذه الاستعارة وعظم إيجازها وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة. وقد حكي أن بعض الأعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ قال بعضهم: جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه.

### مقارنة بين إيجاز القرآن وإيجاز سواه:

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ فإن معناه كثير ولفظه قليل، لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قَتِلَ كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياة لهم. وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم: القتل أنفى للقتل بعشرين وجهاً أو أكثر.

وقد أشار ابن الأثير إلى إنكار هذا التفضيل وقال: لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وإنما العلماء يقدهون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك.

الأول: أن ما يناظره من كلامهم وهو قولهم القصاص حياة أقل حروفاً، فإن حروفه عشرة وحروف القتل أنفى للقتل أربعة عشر.

الثاني: أن نفي القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصت على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

الثالث: أن تنكير حياة يفيد تعظيماً، فيدل على أن في القصاص حياة متطاولة كقوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ ولا كذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

الرابع: أن الآية فيه مطردة، بخلاف المثل فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أدعى له وهو القتل ظلماً وإنما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة أبداً.

الخامس: أن الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل، والخالي من التكرار أفضل من المشتمل عليه وإن لم يكن مخلاً بالفصاحة.

السادس: أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف، بخلاف قولهم فإن فيه حذف من التي بعد أفعال التفضيل وما بعدها، وحذف قصاصاً مع القتل الأول وظلماً مع القتل الثاني، والتقدير: القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه.

السابع: أن في الآية طباقاً، لأن القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل.

الثامن: أن الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة، ذكره في الكشاف، وعبر عنه صاحب الإيضاح بأنه جعل القصاص كالمنع للحياة والمعدن لها بإدخال في عليه.

التاسع: أن في المثل توالي أسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكره، فإن اللفظ المنطوق به إذا تواترت حركاته تمكن اللسان من النطق به وظهرت بذلك فصاحته، بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون فالحركات تنقطع بالسكنات، نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فحبست ثم تحركت فحبست لا تطيق إطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره فهي كالمقيدة.

العاشر: أن المثل كالتناقض من حيث الظاهر لأن الشيء لا ينفي نفسه.  
الحادي عشر: سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة  
وبعدها عن غنة النون.

الثاني عشر: اشتغالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف إلى  
الصاد، إذ القاف من حروف الاستعلاء والصاد من حروف الاستعلاء  
والإطباق، بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التي هي حرف منخفض فهو غير  
ملائم للقاف، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى  
الهمزة لبعدها ما دون طرف اللسان وأقصى الحلق.

الثالث عشر: في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت، ولا كذلك  
تكرير القاف والتاء.

الرابع عشر: سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة، بخلاف لفظ الحياة فإن  
الطباع أقبل له من لفظ القتل.

الخامس عشر: أن لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهو منبه عن العدل،  
بخلاف مطلق القتل.

السادس عشر: الآية مبنية على الإثبات والمثل على النفي، والإثبات أشرف  
لأنه أول والنفي ثانٍ عنه.

السابع عشر: أن المثل لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة.  
وقوله ﴿ في القصاص حَيَاة ﴾ مفهوم من أول وهلة.

الثامن عشر: أن في المثل بناء أفعال التفضيل من فعل متعدّد والآية سالمة منه.

التاسع عشر: أن أفعال في الغالب يقتضي الاشتراك فيكون ترك القصاص نافياً  
للقتل، ولكن القصاص أكثر نفيّاً وليس الأمر كذلك، والآية سالمة من ذلك.

العشرون: إن الآية رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما.

والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء لأن قطع العضو ينقص أو ينقص مصلحة الحياة وقد يسري إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل في أول الآية ﴿ولكم﴾ وفيها لطيفة وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجود فيمن سواهم.

### من أنواع الإيجاز (الإشارة):

[تبيهاات. الأول] ذكر قدامة من أنواع البديع الإشارة، وفسرها بالإتيان بكلام قليل ذي معان جمة. وهذا هو إيجاز القصر بعينه، لكن فرق بينها ابن أبي الأصبغ بأن الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة الإشارة إما تضمن أو التزام، فعلم منه أن المراد بها ما تقدم في مبحث المنطوق.

### من الإيجاز (التضمن):

الثاني: ذكر القاضي أبو بكر في إعجاز القرآن أن من الإيجاز نوعاً يسمى التضمن وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه. قال: وهو نوعان. أحدهما: ما يفهم من البينة كقوله معلوم فإنه يوجب أنه لا بد من عالم. والثاني: من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم، فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك باسمه.

### أنواع من الإيجاز:

الثالث: ذكر ابن الأثير وصاحب عروس الأفراح وغيرها أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر، سواء كان يالاً أو يائماً أو غيرهما من أدواته، لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين، وباب العطف لأن حرفه وضع للإغناء عن إعادة العامل، وباب النائب عن الفاعل لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه، وباب الضمير لأنه وضع الاستغناء به عن الظاهر اختصاراً ولذا

لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل، وباب علمت أنك قائم لأنه متحمل  
لاسم واحد سدّ مسدّ المفعولين من غير حذف.

ومنها باب التنازع إذا لم نقدر على رأي الفراء.

ومنها طرح المفعول اقتصاراً على جعل المتعدي كاللازم وسيأتي تحريره.

ومنها جمع أدوات الاستفهام والشرط، فإن كم مالك؟ يعني عن قولك أهو  
عشرون أم ثلاثون وهكذا إلى ما لا يتناهى.

ومنها الألفاظ اللازمة للعموم كأحد، ومنها لفظ التثنية والجمع فإنه يعني عن  
تكرير المفرد وأقيم الحرف فيها مقامه اختصاراً.

ومما يصلح أن يعدّ من أنواعه المسمى بالاتساع من أنواع البديع، وهو أن  
يأتي بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله ألفاظه من المعاني كفواتح السور،  
وذكره ابن أبي الأصبع.

### من فوائد الإيجاز:

القسم الثاني من قسمي الإيجاز: إيجاز الحذف، وفيه فوائد ذكر أسبابه.

### الاختصار:

ومنها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره. ومنها التنبية على أن  
الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت  
المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿ناقة  
الله وسقياها﴾ فناقة الله تحذير بتقدير ذروا، وسقياها إغراء بتقدير الزموا.

### التفخيم:

ومنها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام. قال حازم في منهاج البلغاء: إنما

يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء في تعدادها طول وسامة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها.

قال: ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله في وصف أهل الجنة ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ فحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك.

وكذا قوله ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ أي لرأيت أمراً فظيماً لا تكاد تحيط به العبارة.

### التخفيف:

ومنها: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو ﴿يوسف أعرض﴾ ونون ﴿لم يكن﴾ والجمع السالم، ومنه قراءة ﴿والمقيم الصلاة﴾ وياء ﴿والليل إذا يسر﴾ وسأل المورج السدوسي الأخص عن هذه الآية فقال: عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري وإنما يسري فيه نقص منه حرف كما قال تعالى ﴿وما كانت أمك بغياً﴾ الأصل بغية، فلما حوّل فاعل عن نقص منه حرف.

### حين يكون الإيجاز ضرورياً:

ومنها: كونه لا يصلح إلا له نحو ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ﴿فَعَالَ لَمَّا يُرِيدُ﴾.

## الشهرة:

ومنها: شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء. قال الزمخشري: هو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال، وحل عليه قراءة حمزة ﴿تساءلون به والأرحام﴾ لأن هذا مكان شهر بتكرر الجار فقامت الشهرة مقام الذكر.

## الصيانة:

ومنها: صيانتته عن ذكره تشريفاً كقوله تعالى ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات﴾ الآيات، حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب: أي ﴿هو رب﴾ و ﴿الله ربكم﴾ و ﴿الله رب المشرق﴾ لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخياً ومثله في عروس الأفرح بقوله تعالى ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ أي ذاتك.

## صيانة اللسان:

ومنها: صيانة اللسان عنه تحقيراً له نحو: ﴿صمُّ بكم﴾ أي هم أو المنافقون. ومنها: قصد العموم نحو: ﴿وإياك نستعين﴾ أي على العبادة وعلى أمورنا كلها: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ أي كل واحد. ومنها: رعاية الفاصلة نحو: ﴿ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى﴾ أي وما قلاك.

## قصد البيان:

ومنها: قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة نحو: ﴿فلو شاء هداكم﴾ أي لو شاء هدايتكم فإنه إذا سمع السامع ولو شاء تعلقت نفسه بما شاء انبهم عليه لا يدري ما هو، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك، وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها، وقد يكون مع غيرها

استدلالاً بغير الجواب نحو: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريباً أو عظيماً نحو: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ ﴿لو أردنا أن نتخذَ لهواً﴾ وإنما اطرء أو كثر حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء، فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب، ولذلك كانت الإرادة مثلها في اطرء حذف مفعولها، ذكره الزملكاني والتنوخي في الأقصى القريب. قالوا: وإذا حذف بعد لو فهو المذكور في جوابها أبداً. وأورد في عروس الأفراح: ﴿وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ فإن المعنى: لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة، لأن المعنى معين على ذلك.

[ فائدة ] قال الشيخ عبد القاهر: ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره، وسمى ابن جني الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام.

### حذف المفعول:

[ قاعدة ] في حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً. قال ابن هشام: جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً. ويريدون بالاختصار الحذف لدليل، ويريدون بالاختصار الحذف لغير دليل، ويمثلونه بنحو: ﴿كُلُوا واشربوا﴾ أي أوقعوا هذين الفعلين.

والتحقيق أن يقال: يعني كما قال أهل البيان: تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه ومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام فيقال حصل حريق أو نهب، وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفعل للفاعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوي إذ المنوي كالثابت، ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له.



## أمثلة على الحذف:

ومنه: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ إذ المعنى: ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة، وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم، وأوقعوا الأكل والشرب وذرّوا الإسراف، وإذا حصلت منك رؤية.

ومنه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ الآية، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمها إذ كانتا على صفة الزيادة وقومها على السقي لا لكون مذودها غنماً وسقيهم إبلاً، وكذلك المقصود من لا نسقي السقي لا المسقي، ومن لم يتأمل قدر يسقون إبلهم وتذودان غنمها ولا نسقي غنماً، وتارة يقصد إسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكران نحو: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا﴾ وهذا النوع الذي إذا لم يذكر محذوفه قيل محذوف.

وقد يكون اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿وَكَلَّاءَ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

وقد يشبه الحال في الحذف وعدمه نحو: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ قد يتوهم أن معناه نادوا فلا حذف، أو سموا فالحذف واقع.

## من شروط الحذف وجود الدليل:

ذكر شروطه: هي ثمانية. أحدها: وجود دليل إما حالي نحو: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي سلمنا سلاماً، أو مقالي نحو: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أي أنزل خيراً: ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ﴾ أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون.

## الدليل العقلي والشرهي:

ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف، ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه، بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ فإن العقل يدل على أنها ليست المحرمة، لأن التحريم لا يضاف إلى الإجمام وإنما هو والحل يضافان إلى الأفعال، فعلم بالعقل حذف شيء.

وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع وهو قوله ﷺ «إنما حرم أكلها» لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة. وأما قول صاحب التلخيص أنه من باب دلالة العقل أيضاً فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على أصول المعتزلة.

وتارة يدل العقل أيضاً على التعيين نحو: ﴿وجاء ربك﴾ أي أمره بمعنى عذابه، لأن العقل دلّ على استحالة مجيء الباري لأنه من سمات الحادث وعلى أن الجاني أمره: ﴿أوفوا بالعقود﴾ ﴿وأوفوا بعهدي الله﴾ أي بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله، لأن العقد والعهود قولان قد دخلا في الوجود وانقضيا فلا يتصور فيهما وفاء ولا نقض، وإنما الوفاء والنقض بمقتضاها وما ترتب عليهما من أحكامها.

## العادة دليل:

وتارة تدل على التعيين العادة نحو: ﴿فذلكن الذي لمتني فيه﴾ دل العقل على الحذف لأن يوسف لا يصح ظرفاً للوم، ثم يحتمل أن يقدر لمتني في حبه لقوله: ﴿قد شغفها حباً﴾ وفي مرادتها لقوله: ﴿تراود فتاها﴾ والعادة دلت على الثاني، لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة لأنه ليس اختيارياً. بخلاف

المرادة للقدرة على دفعها. وتارة يدل عليه التصريح به في موضع آخر وهو أقواها نحو: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ أي أمره بدليل: ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ ﴿وجنة عرضها السموات﴾ أي كعرض بدليل التصريح به في آية الحديد: ﴿رسول من الله﴾ أي من عند الله، وبدليل: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾.

ومن الأدلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف نحو ﴿نعم قتالاً لأتبعناكم﴾ أي مكان قتال، والمراد مكاناً صالحاً للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال، ويتعيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا لو نعم حقيقة القتال: فلذلك قدره مجاهد مكان قتال، ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي ﷺ أن لا يخرج من المدينة.

### الشروع دليل:

ومنها: الشروع في الفعل نحو بسم الله، فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له، فإن كانت عند الشروع في القراءة قدرت اقرأ، أو الأكل قدرت أكل، وعلى هذا أهل البيان قاطبة خلافاً لقول النحاة: إنه يقدر ابتدأت أو ابتدائي كائن بسم الله، ويدل على صحة الأول التصريح به في قوله: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾ وفي حديث: «باسمك ربي وضعت جنبي».

### الدليل الصناعة النحوية:

ومنها: الصناعة النحوية كقولهم في ﴿لا أقسم﴾ التقدير: لأننا أقسم، لأن فعل الحال لا يقسم عليه، وفي ﴿تالله تفتؤ﴾ التقدير: لا تفتؤ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتاً دخلت اللام والنون كقوله: ﴿وتالله لأكيدن﴾ وقد توجب الصناعة

التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم في لا إله إلا الله: إن الخبر محذوف: أي موجود، وقد أنكره الإمام فخر الدين. وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقدير النحاة فاسد لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر. وردّ بأن تقديرهم موجود يستلزم نفي كل إله غير الله قطعاً، فإن العدم لا كلام فيه، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة، ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر، وإنما يقدر النحو ليعطي القواعد حقها وإن كان المعنى مفهوماً.

### شروط الدليل:

[تنبيه] قال ابن هشام: إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها أو أحد ركنيها أو يفيا معنى فيها هي مبنية عليه نحو: ﴿تَاللّٰهِ تَفْتَوُ﴾ أما الفصلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل، بل يشترط أن لا يكون في حذفها ضرر معنوي أو صناعي.

قال: ويشترط في الدليل اللفظي أن يكون طبق المحذوف. وردّ قول القراء في: ﴿أَيْحَسْبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ﴾ أن التقدير: بلى ليحسبنا قادرين، لأن الحسبان المذكور بمعنى الظن والمقدر بمعنى العلم، لأن التردّد في الإعادة كفر فلا يكون مأموراً به. قال: والصواب فيها قول سيبويه: إن قادرين حال: أي بلى نجمعها قادرين، إذ فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان، ولأن بلى لإيجاب المنفي وهو فيها فعل الجمع.

### من شروط الحذف ايضاً:

الشرط الثاني: أن لا يكون المحذوف كالجزء، ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا

نائبه ولا اسم كان وأخواتها. قال ابن هشام: وأما قول ابن عطية في بئس مثل القوم: إن التقدير بئس المثل مثل القوم، فإن أراد تفسير الإعراب وأن الفاعل لفظ المثل محذوفاً فمردود، وإن أراد تفسير المعنى وأن في بئس ضمير المثل مستتراً فسهل.

### من شروط الحذف ان لا يكون المحذوف مؤكداً:

الثالث: أن لا يكون مؤكداً لأن الحذف منافي للتأكيد، إذ الحذف مبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول، ومن ثم ردة الفارسي على الزجاج في قوله في: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾ أن التقدير: إن هذان لها ساحران، فقال: الحذف والتوكيد باللام متنافيان، وأما حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينها لأن المحذوف لدليل كالثابت.

الرابع: أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ومن ثم لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل.

الخامس: أن لا يكون عاملاً ضعيفاً فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل.

السادس: أن لا يكون المحذوف عوضاً عن شيء، ومن ثم قال ابن مالك: إن حرف النداء ليس عوضاً عن ادعو لإجازة العرب حذفه، ولذا أيضاً لم تحذف التاء من إقامة واستقامة، وأما ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ فلا يقاس عليه، ولا خبر كان لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها.

السابع: أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل القوي، ومن ثم لم يقس على قراءة: ﴿وَكَلَّاءَ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

[فائدة] اعتبر الأخصش في الحذف التدريج حيث أمكن، ولهذا قال في قوله

تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ أن الأصل لا تجزي فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه، ثم حذف الضمير فصار تجزي، وهذه ملاطفة في الصناعة، ومذهب سيبويه أنها حذفاً معاً. قال ابن جني: وقول الأخفش أوفق في النفس وأنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

### الأصل تقدير المحذوف:

[قاعدة] الأصل أن يقدر الشيء في مكانه الأصلي لئلا يخالف الأصل من وجهين: الحذف، ووضع الشيء في غير محله، فيقدر المفسر في نحو: زيدا رأيتة مقدماً عليه، وجوز البيانون تقديره مؤخراً عنه لإفادة الاختصاص كما قاله النحاة إذا منع منه مانع نحو: ﴿وأما ثمودُ فهديناهاهم﴾ إذ لا يلي «أما» فعل.

### يجب تقليل المقدر:

[قاعدة] ينبغي تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل، ومن ثم ضعف قول الفارسي في: ﴿واللائي لم يحضن﴾ أن التقدير: فعدتهن ثلاثة أشهر، والأولى أن يقدر كذلك.

قال الشيخ عز الدين: ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها، لأن العرب لا يقدرّون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به نحو: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ قدر أبو علي جعل الله نصب الكعبة، وقدر غيره حرمة الكعبة، وهو أولى لأن تقدير الحرمة في الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته، وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة.

### يجب تقدير الأحسن:

قال: ومهما تردّد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن، لأن

الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات. قال: ومتى تردّد بين أن يكون مجملاً أو مبيناً فتقدير المبين أحسن، ونحو: ﴿وداودَ وسلیمانَ إِذْ يُحْكَمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ لك أن تقدر في أمر الحرث وفي تضمين الحرث، وهو أولى لتعينه والأمر مجمل لتردده بين أنواع.

[قاعدة] إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً وكونه مبتدأ والباقي خبراً فالثاني أولى، لأن المبتدأ عين الخبر، وحينئذ فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفاً كلا حذف، فأما الفعل فإنه غير الفاعل، اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع أو بموضع آخر يشبهه، فالأول كقراءة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ بفتح الباء: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ بفتح الحاء، فإن التقدير: يسبحه رجال ويوحيه الله، ولا يقدران مبتدآن بحذف خبرهما لشبوت فاعلية الاسمين في رواية من بنى الفعل للفاعل. والثاني نحو: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فتقدير خلقهم الله أولى من الله خلقهم لمجيء ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

### إذا جاز حذف اثنين فحذف الثاني أولى:

[قاعدة] إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً فكونه ثانياً أولى، ومن ثم رجح أن المحذوف في نحو: ﴿أَتَحَاجُونِي﴾ نون الوقاية لا نون الرفع، وفي: ﴿نَارًا تَلْتَظِي﴾ التاء الثانية لا تاء المضارعة، وفي: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ أن المحذوف خبر الثاني لا الأول، وفي نحو: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ أن المحذوف مضاف للثاني: أي حج أشهر لا الأول: أي أشهر الحج، وقد يجب كونه من الأول نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ في قراءة من رفع ملائكته لاختصاص الخبر بالثاني لوروده بصيغة الجمع، وقد يجب كونه من الثاني

نحو: ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ أي بريء أيضاً لتقدم الخبر على الثاني.

### انواع الحذف: (الاقتطاع)

(فصل) الحذف على أنواع. أحدها: ما يسمى بالاقطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة، وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن، وردّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من أسمائه كما تقدم، وادعى بعضهم أن الباء في: ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ أول كلمة بعض ثم حذف الباقي، ومنه قراءة بعضهم: ﴿وتنادوا يا مال﴾ بالترخيم، ولما سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم. وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة.

ويدخل في هذا النوع حذف همزة إنا في قوله: ﴿لكننا هو الله ربي﴾ إذ الأصل لكن أنا، حذفت همزة أنا تخفيفاً وأدغمت النون في النون، ومثله ما قرئ: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾ ﴿بما أنزل إليك﴾ ﴿فمن تعجل في يومين فلم عليه﴾ ﴿إنها لحدى الكبر﴾.

### الاكتفاء:

النوع الثاني: ما يسمى بالاكتفاء، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالباً بالارتباط العطفية كقوله: ﴿سراييل تقيكم الحر﴾ أي والبرد، وخص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشدّ عندهم من البرد وقيل لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾.



وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ومن أمثلة هذا النوع: ﴿بيدك الخير﴾ أي والشر، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن إضافة الشرّ إلى الله تعالى ليس من باب الآداب كما قال ﷺ «والشرّ ليس إليك».

ومنها: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي وما تحرّك، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرّك يصير إلى السكون.

ومنها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي والشهادة، لأن الإيمان بكل منها واجب، وآثر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس.

ومنها: ﴿وَرَبَّ الْمَشَارِقِ﴾ أي والمغرب. ومنها: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي وللكافرين، قاله ابن الأنباري، ويؤيده قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾. ومنها: ﴿إِن أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي ولا والد، بدليل أنه أوجب للأخت النصف، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها.

### الاحتباك:

النوع الثالث: ما يسمى بالاحتباك وهو من اللفظ الأنواع وأبداعها، وقلّ من تنبه له أو نبه عليه من أهل فنّ البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي، وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلي، وأفردته في التصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي.

قال الأندلسي في شرح البديعية: من أنواع البديع الاحتباك، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول كقوله تعالى: ﴿وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ الآية، التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه. وقوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ﴾ التقدير تدخل غير بيضاء، وأخرجها تخرج بيضاء، فحذف من الأول تدخل غير بيضاء، ومن الثاني وأخرجها.

وقال الزركشي: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ التقدير: إن افتريته فعلي إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون.

وقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ التقدير: ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم.

وقوله: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ. فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ أي حتى يطهرن من الدم ويتطهرن بالماء، فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن.

وقوله: ﴿وَخَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ أي عملاً صالحاً بسيئاً وآخر سيئاً بصالح.

قلت: ومن لطيفه قوله: ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ أي فتنة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت.

وفي الغرائب للكرماني: في الآية الأولى التقدير: مثل الذي كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغ ما يكون من الكلام انتهى.

ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدة والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب: سده ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق. وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرقة، فسده بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق.

### الاختزال:

النوع الرابع: ما يسمى بالاختزال، وهو ما ليس واحداً مما سبق، وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر.

### حذف الاسم:

أمثلة حذف الاسم: حذف المضاف، وهو كثير في القرآن جداً، حتى قال ابن جني: في القرآن منه زهاء ألف موضع، وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه [المجاز على ترتيب السور والآيات] ومنه: ﴿الحجُّ أشهرٌ﴾ أي حج أشهراً أو أشهر الحج: ﴿ولكن البرّ من آمن﴾ أي ذا البر أو برّ من ﴿حرّمت عليكم أمهاتكم﴾ أي نكاح أمهاتكم: ﴿لأذقناكم ضعف الحياة وضعف المات﴾ أي ضعف عذاب: ﴿وفي الرقاب﴾ أي وفي تحرير الرقاب.

وحذف المضاف إليه يكثر في بياء المتكلم نحو: ﴿رب اغفر لي﴾.

وفي الغايات نحو: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي من قلب الغلب ومن بعده. وفي كل وأي وبعض، وجاء في غيرهن كقراءة ﴿فلا خوف عليهم﴾ بضم بلا تنوين: أي فلا خوف شيء عليهم.

حذف المبتدأ يكثر في جواب الاستفهام نحو: ﴿وما أدرَاك ما هي نار﴾ أي هي نار. وبعد فاء الجواب نحو: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ أي فعله لنفسه: ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي فإساءته عليها. وبعد القول نحو: ﴿وقالوا أساطيرُ الأولين﴾ ﴿قالوا أضغاثُ أحلامٍ﴾ وبعدهما الخبر صفة له في المعنى نحو: ﴿التائبون العابدون﴾ ونحو: ﴿صمُّ بكم عمي﴾ ووقع في غير ذلك نحو: ﴿لا يعزُّنك تقلُّبُ الذين كفروا في البلادِ متاعٌ قليلٌ﴾ ﴿لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغ﴾ أي هذا ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه.

ووجب في النعت المقطوع إلى الرفع حذف الخبر: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ أي دائم، ويحتمل الأمرين: ﴿فصبرٌ جميل﴾ أي أجل أو فأمرى صبر: ﴿فتحريرُ رقية﴾ أي عليه. أو فالواجب حذف الموصوف: ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي حور قاصرات: ﴿أن تعمل سابعات﴾ أي دروعاً سابعات: ﴿أيها المؤمنون﴾ أي القوم المؤمنون.

حذف الصفة: ﴿ياخذُ كلَّ سفينة﴾ أي صالحة بدليل أنه قرىء كذلك، وأن تعيبها لا يخرجها عن كونها سفينة ﴿الآن جئت بالحق﴾ أي الواضح: ﴿وإلا لكفروا﴾ بمفهوم ذلك: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أي نافعاً.

حذف المعطوف عليه: ﴿أن اضرب بعصاك البحرَ فانفلق﴾ أي فضرب فانفلق.

وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففي تخريجه وجهان. أحدهما: أن يكون تعليلاً معلله محذوف كقوله: ﴿وليبلي المؤمنين منه تلاء حسناً﴾ فالمعنى:

وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك . والثاني: أنه معطوف على علة أخرى مضمرة لتظهر صحة العطف: أي فعل ذلك: ﴿لِيُذِيقَ الْكَافِرِينَ بَأْسَهُ وَلِيُبَلِّغَ﴾ حذف المعطوف مع العاطف: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أي ومن أنفق بعده: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أي والشر .

حذف المبدل منه خرج عليه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ﴾ أي لما تصفه ، والكذب بدل من الهاء .

حذف الفاعل لا يجوز إلا في فاعل المصدر نحو: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي دعائه الخير ، وجوزه الكسائي مطلقاً لدليل وخرج عليه: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي﴾ أي الروح: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أي الشمس .

حذف المفعول تقدم أنه كثير في مفعول المشيئة والإرادة ويرد في غيرها نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ أي إلهاً: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي عاقبة أمرهم .

حذف الحال يكثر إذا كان قولاً نحو: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٍ﴾ أي قائلين .

حذف المنادى: ﴿أَلَا يَا أَسْجُدُوا﴾ أي يا هؤلاء - ليت - أي يا قوم .

حذف العائد يقع في أربعة أبواب الصلة نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ أي بعثه . والصفة نحو: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ أي فيه . والخبر نحو: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي وعده .

والحال حذف مخصوص نعم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي أيوب: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ أي نحن: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ أي الجنة .

حذف الموصول: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي والذي أنزل

إليكم، لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا، ولهذا أعيدت ما في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

### حذف الفعل:

أمثلة: حذف الفعل يطرد إذا كان مفسراً نحو: ﴿وإن أَحَدًا منَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ ﴿إذا السَّيِّئَاتُ انشَقَّتْ﴾ ﴿قل لو أنتم تَمْلِكُونَ﴾ ويكثر في جواب الاستفهام نحو: ﴿وإذا قِيلَ لَهُمَ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أي أنزل وأكثر منه.

حذف القول نحو: ﴿وإذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا﴾ أي يقولان ربنا. قال أبو علي: حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج.

ويأتي في غير ذلك نحو: ﴿انتهوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ أي واثتوا: ﴿والذين تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ أي وألفوا الإيمان أو اعتقدوا ﴿أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ أي وليسكن زوجك: ﴿وامراته حَمَالَةَ الحَطَبِ﴾ أي أذم: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ أي أمدح: ﴿ولكن رسول الله﴾ أي كان: ﴿وإن كُلُّ لَمَّا﴾ أي يوفوا أعمالهم.

### حذف الحرف:

أمثلة حذف الحرف. قال ابن جني في المحتسب: أخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس، لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به.

حذف همزة الاستفهام. قرأ ابن محيصن: ﴿سواء عليهم أنذرتهم﴾ وخرج عليه: ﴿هذا ربي﴾ في المواضع الثلاثة ﴿وتلك نعمة تمنها﴾ أي أو تلك.

**حذف الموصول الحرفي.** قال ابن مالك: لا يجوز إلا في أن نحو: ﴿ومن آياته يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾.

**حذف الجار يطرد مع أن وأن - نحو:** ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا بِلِ اللَّهِ يُؤْمِنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾ ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ أي بأنكم، وجاء مع غيرها نحو: ﴿قَدَّرْنَا لَهُ مَنَازِلَ﴾ أي قدرنا له: ﴿وَيَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾ أي لها: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي يخوفكم بأوليائه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه: ﴿وَلَا تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ﴾ أي على عقدة النكاح.

**حذف العاطف خرج عليه الفارسي:** ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قَلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾ أي وقلت: ﴿وَجُودًا يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةً﴾ أي ووجوه عطفاً على: ﴿وَجُودًا يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةً﴾.

**حذف فاء الجواب، خرج عليه الأخفش:** ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدِينَ﴾.

**حذف حرف النداء كثير:** ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ﴾ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾ قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي العجائب للكرماني: كثر حذف يا في القرآن من الرب تنزيهاً وتعظيماً، لأن في النداء طرفاً من الأمر.

**حذف قد في الماضي إذا وقع حالاً نحو:** ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾.

**حذف لا النافية يطرد في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعاً نحو:** ﴿تَاللَّهِ تَفْتَنُوا﴾ وورد في غيره نحو: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ أي لا يطيقونه: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لئلا تميد.

حذف لام التوطئة: ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن﴾ ﴿وإن أطمعتموهم إنكم لمشركون﴾.

حذف لام الأمر خرج عليه: ﴿قل لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾ أي ليقموا ..

حذف لام لقد يحسن مع طول الكلام نحو: ﴿قد أفلح من زكّاه﴾.

حذف نون التوكيد خرج عليه قراءة: ﴿ألم نشرح﴾ بالنصب.

حذف نون الجمع خرج عليه قراءة: ﴿وما هم بضارّي به من أحدٍ﴾.

حذف التنوين خرج عليه قراءة: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد﴾ ﴿والليل سابق النهار﴾ بالنصب.

حذف حركة الإعراب والبناء خرج عليه قراءة ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ ﴿ويأمركم﴾ ﴿وبعولتهن أحق﴾ بسكون الثلاثة، وكذا: ﴿أو يغفوا الذي بيده عقدة النكاح﴾ ﴿فأواري سوة أخي﴾ ﴿ما بقي من الربا﴾.

حذف أكثر من كلمة:

أمثلة، حذف أكثر من كلمة، حذف مضافين: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ أي من أثر حافر فرس الرسول: ﴿تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ أي كدوران عين الذي: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي بدل شكر رزقكم.

حذف ثلاثة متضايقات: ﴿فكان قاب قوسين﴾ أي فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب.

حذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها.

حذف مفعولي باب فتن: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي



ترعمونهم شركائي .

حذف الجار مع المجرور: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي بشيء: ﴿وآخر  
سيئًا﴾ أي بصالح .

حذف العاطف مع المعطوف تقدم .

حذف حرف الشرط وفعله يطرد بعد الطلب نحو: ﴿فاتبعوني يحبيكمُ  
اللهُ﴾ أي إن اتبعتموني: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي إن  
قلت لهم يقيموا، وجعل منه الزمخشري: ﴿فلن يخلفَ الله عهدَهُ﴾ أي إن اتخذتم  
عند الله عهداً فلن يخلف الله، وجعل منه أبو حيان: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ  
قَبْلِ﴾ أي إن كنتم آمنتم بما أنزل إليكم فلم تقتلون .

حذف جواب الشرط: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا  
فِي السَّمَاءِ﴾ أي فافعل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تُرْحَمُونَ﴾ أي أعرضوا بدليل ما بعده: ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي تطيرتم: ﴿وَلَوْ جِئْنَا  
بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي لنفد: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ أي  
لرأيت أمراً فظيماً ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ ﴿وَإِنْ اللَّهُ رَمَى  
رَحِيمٍ﴾ أي لعذبكم ﴿لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ أي لأبدت به ﴿لَوْ لَا رَجُلٌ  
مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي لسלטكم على أهل مكة .

حذف جملة القسم ﴿لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي والله .

حذف جوابه ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ الآيات: أي لتبعثن ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي  
الذِّكْرِ﴾ أي إنه لمعجز ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ أي ما الأمر كما زعموا .

حذف جملة مسببة عن المذكور نحو: ﴿لِيَحِقَّ الْحَقَّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ﴾ أي  
فعل ما فعل .

حذف جمل كثيرة نحو: ﴿فَأَرْسَلُونَ يُوسُفَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي فأرسلون

إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا، فأتاه فقال له يا يوسف.

### يقام شيء مقام المحذوف والعكس:

[ خاتمة ] تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم، وتارة يقام ما يدل عليه نحو: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم، وإنما التقدير: فإن تولوا فلا لوم علي أو فلا عذر لكم لأنني أبلغتكم: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي فلا تخزن واصبر، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ﴾ أي يصيبهم مثل ما أصابهم.

### أقسام الاطناب ( البسط والزيادة ):

(فصل) كما انقسم الإيجاز إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف كذلك انقسم الإطناب إلى بسط وزيادة فالأول الإطناب بتكثير الجمل كقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية في سورة البقرة، أطنب فيها أبلغ إطناب لكون الخطاب مع الثقلين، وفي كلِّ عصر وحين للعالم منهم والجاهل، والموافق منهم والمنافق.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فقوله ويؤمنون به إطناب لأن إيمان حملة العرش معلوم، وحسنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه.

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وليس من المشركين مزك، والنكتة الحث للمؤمنين على أداؤها والتحذير من المنع، حيث جعل من أوصاف المشركين. والثاني يكون بأنواع:

## الزيادة بحرف أو أكثر من حروف التأكيد :

[ أحدها ] دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات ، وهي أن وأنّ ولام الابتداء والقسم وألا الاستفاحية وأما وهاء التنبيه وأن وكان في تأكيد التشبيه ، ولكن في تأكيد الاستدراك ، وليت في تأكيد التمني ، ولعل في تأكيد الترجي ، وضمير الشأن وضمير الفصل ، وأما في تأكيد الشرط ، وقد والسين وسوف والنونان في تأكيد الفعلية ، ولا التبرئة ، ولن ولما في تأكيد النفي ، وإنما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكرأ أو متردداً .

ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوه في المرة الأولى : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾ فأكد يان واسمية الجملة ، وفي المرة الثانية : ﴿ رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ فأكد بالقسم وإن واللام وإسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا : ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلْنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ .

وقد يؤكد بها والمخاطب به غير منكر لعدم جريه على مقتضى إقراره فينزل منزلة المنكر .

وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لأن معه أدلة ظاهرة لو تأملها لرجع عن إنكاره ، ولذلك يخرج قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيُتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ أكد الموت تأكيداً وإن لم ينكر لتنزيل المخاطبين لتأديهم في الغفلة تنزيل من ينكر الموت ، وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان أشد نكيراً ، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بأن لا ينكر ، فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثاً لهم على النظر في أدلته الواضحة .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ نفى عنه الريبة بلا على سبيل الاستغراق مع أنه ارتاب فيه المرتابون ، لكن نزل منزلة العدم تعويلاً على ما يزيله من الأدلة

الباهرة كما نزل الإنكار منزلة عدمه لذلك .

وقال الزمخشري: بولغ في تأكيد الموت تنبيهاً للإنسان على أن يكون الموت نصب عينيه، ولا يغفل عن ترقبه فإن مآله إليه، فكأنه أكدت جملة ثلاث مرات لهذا المعنى، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي حتى كأنه يخلد، ولم يؤكد جملة البعث إلا بأن لأنه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل إنكاراً.

وقال التاج بن الفركاخ: أكد الموت ردّاً على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنساني خلفاً عن سلف، واستغنى عن تأكيد البعث هنا لتأكيد الرّد على منكره في مواضع كقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾.

وقال غيره: لما كان العطف يقتضي الاشتراك استغنى عن إعادة اللام. لذكرها في الأول، وقد يؤكد بها: أي باللام للمستشرق الطالب الذي قدم له ما يلوح بالخبر فاستشرفت نفسه إليه نحو: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي لا تدعني يا نوح في شأن قومك، فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحاً ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكوماً عليهم بذلك أو لا - ﴿فَقِيلَ إِنَّهُمْ مَغْرُقُونَ﴾ بالتأكيد.

وكذا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ لما أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها والعقاب على تركها محله الآخرة تشوّقت نفوسهم إلى وصف حال الساعة فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ بالتأكيد ليتقرّر عليه الوجوب.

وكذا قوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ فيه تحيير للمخاطب وتردد في أنه كيف لا يبرئ نفسه وهي برية زكية ثبتت عصمتها وعدم مواقعتها السوء، فأكدته بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

وقد يؤكد لقصد الترغيب نحو: ﴿فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ أكد بأربع تأكيدات ترغيباً للعباد في التوبة، وقد سبق على أدوات التأكيد المذكورة ومعانيها ومواقعها في النوع الأربعين.

[ فائدة ] إذا اجتمعت إن واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات لأن إن أفادت التكرير مرتين، فإذا دخلت اللام صارت ثلاثاً. وعن الكسائي أن اللام لتوكيد الخبر وإن لتوكيد الاسم، وفيه تجوز لأن التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر، وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثاً والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين. وقال سيوييه في نحو: ﴿يا أيها﴾ الألف والهاء لحقتا أيا توكيداً، فكانك كررت يا مرتين وصار الاسم تنبيهاً، هذا كلامه، وتابعه الزمخشري.

[ فائدة ] قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ قال الجرجاني في نظم القرآن: ليست اللام فيه للتأكيد فإنه منكر، فكيف يحقق ما ينكر؟ وإنما قاله حكاية لكلام النبي ﷺ الصادر منه بأداء التأكيد فحكاها فنزلت الآية على ذلك.

### دخول الأحرف الزائدة:

[ النوع الثاني: دخول الأحرف الزائدة ]: قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى. وقال الزمخشري في كشفه القديم: الباء في خبر ما وليس لتأكيد النفي، كما أن اللام لتأكيد الإيجاب.

وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاطه لا يخل بالمعنى فقال: هذا يعرفه أهل الطباع، يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدون إسقاطه. قال: ونظيره العارف بوزن الشعر طبعاً إذا تغير عليه البيت بنقص أنكره. وقال: أجد

نفسى على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه.

ثم باب الزيادة في الحروف وزيادة الأفعال قليل والأسماء أقل. أما الحروف فيزاد منها إن وإنّ وإذ وإذا وإلى وأم والباء والفاء وفي والكاف واللام ولا وما ومن والواو، وتقدمت في نوع الأدوات مشروحة.

وأما الأفعال فزيد منها كان وخرج عليه: ﴿كَيْفَ نَكَلَّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وأصبح وخرج عليه ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

وقال الرماني: العادة أن من به علة تزداد بالليل أن يرجو الفرج عند الصباح، فاستعمل أصبح لأن الخسران حصل لهم في الوقت الذي يرجون فيه الفرج فليست زائدة.

وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على أنها لا تزداد. ووقع في كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة في مواضع كلفظ مثل في قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ﴾ أي بما.

### التأكيد الصناعي:

[ النوع الثالث: للتأكيد الصناعي ] وهو أربعة أقسام.

### التوكيد المعنوي:

أحدها: التوكيد المعنوي: بكل وأجمع وكلا وكلتا نحو: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ وفائدته رفع توهم المجاوز وعدم الشمول. وادعى الفراء أن كلهم أفادت ذلك، وأجمعون أفادت اجتماعهم على السجود، وأنهم لم يسجدوا متفرقين.

## التوكيد اللفظي:

ثانيها: التأكيد اللفظي، وهو تكرار اللفظ الأول إما بمرادفه نحو: ﴿ضَيْقًا حَرَجًا﴾ بكسر الراء ﴿غَرَابِيبُ سُودٍ﴾ وجعل منه الصفار في: ﴿مَا أَنْ مَكَّنَّاهُمْ فِيهِ﴾ على القول بأن كليهما للنفي، وجعل منه غيره ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ليس وراءها هنا ظرفاً، لأن لفظ أرجعوا ينبيء عنه، بل هو اسم فعل بمعنى أرجعوا، فكأنه قال: أرجعوا أرجعوا.

وأما بلفظه ويكون في الاسم والفعل والحرف والجملة، فالاسم نحو: ﴿قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ﴾ ﴿دَكَاً دَكَاً﴾.

والفعل ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ﴾.

واسم الفعل نحو ﴿هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾.

والحرف نحو: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ﴾.

والجملة نحو ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

والأحسن اقتران الثانية بـثم نحو: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿إِذْ هَبَّتْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ﴾.

ومنه تأكيد المنفصل بمثله ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

## تأكيد الفعل بمصدره:

ثالثها: تأكيد الفعل بمصدره، وهو عرض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته

رفع توهم المجاز في الفعل، بخلاف التوكيد السابق فإنه لرفع توهم المجاز في المسند إليه، كذا فرق به ابن عصفور وغيره، ومن ثم ردّ بعض أهل السنة على بعض المعتزلة في دعواه نفي التكليم حقيقة بقوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ لأن التوكيد رفع المجاز في الفعل، ومن أمثله ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿تَمُورُ السَّمَاءِ مَوْرًا﴾ وتسيرُ الجبالُ سيرًا ﴿جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ وليس منه ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ بل هو جمع ظن لاختلاف أنواعه.

وأما ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فيحتمل أن يكون منه، وأن يكون الشيء بمعنى الأمر والشأن، والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد نحو: ﴿اذكروا الله ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿وسرّحوهنّ سراحاً جيلاً﴾.

وقد يضاف وصفه إليه نحو: ﴿اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ﴾.

وقد يؤكد بمصدر فعل آخر واسم عين نيابة عن المصدر نحو: ﴿وتبتلّ إليه تبتيلًا﴾ والمصدر تبتلاً، والتبتيل مصدر بتل ﴿أُنْبِتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي إنباتًا، إذ النبات اسم عين.

### التأكيد بالحال:

رابعها: الحال المؤكدة نحو: ﴿يَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾ ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وليس منه ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا﴾ لأن التولية قد لا تكون إداراً بدليل قوله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولا ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا﴾ لأن التبسم قد لا يكون ضحكاً، ولا وهو الحقُّ مصدقاً ﴿لاختلاف المعنيين، إذ كونه حقاً في نفسه غير كونه مصدقاً لما قبله.



## من أنواع الزيادة ( التكرير ) :

[ النوع الرابع : التكرير ] وهو أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط . وله فوائد .

### فوائد التكرير :

منها : التقرير ، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد نبه تعالى عن السبب الذي لأجله كثر الأقاويص والإنذار في القرآن بقوله : ﴿ وصرّفنا فيه من الوعيدِ لعلم يتقون ﴾ ﴿ أو يُحدِث لهم ذِكْراً ﴾ .

ومنها : التأكيد . ومنها : زيادة التسيب على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، ومنه : ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ فإنه كثر فيه النداء لذلك .

ومنها : إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديداً لعهد ، ومنه : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها ﴾ ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها ﴾ ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله إلى قوله : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم ﴾ .

ومنها : التعظيم والتهويل نحو : ﴿ الحاقة ما الحاقة ﴾ ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ . فإن قلت : هذا النوع أحد أقسام النوع الذي قبله فإن منها التأكيد بتكرار اللفظ فلا يحسن عده نوعاً مستقلاً . قلت : هو يجامعه ويفارقه ويزيد عليه وينقص عنه فصار أصلاً برأسه ، فإنه قد

يكون التأكيد تكراراً كما تقدم في أمثله، وقد لا يكون تكراراً كما تقدم أيضاً، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيداً للتأكيد معنى.

ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده نحو: ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعدية﴾ ﴿واتقوا الله إن الله اصطفىك وطهرتك واصطفىك على نساء العالمين﴾ فإن هذه الآيات من باب التكرير لا التأكيد اللفظي الصناعي، ومنه الآيات المتقدمة في التكرير للطول.

ومنه ما كان لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول.

### التأكيد لا يزيد على ثلاثة:

وهذا القسم يسمى بالترديد كقوله: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري﴾ وقع فيها التردد أربع مرات، جعل منه قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة، لأن التأكيد لا يزيد عليها، قاله ابن عبد السلام وغيره، وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النعمة للتحذير نعمة.

وقد سئل: أي نعمة في قوله ﴿كل من عليها فان﴾ فأجيب بأجوبة أحسنها: النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر. وكذا قوله ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ في سورة المرسلات، لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول، فكانه قال عقب كل قصة: ويل يومئذ للمكذبين، بهذه القصة

### أمثلة للتكرار:

وكذا قوله في سورة الشعراء ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين

وإن ربك هو العزيزُ الرحيمُ ﴿﴾ كررت ثماني مرات، كل مرة عقب كل قصة، فالإشارة في كل واحد بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر.

وقوله ﴿﴾ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿﴾ إلى قومه خاصة، وما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا، أتى بوصفي العزيز الرحيم للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم والرحمة لمن آمن.

وكذا قوله في سورة القمر ﴿﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿﴾ وقال الزمخشري: كرّر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاضاً وتنبهياً، وأن كلاً من تلك الأنباء يستحق لاعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة.

قال في عروس الأفراح: فإن قلت: إذا كان المراد بكل ما قبله فليس ذلك بإطناب بل هي ألفاظ، كل أريد به غير ما أريد الآخر. قلت: إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر، ولكن كرّر ليكون نصّاً فيما يليه وظاهراً في غيره. فإن قلت: يلزم التأكيد. قلت: والأمر كذلك، ولا يرّد عليه أن التأكيد لا يزداد به عن ثلاثة لأن ذاك في التأكيد الذي هو تابع، أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع اهـ.

ويقرب من ذلك ما ذكره ابن جرير في قوله تعالى ﴿﴾ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴿﴾ ﴿﴾ ولقد وصّينا الذين ﴿﴾ إلى قوله ﴿﴾ وكان الله غنياً حيداً والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴿﴾ قال: فإن قيل ما وجه تكرار قوله ﴿﴾ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴿﴾ في آيتين إحداهما في أثر الأخرى؟ قلنا: لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض، وذلك لأن الخبر عنه في إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئته وغنى بارئته عنه، وفي الأخرى

حفظ بارئه إياه وعلمه به وبتدبيره .

قال : فإن قيل : أفلا قيل : وكان الله غنياً حميداً ، وكفى بالله وكيلاً ؟ قيل :  
ليس في الآية الأولى ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير اهـ .

وقال تعالى ﴿ وإن منهم لفريقاً يَلُؤُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ  
وما هو من الكتاب ﴾ قال الراغب : الكتاب الأول ما كتبه بأيديهم المذكور في  
قوله تعالى ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾ والكتاب الثاني في التوراة ،  
والثالث لجنس كتب الله كلها : أي ما هو من شيء من كتب الله وكلامه .

### ما يظن انه تكرار وليس كذلك :

ومن أمثلة ما يظن تكراراً وليس منه ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما  
تعبدون ﴾ إلى آخرها فإن ﴿ لا أعبد ما تعبُدون ﴾ أي في المستقبل ﴿ ولا أنتم  
عابدون ﴾ أي في الحال ما أعبد في المستقبل ﴿ ولا أنا عابِدٌ ﴾ أي في الحال ما  
عبدتم في الماضي ﴿ ولا أنتم عابدون ﴾ أي في المستقبل ﴿ ما أعبد ﴾ أي في الحال .  
فالحاصل أن القصد نفى عبادته لآهتهم في الأزمنة الثلاثة .

وكذا ﴿ فاذكروا الله عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ واذكروه كما هَدَاكُمْ ﴾ ثم قال  
﴿ فإذا قضيتُم مناسِككم فاذكروا الله كذِكْرِكُمْ آبَاءكم ﴾ ثم قال ﴿ واذكروا الله  
في أيام معدودات ﴾ فإن المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخرة ،  
فالأول الذكر في مزدلفة عند الوقوف بقرح ، وقوله ﴿ واذكروه كما هَدَاكُمْ ﴾  
إشارة إلى تكرره ثانياً وثالثاً ، ويحتمل أن يراد به طواف الإفاضة بدليل تعقيبه  
بقوله ﴿ فإذا قضيتُم ﴾ والذكر الثالث إشارة إلى رمي جرة العقبة ، والذكر  
الأخير لرمي أيام التشريق .

## تكرير حرف الاضراب:

ومنه تكرير حرف الإضراب في قوله ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ ﴿بل افتراه﴾ ﴿بل هو شاعر﴾ .

وقوله ﴿بل اذارك علمهم في الآخرة﴾ ﴿بل هم في شك منها﴾ ﴿بل هم منها عمون﴾ .

ومنه قوله ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾ ثم قال ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ فكرّر الثاني ليعم كل مطلقة، فإن الآية الأولى في المطلقة قبل الفرص والميسر خاصة. وقيل لأن الأولى لا تشعر بالوجوب، ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة، إن شئت أحسنت وإن شئت فلا فنزلت الثانية. أخرجه ابن جرير.

## تكرير الأمثال:

ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله ﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور﴾ ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة بالمستوقد ناراً، ثم ضربه بأصحاب الصيب. قال الزمخشري: والثاني أبلغ من الأول لأنه أدلّ على فرط الحيرة وشدّة الأمر وفضاعته. قال: ولذلك آخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ.

## تكرير القصص:

ومن ذلك تكرير القصص كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء. قال بعضهم: ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من كتابه. وقال ابن العربي في القواصم: ذكر الله قصة نوح في خمس وعشرين آية، وقصة موسى في تسعين آية.

## فوائد تكرير القصص:

وقد ألف البدر بن جماعة كتاباً سماه [المقتنص في فوائد تكرار القصص] وذكر في تكرير القصص فوائد. منها: أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة، وهذه عادة البلغاء.

ومنها: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى آخرين وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين.

ومنها: أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة.

ومنها: أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

ومنها: أنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله، ثم أوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأيّ نظم جاؤوا وبأيّ عبارة عبروا.

ومنها: أنه لما تحداهم قال ﴿فَانْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي اثتونا أتم بسورة من مثله، فأنزلها الله سبحانه وتعالى في تعداد السور فعالجتهم من كل وجه.

ومنها: أن القصة الواحدة لما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقدم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم. وجذب

النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حبّ التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين.

### الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف:

وقد سئل ما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص؟ وأجيب بوجوه.

أحدها: أن فيها تشبيب النسوة به، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً، فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر. وقد صحح الحاكم في مستدركه حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف.

ثانيها: أنها اختصت بمحصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

ثالثها: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني: إنما كرّر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب كأن النبي ﷺ قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص.

قلت: وظهر لي جواب رابع، وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم في مستدركه، فنزلت مبسوبة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفها.

وجواب خامس وهو أقوى ما يجاب به: إن قصص الأنبياء إنما كرّرت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير

تكذيب الكفار للرسول ﷺ ، فكلما كذبوا نزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حلّ على المكذبين. ولهذا قال تعالى في آيات ﴿ فقد مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ ﴾ ﴿ ألم يروا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك، وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح.

فإن قلت: قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين وليس من قبيل ما ذكرت. قلت: الأولى في سورة كهيعص وهي مكية أنزلت خطاباً لأهل مكة، والثانية في سورة آل عمران وهي مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نجران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة.

### من أنواع الزيادة (الصفة):

[النوع الخامس: الصفة] وترد لأسباب. أحدها: التخصيص في النكرة نحو ﴿ فتحرير رقية مؤمنة ﴾ .

الثاني: التوضيح في المعرفة: أي زيادة البيان نحو ﴿ ورسوله النبي الأمي ﴾ .

الثالث: المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى نحو ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ ومنه ﴿ يحكم به النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ فهذا الوصف للمدح وإظهار شرف الإسلام والتعريض باليهود، وأنهم بعداء من ملة الإسلام الذي هو دين الأنبياء كلهم، وأنهم بمعزل عنها، قاله الزمخشري.

الرابع: الذم نحو ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ .

الخامس: التأكيد لرفع الإبهام نحو ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ فإن إلهين للتثنية فائنين بعده صفة مؤكدة للنهي عن الإشراك، وإفادة أن النهي عن اتخاذ



إلهين إنما هو لمحض كونها اثنتين فقط لا لمعنى آخر من كونها عاجزين أو غير ذلك، ولأن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية كقوله ﷺ « إنما نحن وبنو المطلب شيء واحد » وتطلق ويراد بها نفي العدة، فالثنية باعتبارها. فلو قيل لا تتخذوا إلهين فقط لتوهم أنه نهي عن اتخاذ جنسي آلهة، وإن جاز أن يتخذ من نوع واحد عدد آلهة ولهذا أكد بالواحدة قوله ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ومثله ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ على قراءة تنوين كل.

وقوله ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ فهو تأكيد لرفع توهم تعدد النفخة، لأن هذه الصيغة قد تدل على الكثرة بدليل ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾.

ومن ذلك قوله ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ﴾ فإن لفظ كانتا يفيد الثنية، فتفسيره باثنتين لم يفد زيادة عليه.

وقد أجاب عن ذلك الأخفش والفارسي بأنه أفاد العدد المحض مجرداً عن الصفة، لأنه قد كان يجوز أن يقال: فإن كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات، فلما قال اثنتين أفهم أن فرض الثنتين تعلق بمجرد كونها ثنتين فقط، وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثني.

وقيل أراد: فإن كانتا اثنتين فصاعداً فعبر بالأدنى عنه وعماً فوقه اكتفاء.

ونظيره ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ﴾ والأحسن فيه أن الضمير عائد على الشهيد المطلقين ومن الصفات المؤكدة قوله ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ فقوله يطير لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته، فقد يطلق مجازاً على غيره. وقوله بجناحيه لتأكيد حقيقة الطيران لأنه يطلق مجازاً على شدة العدو والإسراع في المشي، ونظيره ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ لأن القول يطلق مجازاً على غير اللساني بدليل ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ وكذا ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ لأن

القلب قد يطلق مجازاً على العين كما أطلقت العين مجازاً على القلب في قوله ﴿الذين كانت أعينُهُم في غطاءٍ عن ذِكْرِي﴾.

### الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة:

[قاعدة] الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة، لا يقال رجل فصيح متكلم بل متكلم فصيح، وأشكل على هذا قوله تعالى في إسماعيل - وكان رسولاً نبياً - وأجيب بأنه حال لا صفة: أي مرسلأ في حال نبوته، وقد تقدم في نوع التقديم والتأخير أمثلة من هذه.

[قاعدة] إذا وقعت الصفة بعد متضايفين أولها عدد جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف إليه، فمن الأول ﴿سبع سموات طباق﴾ ومن الثاني ﴿سبع بقرات سما﴾.

### فوائد في الصفة:

[فائدة] إذا تكررت النعوت لواحد فالأحسن أن تباعد معنى الصفات العطف نحو ﴿هو الأولُ والآخرُ والظاهر والباطن﴾ وإلا تركه نحو ﴿ولا تُطعُ كلَّ حلافٍ مهينٍ هزازٍ مشاءٍ بنميمٍ مناعٍ للخيرِ مُعتدٍ أثيمٍ عتلٌ بعد ذلك زَنيمٍ﴾.

[فائدة] قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها. قال الفارسي: إذا ذكرت صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن أن يخالف في إعرابها، لأن المقام يقتضى الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفتن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً، مثاله في المدح ﴿والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ ﴿والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ إلى قوله ﴿والموفون

بمعهدهم إذا عاهدوا والصابرين ﴿ وقرىء شاذاً ﴾ الحمد لله رب العالمين ﴿ برفع  
رب ونصبه، ومثاله في الذم ﴿ وامرأته حاملة الحطب ﴾ .

### من انواع الزيادة ( البدل ) :

[ النوع السادس : البدل ] والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وفائدته البيان  
والتأكيد . أما الأول فواضح أنك إذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت أنك تريد  
بزيد الأخ لا غير .

وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل فكأنه من جلتين، ولأنه دل على ما  
دل عليه الأول: إما بالمطابقة في بدل الكل، وإما بالتضمنين في بدل البعض،  
أو بالالتزام في بدل الاشتمال .

مثال الأول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير  
المغضوب عليهم ﴾ ﴿ إلى صراط العزيز الحميد الله ﴾ ﴿ لنسفاً بالناصية ناصية  
كاذبة خاطئة ﴾ .

ومثال الثاني ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ ﴿ ولولا  
دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ .

ومثال الثالث ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ ﴿ يستلونك عن الشهر  
الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ﴾ ﴿ لجعلنا  
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ﴾ .

وزاد بعضهم بدل الكل من البعض، وقد وجدت له مثلاً في القرآن وهو  
قوله ﴿ يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ ﴿ جنات عدن ﴾ ﴿ فجنات عدن بدل  
من الجنة التي هي بعض، وفائدته تقرير أنها جنان كثيرة لا جنة واحدة .

قال ابن السيد : وليس كل بدل يقصد به رفع الإشكال الذي يعرض في

المبدل منه، بل من البديل ما يراد به التأكيد وإن كان ما قبله غنياً عنه كقوله ﴿وإنك لتهدى إلى صراطٍ مستقيمٍ صراطِ الله﴾ ألا ترى أنه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد في أن الصراط المستقيم هو صراط الله، وقد نص سيبويه على أن من البديل ما الغرض منه التأكيد اهـ.

وجعل منه ابن عبد السلام ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ قال: ولا بيان فيه لأن الأب لا يلتبس بغيره، وردّ بأنه يطلق على الجد فأبدل لبيان إرادة الأب حقيقة.

### من أنواع الزيادة (عطف البيان):

[النوع السابع: عطف البيان] وهو كالصفة في الإيضاح، لكن ما يفارقها في أنه وضع البديل على الإيضاح باسم يختص به، بخلافها فإنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها. وفرق ابن كيسان بينه وبين البديل بأن البديل هو المقصود وكأنك قررتَه في موضع المبدل منه وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود. وقال ابن مالك في شرح الكافية: عطف البيان يجري مجرى النعت في تكميل متبوعه، ويفارقه في أن تكميل متبوعه بشرح وتبيين لا بدلالة على معنى المتبوع أو سببية، ويجرى التأكيد في تقوية دلالاته، ويفارقه في أنه لا يرفع توهم مجاز، ويجرى البديل في صلاحيته للاستقلال، ويفارقه في أنه غير منوي الإطراح ومن أمثلته ﴿فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيم﴾ ﴿من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ﴾ وقد يأتي لمجرد المدح بلا إيضاح ومنه ﴿جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ﴾ فالبيت الحرام عطف بيان للمدح لا للإيضاح.

### من أنواع الزيادة (عطف المترادفين):

[النوع الثامن: عطف أحد المترادفين على الآخر] والقصد منه التأكيد أيضاً،

وجعل منه ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي ﴾ ﴿ فَمَا وَهَنُوا لَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ﴿ لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ قال الخليل: العوج والأمت واحد ﴿ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ ﴿ شَرَعَةً وَمِنهَاجًا ﴾ ﴿ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴾ ﴿ إِلَّا دَعَاءً وَنِدَاءً ﴾ ﴿ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا ﴾ ﴿ لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ فَإِنْ نَسِبَ كَلِغِبٍ وَزَنَا وَمَعْنَى ﴿ صَلَوَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٍ ﴾ ﴿ عَذْرَاءً أَوْ نَذْرَاءً ﴾ .

قال ثعلب: هما بمعنى، وأنكر المبرد وجود هذا النوع في القرآن، وأول ما سبق على اختلاف المعنيين. وقال بعضهم: المخلص في هذا أن تعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادها، فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ.

### عطف الخاص على العام:

[ النوع التاسع: عطف الخاص على العام ] وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات. وحكى أبو حيان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أنه كان يقول: هذا العطف يسمى بالتجريد، كأنه جرد من الجملة وأفرد بالذكر تفضيلاً.

ومن أمثلته ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ﴿ مِنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ فَإِنْ إِقَامَتَهَا مِنْ جَمَلَةِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَخَصَّتْ بِالذِّكْرِ إِظْهَارًا لِرَتَبَتِهَا لِكُونِهَا عِمَادَ الدِّينِ، وَخَصَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ بِالذِّكْرِ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ فِي دَعْوَى عِدَاوَتِهِ، وَضَمَّ إِلَيْهِ مِيكَائِيلَ لِأَنَّهُ مَلِكُ الرِّزْقِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ الْأَجْسَادِ، كَمَا أَنَّ جِبْرِيلَ مَلِكُ الْوَحْيِ الَّذِي هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ. وَقِيلَ إِنَّ جِبْرِيلَ

وميكائيل لما كانا أميرى الملائكة لم يدخلوا في لفظ الملائكة أولاً، كما أن الأمير لا يدخل في مسمى الجن، حكاة الكرمانى فى العجائب .

ومن ذلك ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يُوحَ إليه شيء﴾ بناء على أنه لا يختص بالواو كما هو رأى ابن مالك فيه وفيما قبله . وخص المعطوف فى الثانية بالذكر تنبيهاً على زيادة قبحه .

[ تنبيه ] المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملاً للثانى لا المصطلح عليه فى الأصول .

### عطف العام على الخاص :

[ النوع العاشر : عطف العام على الخاص ] وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ ، والفائدة فيه واضحة وهو التعميم ، وأفرد الأول بالذكر اهتماماً بشأنه . ومن أمثله ﴿إن صلاتي ونسكي﴾ والنسك العبادة ، فهو أعم ﴿آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ﴿ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دَخَلَ بيّتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ﴿فإن الله هو مولاه﴾ ﴿وجبريلُ وصالحُ المؤمنين﴾ ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ جعل منه الزمخشري ﴿ومن يدبر الأمر﴾ بعد قوله ﴿قل من يرزقكم﴾ .

### من أنواع الزيادة ( الايضاح بعد الابهام )

[ النوع الحادى عشر : الايضاح بعد الابهام ] قال أهل البيان : إذا أردت أن تبهم ثم توضح فإنك تطنب . وفائدته إما رؤية المعنى فى صورتين مختلفتين : الابهام والايضاح ، أو لتمكن المعنى فى النفس تمكناً زائداً لوقوعه بعد الطلب ، فإنه أعز من المساق بلا تعب أو لتكامل لذة العلم به ، فإن الشيء إذا علم من وجه ما

تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتأملت، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة. ومن أمثلته ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ فإن اشرح يفيد طلب شرح شيء ما له، وصدري يفيد تفسيره وبيانه، كذلك ﴿ويسر لي أمري﴾ والمقام يقتضي التأكيد للإرسال المؤذن بتلقي الشدائد، وكذلك ﴿لم نشرح لك صدرك﴾ فإن المقام يقتضي التأكيد لأنه مقام امتنان وتفخيم، وكذا ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾.

ومنه التفصيل بعد الإجمال نحو ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ إلى قوله ﴿منها أربعة حرم﴾ وعكسه كقوله ﴿ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ أعيد ذكر العشرة لرفع توهم أن الواو في ﴿وسبعة﴾ بمعنى أو، فتكون الثلاثة داخلة فيها كما في قوله ﴿خلق الأرض في يومين﴾ ثم قال: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾ فإن من جلستها اليومين المذكورين أولاً وليست أربعة غيرها.

وهذا أحسن الأجوبة في الآية، وهو الذي أشار إليه الزمخشري ورجحه ابن عبد السلام وجزم به الزمكاني في أسرار التنزيل.

قال: ونظيره ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر﴾ فإنه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة. قال ابن عسكر: وفائدة الوعد بثلاثين أولاً ثم بعشر ليتجدد له أقرب انقضاء المواعدة، ويكون فيه متأهباً مجتمع الرأي حاضر الذهن، لأنه لو وعد بالأربعين أولاً كانت متساوية، فلما فصلت استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يتقدم.

وقال الكرمانى في العجائب في قوله ﴿تلك عشرة كاملة﴾ ثمانية أجوبة: جوابان من التفسير، وجواب من الفقه، وجواب من النحو، وجواب من اللغة،

وجواب من المعنى ، وجوابان من الحساب وقد سقتها في أسرار التنزيل .

### معها أنواع الزيادة (التفسير) :

[ النوع الثاني عشر : التفسير ] قال أهل البيان : وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره .

ومن أمثله ﴿ إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعاً وإذا مَسَّهُ الخيرُ مُنُوعاً ﴾ فقوله إذا مَسَّهُ الخ تفسير للهلع كما قال أبو العالية وغيره ﴿ القيوم لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نوم ﴾ قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنی : قوله لا تأخذه سِنَّةٌ تفسير للقيوم ﴿ يَسْؤُمُونَكم سوءَ العذابِ يُدَبِّحُونَ ﴾ الآية ، فيذبحون وما بعده تفسير للسوم .

﴿ إن مثلَ عيسى عند الله كمثلِ آدمَ خَلَقَهُ من تراب ﴾ الآية . فخلقه وما بعده تفسير للمثل .

﴿ لا تتخذوا عِدوِي وعدوكم أولياءَ تلقون إليهم بالمودة ﴾ فتلقون الخ تفسير لا تتخاذهم أولياء .

﴿ الصمدُ لم يلدُ ولم يولد ﴾ الآية . قال محمد بن كعب القرظي : لم يلد الخ تفسير للصمد ، وهو في القرآن كثير .

قال ابن جني : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها ، لأن تفسير الشيء لاحق به ومتمم له وجارٍ مجرى بعض أجزائه .

### من أنواع الزيادة (وضع الظاهر موضع الضمير) :

[ النوع الثالث عشر : وضع الظاهر موضع الضمير ] ورأيت فيه تأليفاً مفرداً لابن الصائغ ، وله فوائد منها : زيادة التقرير والتمكين نحو ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ والأصل هو الصمد ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ ﴿ إن الله لذو فضلٍ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ ﴿ لتحسبوه من الكتاب وما



هو من الكتاب ﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾ .  
ومنها: قصد التعظيم نحو ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾  
﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن  
الفجر كان مشهودا ﴾ ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ .

ومنها: قصد الإهانة والتحقير نحو ﴿ أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب  
الشيطان هم الخاسرون ﴾ ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ ﴿ إن الشيطان الخ .  
ومنها: إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول نحو ﴿ قل اللهم مالك  
الملك توتي الملك ﴾ لو قال توتيه لأوهم أنه الأول، قاله ابن الخشاب ﴿ يظنون  
بالله ظنَّ سوء ﴾ ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ لأنه لو قال عليهم دائرته لأوهم أن  
الضمير عائد إلى الله تعالى ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من  
وعاء أخيه ﴾ لم يقل منه لثلاث يتوهم عود الضمير إلى الأخ فيصير كأنه مباشر  
بطلب خروجها، وليس كذلك لما في المباشرة من الأذى الذي تاباه النفوس  
الآبية، فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا، ولم يقل من وعائه لثلاث يتوهم عود الضمير  
إلى يوسف لأنه العائد عليه ضمير استخراجها .

ومنها: قصد تربية المهابة وإدخال الروح على ضمير السامع بذكر الاسم  
المقتضى لذلك كما تقول: الخليفة أمير المؤمنين يأمر بكذا، ومنه ﴿ إن الله  
يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ .

ومنها: قصد تقوية داعية الأمور، ومنه ﴿ فإذا عَزَمْتَ فتوكلْ على الله إن  
الله يحب المتوكلين ﴾ ومنها: تعظيم الأمر نحو ﴿ أوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللهُ  
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف  
بدأ الخلق ﴾ ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾  
﴿ إنا خلقنا الإنسان ﴾ .

ومنها: الاستلذاذ بذكره، ومنه ﴿ وأورثنا الأرضَ نتبوا من الجنة ﴾ لم يقل

منها ، ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة .

ومنها : **قصد التوسل من الظاهر إلى الوصف** . ومنه ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله ﴾ بعد قوله ﴿ إني رسول الله ﴾ لم يقل فآمنوا بالله ربي ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها ليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو من وصف بهذه الصفات ، ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك لأنه لا يوصف .

ومنها : **التنبيه على عليه الحكم نحو** ﴿ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ﴾ ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً ﴾ ﴿ فإن الله عدو للكافرين ﴾ لم يقل لهم إعلماً بأن من عادى هؤلاء فهو كافر ، وأن الله إنما عاداه لكفره ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ﴾ ﴿ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ .

ومنها : **قصد العموم نحو** ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة ﴾ لم يقل إنها لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه ﴿ أولئك هم الكافرون حقاً ﴾ ﴿ وأعدنا للكافرين عذاباً ﴾ .

ومنها : **قصد الخصوص نحو** ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾ لم يقل لك تصريحاً بأنه خاص به .

ومنها : **الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى نحو** ﴿ فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ﴾ فإن ويمح الله استئناف لا داخل في حكم الشرط .

ومنها : **مراعاة الجناس ، ومنه** ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ السورة ، ذكره الشيخ عز الدين ، ومثله ابن الصائغ بقوله ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ ثم قال ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ فإن المراد بالإنسان

الأول الجنس، وبالثاني آدم أو من يعلم الكتابة أو إدريس، وبالثالث أبو جهل.  
ومنها: مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب، ذكره بعضهم في قوله  
﴿ أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾.

ومنها: أن يتحمل ضميراً لا بد منه، ومنه ﴿ أتيا أهل قرية استطعما  
أهلها ﴾ لو قال استطعما لم يصح لأنها لم يستطعما القرية أو استطعماهم، وكذلك  
لأن جملة استطعما صفة لقرية النكرة لا لأهل، فلا بد أن يكون فيها ضمير يعود  
عليها، ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر، وكذا حرره السبكي في جواب سؤال  
سأله الصلاح الصفدي في ذلك حيث قال:

أسيدنا قاضي القضاة ومن إذا	بدا وجهه استجيا له القمران
ومن كفه يوم الندى ويراعه	على طرسه بحران يلتقيان
ومن إن دجت في المشكلات مسائل	جلاها بفكر دائم اللمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز	لأفضل من يهدي به الثقلان
ومن جملة الإعجاز كون اختصاره	بإيجاز ألفاظ وبسط معان
ولكنني في الكهف أبصرت آية	بها الكفر في طول الزمان عيان
وما هي إلا استطعما أهلها فقد	نرى استطعماهم مثله ببيان
فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر	مكان ضمير إن ذاك لشان
فارشد على عادات فضلك حيرتي	فها لي بها عند البيان يدان

### إعادة المعنى أحسن من إعادة اللفظ:

[ تنبيه ] إعادة الظاهر بمعناه أحسن من إعادته بلفظه كما مر في آيات  
﴿ إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ ﴿ أجر من أحسن عملاً ﴾ ونحوها.

ومنه ﴿ ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم

من خيرٍ من ربكم والله يختص برحمته من يشاء ﴿ فإن انزال الخير مناسب للربوبية ، وأعاده بلفظ الله لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للإلهية لأن دائرة الربوبية أوسع .

ومنه ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ إلى قوله ﴿ ببرهم يعدلون ﴾ .

وإعادته في جملة أخرى أحسن منه في الجملة الواحدة لانفصالها ، وبعد الطول أحسن من الإضمار ، لثلا يبقى الذهن متشاعلاً بسبب ما يعود عليه فيفوته ما شرع فيه كقوله ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ بعد قوله ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ .

### من أنواع الزيادة ( الإيغال ) :

[ النوع الرابع عشر : الإيغال ] وهو الإمعان ، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ، وردّ بأنه وقع في القرآن من ذلك ﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون ﴾ فقوله وهم مهتدون إيغال لأنه يتم المعنى بدونه ، إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه .

وجعل ابن أبي الأصعب منه ﴿ ولا تُسمعُ الصمَّ الدعاءَ إذا ولّوا مُدبرين ﴾ فإن قوله إذا ولّوا مدبرين زائد على المعنى مبالغة في عدم انتفاعهم ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ زائد على المعنى لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود وأنهم بعيدون عن الإيقان ﴿ إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ فقوله مثل ما الخ إيغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد ، وأنه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد .

## التذليل :

[ النوع الخامس عشر : التذليل ] وهو أن يأتي بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه نحو ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازي إلا الكفور ﴾ ﴿ وقل جاء الحقّ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً ﴾ ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون ﴾ ﴿ كل نفسٍ ذائقة الموتِ ويومَ القيامةِ يكفرون بشيرٍ كيمٌ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ .

## الطرد والعكس :

[ النوع السادس عشر : الطرد والعكس ] قال الطيبي : وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس كقوله تعالى ﴿ ليستأذِنكُمْ الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاثَ مراتٍ ﴾ إلى قوله ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدهن ﴾ فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها وبالعكس ، وكذا قوله ﴿ لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾ قلت : وهذا النوع يقابله في الإيجاز نوع الاحتباك .

## التكميل :

[ النوع السابع عشر : التكميل ] ويسمى بالاحتراس ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ فإنه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله أعزة ، ومثله ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ إذ لو اقتصر على أشداء لتوهم أنه لغلظهم ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ ﴿ لا يحطمنكم سُلَيانٌ وجنوده وهم لا يشعرون ﴾

احتراس لثلا يتوهم نسبة الظلم إلى سليمان. ومثله ﴿فتصيبكم منهم معرفةً بغيرِ عِلْمٍ﴾ وكذا ﴿قالوا نشهدُ إِنَّكَ لرسولُ اللَّهِ واللهُ يعلمُ إنك لرسولُهُ واللهُ يشهدُ إن المنافقين لكاذبون﴾ فالجملة الوسطى احتراس لثلا يتوهم أن التكذيب مما في نفس الأمر. قال في عروس الأفراح: فإن قيل: كل من ذلك أفاد معنى جديداً فلا يكون إطناباً. قلنا: هو إطناب لما قبله من حيث رفع توهم غيره، وإن كان له معنى في نفسه.

### التميم:

[النوع الثامن عشر: التميم] وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضله تفيد نكتة كالمبالغة في قوله ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أي مع حبّ الطعام: أي اشتهاؤه، فإن الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجراً، ومثله ﴿وأتى المال على حبه﴾ و﴿من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف﴾ فقوله ﴿وهو مؤمن﴾ تميم في غاية الحسن.

### الاستقصاء

[النوع التاسع عشر: الاستقصاء] وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً كقوله تعالى ﴿أيودأ أحدكم أن تكون له جنة﴾ الآية، فإنه تعالى لو اقتصر على قوله جنة لكان كافياً، فلم يقف عند ذلك حتى قال في تفسيرها ﴿من نخيل وأعناب﴾ فإن مصاب صاحبها بها أعظم، ثم زاد ﴿مجري من تحتها الأنهار﴾ متمماً لوصفها بذلك، ثم كمل وصفها بعد التتميم فقال له ﴿فيها من كل الثمرات﴾ فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الأسف على إفسادها. ثم قال في وصف صاحبها ﴿وأصابه الكبر﴾ ثم استقصى المعنى في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر ﴿وله ذرية﴾ ولم يقف

عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء . ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك في أسرع وقت حيث قال ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ﴾ ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك فقال ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحتراقها لما فيه من الأنهار ورطوبة الأشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ فهذا أحسن استقصاء وقع فيه كلام وأتمه وأكمله .

قال ابن أبي الأصبغ : والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يراد على المعنى الناقص لئتم فيكمل ، والتكميل يراد على المعنى التام أو صافه ، والاستقصاء يراد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فيه فلا يبقى لأحد فيه مساغ .

### من أنواع الزيادة ( الاعتراض ) :

[ النوع العشرون : الاعتراض ] وسماه قدامة التفاتاً ، وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصالاً معنى لنكتة غير دفع الإيهام كقوله ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فقوله سبحانه اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها .

وقوله ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك ومن وقوعه بأكثر من جملة ﴿ فائتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نَسَاؤُكُمْ حَرِثٌ لَكُمْ ﴾ فقوله نساؤكم متصل بقوله فائتوهن ، لأنه بيان له وما بينها اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الأدبار .

وقوله ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ فيه اعتراض

بثلاث جمل وهي ﴿وغيضَ الماء﴾ ﴿وقضيَ الأمر﴾ ﴿واستوت على الجودي﴾ .

قال في الأقصى القريب: ونكته إفادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة، ولو أتى به آخرأ لكان الظاهر تأخره، فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر، ثم فيه اعتراض في اعتراض، فإن ﴿وقضيَ الأمر﴾ معترض بين وغيض واستوت، لأن الاستواء يحصل عقب الغيظ.

وقوله ﴿ولمن خَافَ مقامَ ربِّه جنتان﴾ إلى قوله ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى فُرْشٍ﴾ فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالاً منه.

ومن وقوع اعتراض في اعتراض ﴿فلا أقسمُ بمواقعِ النجومِ وإنه لقسَمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ إنه لقرآنٌ كريمٌ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه بقوله ﴿وإنه لقسَمٌ﴾ الآية بين القسم وصفته بقوله ﴿لو تعلمون﴾ تعظيماً للمقسم به وتحقيقاً لإجلاله وإعلاماً لهم بأن له عظمة لا يعلمونها. قال الطيبي في التبيان: ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة مع أن مجيئه مجيء ما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب.

### التعليل:

[ النوع الحادي والعشرون: التعليل ] وفائدته التقرير والأبلغية، فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها، وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وحروفه اللام وإن وأن وإذ والباء وكى ومن ولعل، وقد مضت أمثلتها في نوع الأدوات، ومما يقتضي التعليل لفظ الحكمة كقوله ﴿حكمةً بالغة﴾ وذكر الغاية من الخلق نحو قوله ﴿جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء﴾ ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً﴾ .



## النوع السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء

اعلم أن الحدائق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيها وأنه ليس له قسم ثالث. وادعى قوم أن أقسام الكلام عشرة: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام.

وقيل تسعة بإسقاط الاستفهام لدخوله في المسألة. وقيل سبعة بإسقاط الشك لأنه من قسم الخبر.

وقال الأخفش: هي ستة: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ونداء، وتمنّ. وقال بعضهم خمسة: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب ونداء. وقال قوم: أربعة: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء.

### الكلام خبر وإنشاء:

وقال كثيرون: ثلاثة: خبر، وطلب، وإنشاء. قالوا لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا. الأول الخبر. والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء وأن معنى اضرب مثلاً وهو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه.

## الخبر:

وقد اختلف الناس في حدّ الخبر فقيل: لا يحدّ لعسره، وقيل لأنه ضروري لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة، ورجحه الإمام في المحصول والأكثر على حده.

فقال القاضي أبو بكر والمعتزلة: الخبر الكلام الذي يدخله الصدق والكذب، فأورد عليه خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صادقاً، فأجاب القاضي بأنه يصح دخوله لغة. وقيل الذي يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الإيراد المذكور.

وقال أبو الحسن البصري: كلام يفيد بنفسه نسبة، فأورد عليه قم فإنه يدخل في الحدّ لأن القيام منسوب والطلب منسوب. وقيل الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيّاً أو إثباتاً. وقيل القول المقتضى بصريجه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات.

## الإنشاء:

وقال بعض المتأخرين: الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام والخبر خلافه. وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة: الكلام إن أفاد بالوضع طلباً فلا يخلو إما أن يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكفّ عنها، والأول الاستفهام، والثاني الأمر، والثالث النهي وإن لم يفد طلباً بالوضع، فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمي تنبيهاً وإنشاء لأنك نبهت به عن مقصودك وأنشأته: أي ابتكرته من غير أن يكون موجوداً في الخارج سواء أفاد طلباً باللازم كالتمني والترجي والنداء والقسم أم لا كانت طالق وإن احتملها من حيث هو فهو خبر.

## القصد من الخبر:

(فصل) القصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر نحو ﴿والوالداتُ يرضِعْنَ والمطلقاتُ يتربصْنَ﴾ وبمعنى النهي نحو ﴿لا يمسهُ الا المطهرون﴾ وبمعنى الدعاء نحو ﴿وياك نستعين﴾ أي أعنا، ومنه ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ فإنه دعاء عليه، وكذا ﴿قاتلهم الله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ وجعل منه قوم ﴿حصرت صدورهم﴾ قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد.

ونازع ابن العربي في قولهم إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهي. قال في قوله تعالى ﴿فلا رفث﴾ ليس نفيًا لوجود الرفث، بل نفي لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً إلى وجوده محسوساً كقوله ﴿والمطلقات يتربصْنَ﴾ ومعناه مشروعاً لا محسوساً فإننا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفي إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي، وكذا ﴿لا يمسهُ الا المطهرون﴾ أي لا يمسه أحد منهم شرعاً، فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع. قال: وهذه الدفينة التي فاتت العلماء فقالوا: إن الخبر يكون بمعنى النهي، وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فإنها مختلفان حقيقة ويتباينان وضعاً انتهى.

## التعجب:

[ فرع ] من أقسامه على الاصح التعجب. قال ابن فارس: وهو تفضيل شيء على أضرابه. وقال ابن الصائغ: استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره.

وقال الزمخشري: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

وقال الرماني: المطلوب في التعجب الإبهام، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا

مما لا يعرف سببه، فكل ما استبهم السبب كان التعجب أحسن. قال: وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه، والصفة الدالة عليه تسمى تعجباً مجازاً. قال: ومن أجل الإبهام لم تعمل نعم إلا في الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر، ثم قد وضعوا للتعجب صيغاً من لفظه وهي ما أفعل وأفعل به، وصيغاً من غير لفظه نحو كبر كقوله ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ ﴿كبر مقتاً عند الله﴾ ﴿كيف تكفرون بالله﴾.

### التعجب من الله ليس حقيقياً؛

[قاعدة] قال المحققون: إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله: ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي هؤلاء يجب أن يتعجب منهم، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزّه عن ذلك.

ولهذا تعبر جماعة بالتعجب بدله: أي أنه تعجب من الله للمخاطبين، ونظير هذا مجيء الدعاء والترجي بمنه تعالى وإنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب: أي هؤلاء مما يجب أن يقال لهم عندكم هذا، ولذلك قال سيبويه في قوله: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ المعنى: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وفي قوله: ﴿ويل للمطففين﴾ ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ لا تقل هذا دعاء لأن الكلام بذلك قبيح، ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكانه قيل لهم: ﴿ويل للمطففين﴾ أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور الهلكة، فقيل هؤلاء ممن دخل في الهلكة.

### الوعد والوعيد:

[فرع] من أقسام الخبر الوعد والوعيد نحو: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وفي كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء.

### من أقسام الخبر (النفي) :

[ فرع ] من أقسام الخبر النفي، بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد أن النافي إن كان صادقاً سمي كلامه نفيّاً ولا يسمى جحداً. وإن كان كاذباً سمي جحداً ونفيّاً أيضاً، فكل جحد نفي وليس كل نفي جحداً، ذكره أبو جعفر النحاس وابن الشجري وغيرهما.

مثال النفي: ﴿ما كان محمدٌ أباً أحدي من رجالِكُمْ﴾ ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى، قال تعالى: ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾.

وأدوات النفي « لا ولات وليس وما وإن ولم ولما » وقد تقدمت معانيها وما افرقت فيه في نوع الأدوات، ونورد هنا فائدة زائدة قال الحوي: أصل أدوات النفي « لا وما » لأن النفي إما في الماضي وإما في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبداً « ولا » أخف من « ما » فوضعوا الأخف للأكثر.

ثم إن النفي في الماضي إما أن يكون نفيّاً واحداً مستمراً أو نفيّاً فيه أحكام متعددة، وكذلك النفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات « ما ولم ولن ولا » وأما « إن ولما » فليسا بأصلين.

فما ولا في الماضي والمستقبل متقابلان، ولم كأنه مأخوذ من لا وما، لأن لم نفي للاستقبال لفظاً والمضي معنى، فأخذ اللام من لا التي هي لنفي المستقبل والميم من ما التي هي لنفي الماضي: وجمع بينهما إشارة إلى أن في « لم » إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن « لا » هي أصل النفي، ولهذا ينفي بها في أثناء الكلام فيقال: لم يفعل زيد ولا عمرو. وأما « لما »

فتركيب بعد تركيب كأنه قال: لم وما لتوكيد معنى النفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضاً ولهذا تفيد « لما » الاستمرار.

### تنبيهات على النفي:

[ الأول ] زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف المنفي عنه بذلك الشيء وهو مردود بقوله تعالى: ﴿ وما رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ وما كان رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ ونظائره، والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه.

### نفي الذات الموصوفة:

الثاني: نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات، وقد يكون نفيًا للذات أيضاً. من الأول ﴿ وما جعلناهم جَسَدًا لا يأكلون الطعام ﴾ أي بل هم جسد يأكلونه. ومن الثاني: ﴿ لا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا ﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يحصل منهم إخفاف ﴿ ما للظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطَاع ﴾ أي لا شفيع لهم أصلاً ﴿ فما تنفعهم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ أي لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل ﴿ فما لنا من شَافِعِينَ ﴾ ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفي الشيء بإيجابه.

وعبارة ابن رشيق في تفسيره: أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه وهو المنفي في الباطن.

وعبارة غيره: أن ينفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً مبالغة في النفي وتأكيده، ومنه: ﴿ ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهانَ له به ﴾ فإن إلهاً مع الله لا يكون إلا عن غير برهان ﴿ ويقتلون النبيين بغيرِ حق ﴾ فإن قتلهم لا يكون

إلا بغير حق ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فإنها لا عمد لهن أصلاً.

### نفي الشيء رأساً:

الثالث: قد يرد به نفي الشيء رأساً لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله في صفة أهل النار ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ فنفي عنه الموت لأنه ليس بموت صريح، ونفي عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فإن المعتزلة احتجوا بها على نفي الرؤية، فإن النظر في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لا يستلزم الإبصار.

وردّ بأن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه وليست تبصر شيئاً ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإنه وصفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه آخر عنهم لعدم جريهم على موجب العلم، قاله السكاكي.

### يصح نفي المجاز لا الحقيقة:

الرابع: قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة، وأشكل على ذلك ﴿وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ فإن المنفي فيه الحقيقة. وأجيب بأن المراد بالرمي هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة، والتقدير: وما رميت خلقاً إذ رميت كسباً، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء.

### نفي الاستطاعة:

الخامس: نفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والإمكان، وقد يراد نفي الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة.

من الأول: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ فلا يستطيعون ردّها ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾  
أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً.

ومن الثاني ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على القراءتين: أي هل يفعل، أو هل نجيبنا  
إلى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال.

ومن الثالث ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

### نفي العام ونفي الخاص:

[قاعدة] نفي العام يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت  
الخاص يدل على ثبوت العام، ونفيه لا يدل على نفيه، ولا شك أن زيادة المفهوم  
من اللفظ توجب الالتذاب به، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص،  
وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام.

فالأول: كقوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ لم يقل  
بضوئهم بعد قوله أضاءت، لأن النور أعم من الضوء، إذ يقال على القليل  
والكثير، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ  
الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ففي الضوء دلالة على النور فهو أخص منه، فعدمه  
يوجب عدم الضوء بخلاف العكس، والقصد إزالة النور عنهم أصلاً ولذا قال  
عقبه: ﴿وَتَرَكْهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾.

ومنه: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ولم يقل ضلال، كما قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي  
ضَلَالٍ﴾ لأنها أعم منه فكان أبلغ في نفي الضلال، وعبر عن هذا بأن نفي  
الواحد يلزم منه نفي الجنس ألبتة، وبأن نفي الأدنى يلزم منه نفي الأعلى.

والثاني كقوله: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ولم يقل طولهن لأن  
العرض أخص، إذ كل ما له عرض فله طول ولا ينعكس.



## نفي المبالغة لا يستلزم نفي الأصل:

ونظير هذه القاعدة أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل، وقد أشكل على هذا آيتان: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة.

أحدها: إن ظلاماً وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة، ويرشحه أنه تعالى قال: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فقابل صيغة فعال الجمع، وقال في آية أخرى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ﴾ فقال: بل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد.

الثاني: أنه نفي الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة، لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى.

الثالث: أنه على النسبة: أي بذى ظلم، حكاها ابن مالك عن المحققين. الرابع: الرابع: أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه.

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيراً كما يقال: زلة العالم كبيرة.

السادس: أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم، تأكيداً للنفي فعبّر عن ذلك بليس بظلام.

السابع: أنه ورد جواباً لمن قال ظلام، والتكرار إذا ورد جواباً لكلام خاص لم يكن له مفهوم.

الثامن: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات، فجرى النفي على ذلك.

التاسع: أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاماً للعبيد من ولاة الجور. ويجب عن الثانية بهذه الأجوبة وبعاشر وهو مناسبة رؤوس الآي.

## الكلام بين نفيين يكون مثبتاً:

[ فائدة ] قال صاحب الياقوتة: قال ثعلب والمبرد: العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخباراً نحو: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام﴾ والمعنى: إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام. وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جحداً حقيقياً نحو: ما زيد بخارج. وإذا كان في أول الكلام جحداً كان أحدهما زائداً، وعليه: ﴿في ما ان مكنناكم فيه﴾ في أحد الأقوال.

## من أقسام الإنشاء (الاستفهام):

(فصل: من أقسام الإنشاء الاستفهام) وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار، وقيل الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً، حكاه ابن فارس في فقه اللغة.

وأدواته: «الهمزة وهل وما ومن وأي وم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان» ومرت في الأدوات. قال ابن مالك في المصباح: وما عدا الهمزة نائب عنها، ولكونه طلب ارتسليم صورة ما في الخارج في الذهن لزم أن لا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شكّ مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاكّ إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام.

قال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل.

وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازاً.

## أقسام الاستفهام:

وَأَلَّفَ فِي ذَلِكَ الْعَلَامَةَ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الصَّائِغِ كِتَاباً سَمَاهُ [ رَوْضَ الْأَفْهَامِ فِي أَقْسَامِ الاسْتِفْهَامِ ] قَالَ فِيهِ: قَدْ تَوَسَّعَتِ الْعَرَبُ فَأَخْرَجَتِ الاسْتِفْهَامَ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِمَعَانٍ أَوْ أَشْرَبَتْهُ تِلْكَ الْمَعَانِي، وَلَا يَخْتَصُّ التَّجَوُّزُ فِي ذَلِكَ بِالْهَمْزَةِ خِلَافاً لِلصَّفَارِ.

الأول: الإنكار، والمعنى فيه على النفي، وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا كقوله: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورَ﴾ وعطف عليه المنفي في قوله: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَنْصُرْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أي لا يهدي.

ومنه ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرِينَ مِثْلَنَا﴾ أي لا تؤمن ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ ﴿أَلَكُمْ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ أي لا يكون هذا، ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ أي ما شهدوا ذلك، وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى لم يكن، وفي المستقبل بمعنى لا يكون نحو: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ الآية: أي لم يفعل ذلك ﴿أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ أي لا يكون هذا الإلزام.

الثاني: التوبيخ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفي، فالنفي هنا غير قصدي، والإثبات قصدي عكس ما تقدم، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً نحو: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنَتُونَ﴾ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾، وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت ووبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع كقوله: ﴿أَوْ لِمَ نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾. ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾.

الثالث: التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده. قال ابن جني: ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام. وقال الكندي: ذهب كثير من العلماء في قوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾ إلى أن هل تشارك الهمزة في معنى التقرير أو التوبيخ إلا أني رأيت أبا علي أبي ذلك، وهو معذور فإن ذلك من قبيل الإنكار. ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل، إنما يستعمل فيه الهمزة. ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتي تقريراً كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ والكلام مع التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب. فالأول كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ عَالِمًا يُجْعَلُ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ فِي الْوَادِعِ الْغَوِيِّ كَلِمَةً نَّهَىٰ تَتْبَعُهَا أُخْرَىٰ وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَكُن مِمَّن سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قَلِيلًا وَأَكْثَرُهُمْ ظَالِمًا﴾ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي، ونفي النفي إثبات.

ومن أمثلته ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وجعل منه الزمخشري ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الرابع: التعجب أو التعجب نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ ﴿مَا لِي لَا أَرَىٰ الْمُهْدَىٰ﴾ وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ قال الزمخشري: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم، ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي: ﴿مَا وَلَاَهُمْ عَنِ قِبَلَتِهِمْ﴾.

الخامس: العتاب كقوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

الله ﴿ قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلا أربع سنين . أخرجه الحاكم .

ومن الطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله : ﴿ عفا الله عنك لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ ﴾ ولم يتأدب الزمخشري بأدب الله في هذه الآية على عادته في سوء الأدب .

السادس : التذكير ، وفيه نوع اختصار كقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾ .

السابع : الافتخار نحو : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ .

الثامن : التفضيم نحو : ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً ﴾ .

التاسع : التهويل والتخويف نحو : ﴿ الحاقَةُ ما الحاقَةُ ﴾ ﴿ القارعةُ ما القارعةُ ﴾ .

العاشر : عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو : ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا ﴾ .

الحادي عشر : التهديد والوعيد نحو : ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ .

الثاني عشر : التكثر نحو : ﴿ وكم من قريةٍ أهلكناها ﴾ .

الثالث عشر : التسوية ، وهو الاستفهام الداخِل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو : ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرهم ﴾ .

الرابع عشر : الأمر نحو : ﴿ أأسلمتم ﴾ أي أسلموا ﴿ فهل أنتم مُنتهون ﴾ أي انتهوا ﴿ أتصبرون ﴾ أي اصبروا .

الخامس عشر : التنبيه ، وهو من أقسام الأمر نحو : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلَّ ﴾ أي انظر : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرضُ

مخضرة ﴿ ذكره صاحب الكشاف عن سيويه، ولذلك رفع الفعل في جوابه وجعل منه قوله: ﴿ فأين تذهبون ﴾ للتنبيه على الضلال، وكذا: ﴿ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ .

السادس عشر: الترغيب نحو: ﴿ من ذا الذي يقرضُ الله قرضاً حسناً ﴾ ﴿ هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم ﴾ .

السابع عشر: النهي نحو: ﴿ أتخشونهم فالله أحقُّ أن تَخْشَوْهُ ﴾ . بدليل: ﴿ فلا تَخْشُوا النَّاسَ وَاخْشَوْني ﴾ ﴿ ما عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ أي لا تغتر .

الثامن عشر: الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى نحو: ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء ﴾ أي لا تهلكنا .

التاسع عشر: الاسترشاد نحو: ﴿ أتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ﴾ .

العشرون: التمني نحو: ﴿ فهل لنا من شُفَعَاءَ ﴾ .

الحادي والعشرون: الاستبطاء نحو: ﴿ متى نصر الله ﴾ .

الثاني والعشرون: العرض: ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ .

الثالث والعشرون: التحضيض نحو: ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ﴾ .

الرابع والعشرون: التجاهل نحو: ﴿ أنزِلَ عليه الذكرُ من بيننا ﴾ .

الخامس والعشرون: التعظيم نحو: ﴿ من ذا الذي يشفعُ عنده إلا بإذنه ﴾ .

السادس والعشرون: التحقير نحو: ﴿ أهذا الذي يذُكُرُ أهتكم ﴾ ﴿ أهذا

الذي بعثَ اللهُ رَسولاً ﴾ ويحتمله وما قبله قراءة من فرعون .

السابع والعشرون: الاكتفاء نحو: ﴿ أليسَ في جهنمِ مثوىٍ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

الثامن والعشرون: الاستبعاد نحو: ﴿أنى لهم الذّكرى﴾ .

التاسع والعشرون: الإيناس نحو: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ .

الثلاثون: التهكم والاستهزاء نحو: ﴿أصلواتك تأمرُك﴾ ﴿لا تأكلون﴾ ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ .

الحادي والثلاثون: التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله: ﴿أفمن حقّ عليه كلمة العذاب﴾ ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ قال الموفق عبد اللطيف البغدادي: أي من حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه، فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة في أفأنت دخلت معادة لطول الكلام، وهذا نوع من أنواعها. وقال الزمخشري: الهمزة الثانية هي الأولى، كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد.

الثاني والثلاثون: الإخبار نحو: ﴿أفي قلوبهم مرّص أم ارتابوا﴾ ﴿هل أتى على الإنسان﴾ .

### الاستفهام باق ولو تغير المراد منه:

[تنبيهان، الأول] هل يقال إن معنى الاستفهام في هذه الأشياء موجوداً وانضم إليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية؟ قال في عروس الأفراح: محل نظر. قال: والذي يظهر الأول. قال: ويساعده قول التنوخي في الأقصى القريب أن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجي.

قال: وما يرجحه أن الاستبطاء في قولك كم ادعوك معناه: أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فأنا أطلب أن أعلم عدده، والعادة تقضي بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعمله، وفي طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء.

وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر، فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول: أي شيء عرض لي في حال عدم رؤية الهدهد؟ وقد صرح في الكشاف ببقاء الاستفهام في هذه الآية.

وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقي، لأن معنى أين تذهب: أخبرني إلى أي مكان تذهب؟ فإني لا أعرف ذلك، وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهي.

وأما التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوتة فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع، أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرّر المخاطب: أي يطلب منه أن يكون مقراً به.

وفي كلام أهل الفن ما يقتضي الاحتمالين، والثاني أظهر. وفي الإيضاح تصريح به، ولا بدع في صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لأنه طلب الفهم، أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائناً من كان، وبهذا تنحل إشكالات كثيرة في مواقع الاستفهام، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصاً.

### المنكر يلي الهمزة:

[الثاني] القاعدة أن المنكر يجب أن يلي الهمزة، وأشكل عليها قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ﴾ فإن الذي يليها هنا الإصغاء بالبنين، وليس هو المنكر إنما المنكر قولهم: ﴿إِنَّهُ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾. وأجيب بأن لفظ الإصغاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم، أو بأن المراد مجموع الجملتين، وينحل منها كلام واحد. والتقدير: أجمع بين الإصغاء بالبنين واتخاذ البنات.

وأشكل منه قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ووجه الإشكال



أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبرّ فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة، لأن أمر البرّ ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبرّ لا مدخل له، ولا مجموع الأمرين لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر، ولا نسيان النفس بشرط الأمر لأن النسيان منكر مطلقاً، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشدّ منه حال عدم الأمر، لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة، لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبرّ واجب، وإن كان الإنسان ناسياً لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف بمعصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر؟ قال في عروس الأفراح: ويجب بأن فعل المعصية مع النهي عنها أفحش، لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض، ويجعل القول كالمخالف للفعل، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل. قال: ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة.

### من أقسام الإنشاء (الأمر):

(فصل: من أقسام الإنشاء الأمر) وهو طلب فعل غير كفّ، وصيغته أفعال وتنفعل، وهي حقيقة في الإيجاب نحو ﴿أقيموا الصلاة﴾ ﴿فليُصلوا معك﴾.

وترد مجازاً لمعان آخر.

منها الندب نحو ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ والإباحة نحو ﴿فكاتبواهم﴾ نص الشافعي على أن الأمر فيه للإباحة. ومنه ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾.

والدعاء من السافل للعالي نحو ﴿رب اغفر لي﴾ والتهديد نحو ﴿اعملوا ما شئتم﴾ إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا. والإهانة نحو ﴿ذُق إنك أنت

العزیزُ الْکَرِیْمُ ﴿ والتسخیر: أي التذلیل نحو ﴿ کُونُوا قِرْدَةً ﴾ عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم فهو أخص من الإهانة .

والتعجیز نحو ﴿ فائتوا بسورةٍ من مثله ﴾ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم . والامتنان نحو ﴿ کُلُوا من ثمره إذا أثمر ﴾ والعجب نحو ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ .

والتسوية نحو ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ وأشهدوا إذا تبایعت ﴾ والاحتقار نحو ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ والإنذار نحو ﴿ قل تمتعوا ﴾ والإكرام نحو ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ .

والتكوين وهو أعم من التسخیر نحو ﴿ کُنْ فیکون ﴾ والإنعام: أي تذكیر النعمة نحو ﴿ کلوا مما رزقکم الله ﴾ والتكذیب نحو ﴿ قل فائتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ﴿ قل هلّم شهداءکم الذین یشهدون أن الله حرّم هذا ﴾

والمشورة نحو ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ والاعتبار نحو ﴿ فانظروا إلى ثمره ﴾ والتعجب نحو ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ ذكره السكاكي في استعمال الإنشاء بمعنى الخبر .

### من أقسام الإنشاء ( النهي ) :

( فصل : ومن أقسامه النهي ) وهو طلب الكفّ على فعل ، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم ، وترد مجازاً لمعان .

منها : الكراهة نحو ﴿ ولا تمس في الأرض مراحاً ﴾ والدعاء نحو ﴿ ربّنا لا تُرغ قلوبنا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤکم ﴾ والتسوية نحو ﴿ أو لا تصبروا ﴾ والاحتقار والتقليل نحو ﴿ ولا تمدن عينك ﴾ الآية : أي فهو قليل حقير . وبيان العاقبة نحو ﴿ ولا تحسبنّ الذین قتلوا في

سبيل الله أمواتاً بل أحياء ﴿ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت . واليأس نحو ﴿ لا  
تعذروا ﴾ والإهانة نحو ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

### من أقسام الانشاء ( التمني ) :

( فصل : ومن أقسامه التمني ) وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة ،  
ولا يشترط إمكان التمني بخلاف المترجي ، لكن نوزع في تسمية تمني الحال طلباً  
بأن ما لا يتوقع كيف يطلب .

قال في عروس الأفراح : فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمني  
والترجي والنداء والقسم ليس فيه طلب بل هو تنبيه ، ولا بدع في تسميته إنشاء  
اهـ .

وقد بالغ قوم فجعلوا التمني من قسم الخبر ، وأن معناه النفي ، والزمخشري  
ممن جزم بخلافه . ثم استشكل دخول التكذيب في جوابه في قوله ﴿ يا ليتنا نرد  
ولا نكذب ﴾ إلى قوله ﴿ وإينهم لكاذبون ﴾ وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به  
التكذيب .

وقال غيره : التمني لا يصح فيه الكذب ، وإنما الكذب في التمني الذي  
يترجح عند صاحبه وقوعه فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن ،  
وهو خبر صحيح .

قال : وليس المعنى في قوله ﴿ وإينهم لكاذبون ﴾ أن ما تمنوا ليس بواقع ، لأنه  
ورد في معرض الذم لهم وليس في ذلك التمني ذم ، بل التكذيب ورد على  
أخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون .

وحرف التمني الموضوع له ليت نحو ﴿ يا ليتنا نرد ﴾ ﴿ يا ليت قومي  
يعلمون ﴾ ﴿ يا ليتني كنت معهم فأفوز ﴾ .

وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقدده نحو ﴿فهل لنا من شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ .

وبلو نحو ﴿فلو أنَّ لنا كرةَ فنكونَ﴾ ولذا نصب الفعل في جوابها .

وقد يتمنى بلعل في البعيد فتعطى حكم ليت في نصب الجواب نحو ﴿لعلي  
أبلغُ الأسبابَ أسبابَ السموات فأطلع﴾ .

من أقسام الإنشاء (الترجي) :

(فصل : ومن أقسامه الترجي) نقل القراني في الفروق الإجماع على أنه إنشاء ،  
وفرق بينه وبين التمني بأنه في الممكن والتمني فيه وفي المستحيل ، وبأن الترجي في  
القريب والتمني في البعيد ، وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره ، وبأن التمني  
في المشقوق للنفس والترجي في غيره . وسمعت شيخنا العلامة الكافي يقول :  
الفرق بين التمني وبين العرض هو الفرق بينه وبين الترجي .

وحرف الترجي لعل وعسى ، وقد ترد مجازاً لتوقع محذور ويسمى الإشفاق  
نحو ﴿لعل الساعةَ قريبٌ﴾ .

من أقسام الإنشاء (النداء) :

(فصل : ومن أقسامه النداء) وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف  
نائب مناب أدعو ، ويصحب في الأكثر الأمر والنهي .

والغالب تقدمه نحو ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ ﴿يا عبادِ فاتقون﴾  
﴿يا أيها المزمَلُ قُمْ الليل﴾ ﴿يا قومُ استغفروا ربكم﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا  
تُقدِّموا﴾ .

وقد يتأخر نحو ﴿وتُوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾ .

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو ﴿يا أيها الناسُ ضُربْ

مثل فاستمعوا له ﴿ يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها ﴾ .

وقد لا يعقبها نحو ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ﴾ ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾ ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي ﴾ .

وقد تصحبه الاستفهامية نحو ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ﴾ ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ﴾ ﴿ يا قوم ما لي أدعوك ﴾ .

وقد ترد صورة النداء لغيره مجازاً كالإغراء والتحذير وقد اجتمعا في قوله تعالى ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ والاختصاص كقوله ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ والتنبيه كقوله ﴿ ألا يسجدوا ﴾ والتعجب كقوله ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ والتحسر كقوله ﴿ يا ليتني كنت تراباً ﴾ .

### حرف النداء ( يا ) :

[ قاعدة ] أصل النداء بيا أن تكون للبعيد حقيقة أو حكماً .

وقد ينادى بها القريب لنكت . منها إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو نحو ﴿ يا موسى أقبل ﴾ ومنها : كون الخطاب المتلو معتنى به نحو ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ ومنها : قصد تعظيم شأن المدعو نحو ﴿ يا رب ﴾ وقد قال تعالى ﴿ إني قريب ﴾ ومنها : قصد انحطاطه كقول فرعون ﴿ وإني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ .

### حرف النداء ( أيها ) :

[ فائدة ] قال الزمخشري وغيره : كثر في القرآن النداء بيا أيها دون غيره ، لأن فيه أوجهاً من التأكيد وأسباباً من المبالغة منها ما في يا من التأكيد والتنبيه وما في ها من التنبيه وما في التدرج من الإبهام في أيّ إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة

والتأكيد، لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجه ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان، واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فاقضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

### من أقسام الإنشاء (القسم):

(فصل: ومن أقسامه القسم) نقل القرافي الإجماع على أنه إنشاء، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع، وسيأتي بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين.

(فصل) ومن أقسامه الشرط.

## النوع الثامن والخمسون: في بدائع القرآن

أفرده بالتصنيف ابن أبي الأصعب، فأورد فيه نحو مائة نوع، وهي المجاز والاستعارة والكناية والإرداف والتمثيل والتشبيه والإيجاز والاتساع والإشارة والمساواة والبسط والإيغال والتشريع والتميم والاتضح ونفي الشيء بإيجابه والتكميل والاحتباس والاستقصاء والتذليل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والمذهب الكلامي والقول بالموجب والمنافضة والانتقال والإسجال والتسليم والتمكين والتوشيح والتسهم وردة العجز على الصدر وتشابه الأطراف ولزوم ما لا يلزم والتخيير والإبهام وهو التورية والاستخدام والالتفات والاستطراد والاطراد والانسجام والإدماج والافتنان والاقتران وائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلاف اللفظ مع المعنى والاستدراك والاستثناء والاقتصاص والإبدال وتأكيده المدح بما يشبه الذم والتخويف والتغاير والتقسيم والتدبيح والتنكيت والتجريد والتعديد والترتيب والترقي والتدلي والتضمن والجناس والجمع والتفريق والجمع والتقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم وجمع المؤنث والمختلف وحسن النسق وعتاب المرء نفسه والعكس والعنوان والفرائد والقسم واللف والنشر والمشكلة والمزاوجة والمواربة والمراجعة والنزاهة والإبداع والمقارنة وحسن الابتداء وحسن الختام وحسن التخلص والاستطراد.

فأما المجاز وما بعده إلى الإيضاح فقد تقدم بعضها مفردة وبعضها في نوع الإيجاز والإطناب مع أنواع آخر كالتعريض والاحتباك والاكتفاء والطرده والعكس.

وأما نفي الشيء بإيجابه فقد تقدم في النوع الذي قبل هذا .  
وأما المذهب الكلامي والخمسة بعده فستأتي في نوع الجدل مع أنواع أخر  
مزيدة .

وأما التمكين والثمانية بعده فستأتي في أنواع الفواصل .  
وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتیان في نوع المناسبات .  
وأما حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتیان في نوعي الفواتح والخواتم وها أنا  
أورد الباقي مع زوائده ونفائس لا توجد مجموعة في غير هذا الكتاب .

### التورية:

الإيهام ويدعى التورية: أن يذكر لفظ له معنيان، إما بالإشتراك أو التواطؤ  
أو الحقيقة والمجاز، أحدها قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد ويورى عنه  
بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة. قال الزمخشري: لا ترى باباً في البيان  
أدقّ ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في  
كلام الله ورسوله .

قال: ومن أمثلتها ﴿الرحمنُ على العرشِ استوى﴾ فإن الاستواء على معنيين:  
الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لتنزيهه  
تعالى عنه. والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى به  
عنه بالقريب المذكور انتهى .

وهذه التورية تسمى مجردة لأنها لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به ولا  
المورى عنه .

ومنها: ما يسمى مرشحة وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم هذا أو هذا  
كقوله تعالى ﴿والسماءُ بنيناها بأيدٍ﴾ فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به، وقد



ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود.

### أمثلة من التورية:

قال ابن أبي الأصبع في كتابه الإعجاز: ومنها ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى، فاستعمل أولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب.

﴿فالיום ننجيك ببدنك﴾ على تفسيره بالدرع، فإن البدن يطلق عليه وعلى الجسد والمراد البعيد وهو الجسد.

قال: ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم﴾ ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربي وتوجهت إليه اليهود وتوجهت النصارى إلى المشرق كانت قبلة الإسلام وسطاً بين القبلتين، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي خياراً، وظاهر اللفظ يوم التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظه وسطاً هنا أن يسمى تعالى به لاحتماها المعنيين، ولما كان المراد أبعدهما وهو الخيار صلحت أن تكون من أمثلة التورية.

قلت: وهي مرشحة تلازم المورى عنه وهو قوله ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فإنه من لوازم كونهم خياراً: أي عدولاً، والإتيان قبلها من قسم المجردة.

ومن ذلك قوله ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ فإن النجم يطلق على الكوكب ويرشحه له ذكر الشمس والقمر، وعلى ما لا ساق له من النبات وهو المعنى

البعيد له وهو المقصود في الآية.

ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن من التورية في القرآن قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس﴾ فإن كافة بمعنى مانع: أي تكفهم عن الكفر والمعصية، والهاء للمبالغة وهو معنى بعيد، والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة بمعنى جميعاً، لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد، فكما لا تقول رأيت جميعاً الناس لا تقول رأيت كافة الناس.

### الاستخدام:

الاستخدام هو والتورية أشرف أنواع البديع وهما سيان بل فضله بعضهم عليها، ولهم فيه عبارتان: إحداها أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه ثم يؤتى بضمير مراداً به المعنى الآخر. وهذه طريقة السكاكي وأتباعه.

والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر، وهذه طريقة بدر الدين بن جماعة في المصباح، ومشى عليها ابن أبي الأصعب ومثله بقوله تعالى ﴿لكلٍّ أجلٌ كتابٌ﴾ الآية، فلفظ كتاب يحتمل الأمد المحتوم والكتاب المكتوب، فلفظ أجل يخدم المعنى الأول ويمحو يخدم الثاني.

### امثلة على الاستخدام:

ومثل غيره بقوله تعالى ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ الآية، فالصلاة يحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها، وقوله ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ يخدم الأول ﴿وإلا عابري سبيل﴾ يخدم الثاني. قيل ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي.

قلت: وقد استخرجت بفكري آيات على طريقته منها قوله تعالى ﴿أتى أمر الله﴾ فأمر الله يُراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبي ﷺ، وقد أريد بلفظه الأخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن

عباس في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال محمد: وأعيد الضمير عليه في تستعجلوه مراداً به قيام الساعة والعذاب.

ومنها وهي أظهرها قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ﴾ فإن المراد به آدم، ثم أعاد عليه الضمير مراداً به ولده، ثم قال ﴿ثم جعلناه في قرارٍ مكينٍ﴾ ومنها قوله تعالى ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ ثم قال ﴿قد سأها قومٌ من قبلكم﴾ أي أشياء أخر، لأن الأولين لم يسألوا عن الأشياء التي سأل عنها الصحابة فنهوا عن سؤالها.

### الالتفات:

الالتفات: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر: أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول، هذا هو المشهور. وقال السكاكي: إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره.

وله فوائد: منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حبّ التنقلات والسلامة من الاستمرار على منوال واحد، هذه هي فائده العامة.

ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله كما سنبينه.

مثاله من التكلم إلى الخطاب ووجهه حتّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية تختص بالمواجهة قوله تعالى: ﴿وما لي لا أعبدُ الذي فطرني وإليه تُرجعون﴾ الأصل وإليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب، ونكتته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تحويرهم ودعوتهم إلى الله تعالى.

كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات، وفيه نظر لأنه إنما يكون منه إذا قصد الإخبار عن نفسه في كلا الجملتين، وهنا ليس كذلك لجواز أن يريد بقوله

﴿تَرْجَعُونَ﴾ المخاطبين لا نفسه. وأجيب بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الإنكاري، لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعيده غير ذلك الراجع، فالمعنى: كيف لا أعبد من إليه رجوعي، وإنما عدل عن وإليه أرجع، إلى وإليه ترجعون، لأنه داخل فيهم، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرجوع.

### من أمثلة الالتفات:

من أمثلته أيضاً قوله تعالى ﴿وَأْمَرْنَا لِنَسْلَمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ومثاله من التكلم إلى الغيبة ووجهه أن يفهم السامع أن هذا غمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب، وأنه ليس في كلامه ممن يتلون ويتوجه ويبيدي في الغيبة خلاف ما نبديه في الحضور قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ﴾ والأصل: لنغفر لك ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ والأصل لنا ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ والأصل منا ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ إلى قوله ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والأصل وي، وعدل عنه لنكتتين: إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالعصية لها، والأخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما تصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة.

ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن، ومثل له بعضهم بقوله ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ثم قال ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾ وهذا المثال لا يصح لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً.

ومثاله من الخطاب إلى الغيبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ والأصل بكم، ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة، وقيل لأن الخطاب أولاً كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَسِيرُ فِي الْبَرِّ﴾

والبحر ﴿ فلو كان وجرين بكم، للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية عدولاً من الخطاب العام إلى الخاص.

قلت: ورأيت عن بعض السلف في توجيه عكس ذلك، وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام، فأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله ﴿ حتى إذا كنتم في الفلكِ وجرّينَ بهم ﴾ قال: ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم، ولم يقل وجرين بكم لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق، هذه عبارته، فلله درّ السلف ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخرون فيها زماناً طويلاً ويفنون فيها أعمالهم ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى.

ومما ذكر في توجيهه أيضاً أنهم وقت الركوب حضروا إلا أنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين، ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب قلبه عن ربه، فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة. وهذه إشارة صوفية.

ومن أمثله أيضاً ﴿ وما آتيتم من زكاة تُريدون وجهَ الله فأولئك هم المضعفون ﴾ ﴿ وكرهَ إليكم الكفرَ والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون يُطاف عليهم ﴾ والأصل عليكم. ثم قال ﴿ وأنتم فيها خالدون ﴾ فكرر الالتفات.

ومثاله من الغيبة إلى التكلم ﴿ الله الذي يُرسلِ الرياح فتثير سحاباً فسقناه ﴾ ﴿ وأوحى في كل سماءٍ أمرها وزينا ﴾ ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ إلى قوله ﴿ باركنا حوله لئريه من آياتنا ﴾ ثم التفت ثانياً إلى الغيبة فقال ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ وعلى قراءة الحسن ليريه بالغيبة يكون التفاتاً ثانياً من باركنا، وفي آياتنا

التفات ثالث ، وفي أنه التفات رابع .

قال الزمخشري: وفائدته في هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد .

ومثاله من الغيبة إلى الخطاب ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ ﴿ لقد جئتم شيئاً  
إدّاً ﴾ ﴿ ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرنٍ مكناهم في الأرض ما لم نمكن  
لكم ﴾ ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ ﴿ إن هذا كان لكم جزاء ﴾ ﴿ أراد  
النبي أن يستكحها خالصة لك ﴾ .

### من محاسن الالتفات ما ورد في الفاتحة:

ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة، فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحده ثم  
ذكر صفاته ألقى كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال وآخرها ﴿ مالك يوم  
الدين ﴾ المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء، يجد من نفسه حاملاً لا يقدر  
على دفعه على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في  
المهمات .

وقيل إنما اختير لفظ الغيبة للحمد وللعبادة . الخطاب للإشارة إلى الحمد دون  
العبرة في الرتبة، لأنك تحمد نظيره ولا تعبد، فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة  
ولفظ العبادة مع الخطاب لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والواجهة ما هو أعلى  
رتبة وذلك على طريقة التأدب، وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال  
﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾ مصرحاً بذكر المنعم وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل  
صراط المنعم عليهم، فلما صار إلى ذكر الغضب ذوى عنه لفظه فلم ينسبه إليه  
لفظاً، وجاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فلم يقل غير الذين غضبت عليهم  
تفادياً عن نسبة الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة .

وقيل لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربّاً للعالمين ورحماناً ورحيماً ومالكاً ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره مستعاناً به ، فخطوب بذلك لتمييزه بالصفات المذكورة تعظيماً لشأنه حتى كأنه قيل : إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا غيرك .

قيل ومن لطائفه التنبيه على أن مبتدأ الخلق للغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن محاضرتة ومخاطبته وقام حجاب العظمة عليهم فإذا عرفوه بما هو له وتوسلوا للقرب بالثناء عليه وأقرّوا بالمحامد له تعبدوا له بما يليق بهم وتأهلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا : إياك نعبد وإياك نستعين .

### تنبيهات في (الالتفات)

[ تنبيهات ، الأول ] شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه ، ولا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي التفات .  
الثاني : شرطه أيضاً أن يكون في جملتين ، صرّح به صاحب الكشاف وغيره ، وإلا يلزم عليه أن يكون نوعاً غريباً .

الثالث : ذكر التنوخي في الأقصى القريب وابن الأثير وغيرهما نوعاً غريباً من الالتفات ، وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه كقوله : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ بعد ﴿ أنعمت ﴾ ، فإن المعنى غير الذين غضبت عليهم ، وتوقف فيه صاحب عروس الأفراح .

الرابع : قال ابن أبي الأصعب : جاء في القرآن من الالتفات قسم غريب جداً لم أظفر في الشعر بمثاله ، وهو أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتبين ، ثم يصحح عن الأول منها وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني ، ثم يعود إلى

الإخبار عن الأول كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾  
انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى، ثم قال منصرفاً عن  
الإخبار عن ربه تعالى إلى الإخبار عن الإنسان: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾  
قال: وهذا يحسن أن يسمى التفتات الضمائر.

الخامس: يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين  
أو الجمع لخطاب الآخر، ذكره التنوخي وابن الأثير، وهو ستة أقسام أيضاً.  
مثاله من الواحد إلى الاثنين: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّآ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا  
وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾. وإلى الجمع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمْ  
النِّسَاءَ﴾ ومن الاثنين إلى الواحد ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ﴿فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنْ  
الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ وإلى الجمع ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ  
بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ ومن الجمع إلى الواحد: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾  
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإلى الاثنين: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ إِلَىٰ  
قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

السادس: ويقرب منه أيضاً الانتقال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى  
آخر مثاله من الماضي إلى المضارع ﴿أرسل الرياح فتثيرون﴾ ﴿خر من السماء  
فتخطفه الطير﴾ ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾ وإلى الأمر:  
﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ ﴿وأقيموا وجوهكم﴾ ﴿وأحلت لكم الأنعام إلا ما  
يُتلى عليكم فاجتنبوا﴾ ومن المضارع إلى الماضي: ﴿ويوم ينفخ في الصور  
فصعق﴾ ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ ﴿وحشرناهم﴾ وإلى  
الأمر قال: ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء﴾ ومن الأمر إلى الماضي:  
﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا﴾ وإلى المضارع: ﴿وأن أقيموا  
الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون﴾.



## الإطراد:

الإطراد: هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة. قال ابن أبي الأصبع: ومنه في القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قال: وإنما لم يأت به على الترتيب المؤلف، فإن العادة الابتداء بالأب، ثم الجد، ثم الجد الأعلى لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها، فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب. ومثله قول أولاد يعقوب: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَّهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾.

## الانسجام:

الانسجام: هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن كله كذلك.

قال أهل البديع:، وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزوناً.

فمنه من بحر الطويل ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ومن المديد. ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾. ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا نَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ ومن الوافر: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ومن الكامل: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. ومن الهزج: ﴿فَأَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾. ومن الرجز: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ ﴿وَدَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾. ومن الرمل: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾. ومن السريع: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ومن المنسرح: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ﴾. ومن الخفيف: ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾. ومن المضارع: ﴿يَوْمَ﴾

التناد، يومَ تُؤلّونَ مديريّن ﴿ ومن المقتضب: ﴿ في قلوبهم مرّص ﴿ . ومن  
المجتث: ﴿ نبيّ عبّاديّ أني أنا الغفورُ الرحيمُ ﴿ ومن المتقارب: ﴿ وأملي لهم إن  
كيدي متين ﴿ .

### الإدماج:

الإدماج: قال ابن أبي الأصعب: هو أن يدمج المتكلم غرضاً في غرض أو بديعاً  
في بديع بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين كقوله  
تعالى: ﴿ ولهُ الحمدُ في الأولى والآخرة ﴿ أدبجت المبالغة في المطابقة لأن انفراده  
تعالى بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه مبالغة في الوقت  
بأن انفراد بالحمد، وهو وإن خرج مخرج المبالغة في الظاهر فالأمر فيه حقيقة في  
الباطن، فإنه ربّ الحمد والمنفرد به في الدارين اهـ .

قلت: والأولى يقال في هذه الآية أنها من إدماج غرض في غرض، فإن  
الغرض منها تفرّده تعالى بوصف الحمد وأدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء .

### الافتنان:

الافتنان: هو الإتيان في كلام بفنين مختلفين، كالجمع بين الفخر والتعزية في  
قوله تعالى: ﴿ كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿ فإنه  
تعالى عزّى جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو  
قابل للحياة، وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات مع وصفه ذات  
بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى، ومنه: ﴿ ثم ننجي الذين  
اتقوا ﴿ الآية، جمع فيها بين هناء وعزاء .

### الاقتدار:

الاقتدار: هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم

الكلام وتركيبه على صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة، وتارة في صورة الإرداف، وحيناً في مخرج الإيجاز، ومرة في قلب الحقيقة.

قال ابن أبي الأصبغ: وعلى هذا أنت جميع قصص القرآن، فإنك ترى في الصفة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأتي في صورة مختلفة وقوالب من الألفاظ متعددة حتى لا تكاد تشته في موضعين منه، ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً.

### الائتلاف:

ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى. الأول: أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة.

والثاني: أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، وإن كان فخماً كانت ألفاظه مفخمة أو جزلاً فجزلة أو غريباً فغريبة أو متداولاً فمتداولة أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك.

فالأول كقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُ تَذَكَّرُ يُوسَفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصاً﴾ أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء فإنها أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، فإن تزال أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً منها، وبأغرب الألفاظ الملاك وهو الحرص، فاقضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخياً لحسن الجوار ورعاية في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتناسب في النظم.

ولما أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

فتمسَّكُمُ النَّارُ ﴿ لما كان الركون إلى الظالم وهو الميل إليه والاعتدال عليه دون مشاركته في الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ المس الذي هو دون الإحراق والإصطلاء .

### أمثلة على (الائتلاف):

وقوله: ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها .

وكذا قوله: ﴿ فكذبوا فيها ﴾ فإنه أبلغ من كبوا للإشارة إلى أنهم مكبون كباً عنيفاً فظيماً .

﴿ و م يصطرخون ﴾ فإنه أبلغ ممن يصرخون للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحد المعتاد .

و ﴿ أخذ عزيز مقتدر ﴾ فإنه أبلغ من قادر للإشارة إلى زيادته التمكن في القدرة، وأنه لا رد له ولا معقب .

ومثل ذلك ﴿ واصطر ﴾ فإنه أبلغ من اصبر .

والرحمن فإنه أبلغ من الرحيم، فإنه يشعر باللطف والرفق، كما أن الرحمن يشعر بالفخامة والعظمة .

ومنه الفرق بين سقى وأسقى، فإنه سقى لما لا كلفة معه في السقيا ولهذا أورده تعالى في شراب الجنة فقال: ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ وأسقى لما فيه كلفة ولهذا أورده في شراب الدنيا فقال: ﴿ وأسقيناكم ماءً فُراتاً ﴾ ﴿ لأسقيناكم ماءً غداً ﴾ لأن السقيا في الدنيا لا تخلو من الكلفة أبداً .

### الاستدراك:

الاستدراك والاستثناء: شرط كونها من البديع أن يتضمننا ضرباً من

المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوي .

مثال الاستدراك: ﴿قالت الأعرابُ آمناً قلُّ لم تُؤْمِنُوا ولكن قُولوا أسلمنا﴾ فإنه لو اقتصر على قوله لم تؤمنوا لكان منفرداً لهم، لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقاد إيماناً فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ليعلم أن الإيمان موافقة القلب للسان، وإن انفرد اللسان بذلك يسمى إسلاماً ولا يسمى إيماناً، وزاد ذلك إيضاحاً بقوله: ﴿ولما يدخل الإيمانُ في قلوبِكُمْ﴾ فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من الأشكال عدت من المحاسن .

### الاستثناء:

ومثال الاستثناء: ﴿فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً﴾ فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم، إذ لو قيل فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لم يكن فيه من التهويل ما في الأول لأن لفظ الألف في الأول، أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام، وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعدها ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف.

### الاقتصاص:

الاقتصاص: ذكره ابن فارس وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في تلك السورة كقوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ والآخرة دار ثواب لا عمل فيها فهذا مقتص من قوله تعالى: ﴿من يأتِه مؤمناً قد عملَ الصالحاتِ فأولئك لهم الدرجاتُ العلى﴾ ومنه: ﴿ولولا نعمةُ ربي لكنتُ من المحضرين﴾ مأخوذ من قولهم: ﴿فأولئك في العذابِ محضرون﴾ وقوله: ﴿ويومَ يقومُ الأشهاد﴾ مقتص من أربع آيات،

لأن الأَشهاد أربعة: للملائكة في قوله: ﴿وجاءت كُلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشَهِيدٌ﴾ والأنبياء في قوله: ﴿فكيفَ إذا جِئنا من كُلِّ أمةٍ بشَهِيدٍ وجِئنا بِكَ على هؤَلاءِ شَهِيداً﴾ وأمة محمد في قوله: ﴿لنكونوا شُهَداءَ على الناسِ﴾ والأعضاء في قوله: ﴿يومَ تَشهدُ عليهم ألسنتَهُمُ﴾ الآية .

وقوله: ﴿ويومَ التنادِ﴾ قرىء مخففاً ومشدداً، فالأول مأخوذ من قوله: ﴿ونادى أصحابُ الجَنَّةِ أصحابَ النارِ﴾ والثاني من قوله: ﴿يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه﴾ .

### الإبدال:

الإبدال: هو إقامة بعض الحروف مقام بعض، وجعل منه ابن فارس فانطلق: أي انفرق، ولهذا قال: ﴿فكان كل فرق﴾ فالراء واللام متعاقبان. وعن الخليل في قوله تعالى: ﴿فجاسوا خلالَ الديارِ﴾ أنه أريد فجاسوا، فجاءت الجيم مقام الحاء، وقد قرىء بالحاء أيضاً، وجعل منه الفارسي: ﴿إني أَحَبُّتُ حُبَّ الخَيْرِ﴾ أي الخيل، وجعل منه أبو عبيدة: ﴿إلا مُكاءً وتصدية﴾ .

### تأكيد المدح بما يشبه الذم:

تأكيد المدح بما يشبه الذم. قال ابن أبي الأصعب: هو غاية العزة في القرآن، قال: ولم أجد منه في القرآن إلا آية واحدة وهي قوله: ﴿قل يا أهلَ الكتابِ هل تنقمون مِنَّا إلا أن آمنا بالله﴾ الآية، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم أن ما يأتي بعده مما يوجب أن ينتقم على فاعله مما يذم، فلما أتى بعد الاستثناء بما يوجب مدح فاعله دان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم.

قلت: ونظيرها قوله: ﴿وما نَقموا إلا أن أغناهمُ اللهُ ورَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ .

وقوله: ﴿الذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الإخراج، فلما كان صفة مدح يقتضي الإكرام لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم، وجعل منه التنوخي في الأقصى القريب: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ استثنى سلاماً سلاماً الذي هو ضد اللغو والتأثم، فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثم انتهى.

### التفويت:

التفويت: هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة عن أختها مع تساوي الجمل في الزنة، وتكون في الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة. فمن الطويلة: ﴿الذي خلقتني فهو يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

ومن المبسوط: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال ابن أبي الأصعب: ولم يأت المركب من القصيرة في القرآن.

### التقسيم:

التقسيم: هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة إلا الممكنة عقلاً نحو: ﴿هو الذي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين.

وقوله: ﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فإن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة: إما عاص ظالم لنفسه، وإما سابق مبادر

للخيرات ، وإما متوسط بينها مقتصد فيها .

ونظيرها : ﴿ كنتم أزواجاً ثلاثة فأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ  
وأصحابُ المشأمةِ ما أصحابُ المشأمةِ والسابقون السابقون ﴾ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ له ما بينَ أيدينا وما خلفنا وبين ذلك ﴾ استوفى أقسام  
الزمان ولا رابع لها .

وقوله : ﴿ والله خلقَ كُلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من  
يَمْشِي على رِجْلَيْنِ ومنهم من يَمْشِي على أربع ﴾ استوفى أقسام الخلق في المشي .  
وقوله : ﴿ الذينَ يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ استوفى جميع  
هيئات الذاكِر .

وقوله : ﴿ يهبُ لمن يشاءُ وإناثاً ويهبُ لمن يشاءُ الذكورَ أو يُزَوِّجُهُم ذُكْراناً  
وإناثاً ويجعلُ من يشاءُ عقيماً ﴾ استوفى جميع أحوال المتزوجين ولا خامس لها .

### التدبيح :

التدبيح : هو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد التورية بها والكناية . قال ابن أبي  
الأصبع : كقوله تعالى : ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرابيب  
سود ﴾ . قال : المراد بذلك والله أعلم الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق ، لأن  
الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً وهي أوضح الطرق  
وأبينها : ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنها في الخفاء ، والالتباس ضد  
البيضاء في الظهور والوضوح . ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين  
طرفين وواسطة فالطرف الأعلى في الظهور البيضاء والطرف الأدنى في الخفاء  
السواد والأحر بينهما على وضع الألوان في التركيب ، وكانت ألوان الجبال لا  
تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه



القسمة أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم.

### التنكيث:

التنكيث: هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء، لأن العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعري ودعا خلقه إلى عبادتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ التي ادعيت فيها الربوبية.

### التجريد:

التجريد: هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالها فيه نحو: لي من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق، آخر مثله متصفاً بصفة الصداقة نحو: ومررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة جردوا من الرجل الكريم. آخر مثله متصفاً بصفة البركة وعطفوه عليه كأنه غيره وهو هو.

ومن أمثلته في القرآن: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ ليس المعنى أن الجنة فيها دار الخلد وغير دار خلد، بل هي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار داراً، ذكره في المحتسب، وجعل منه: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ على أن المراد بالميت النطفة. قال الزمخشري: وقرأ عبيد بن عمير: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ بالرفع بمعنى حصلت منها وردة. قال: وهو من التجريد. وقرئ أيضاً: ﴿يَرِثُنِي وَارِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد وهب لي من لدنك ولياً يرثني وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثاً.

## التعديد :

التعديد : هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد ، وأكثر ما يوجد في الصفات كقوله : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ وقوله : ﴿ التائبون العابدون الحامدون ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ مسلمات مؤمنات ﴾ الآية .

## الترتيب :

الترتيب : هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل فيها وصفاً زائداً ، ومثله عبد الباقي اليميني بقوله : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ وبقوله : ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ الآية .

الترقي والتدلي : تقدما في نوع التقديم والتأخير .

## التضمين :

التضمين : يطلق على أشياء ، أحدها : إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز تقدم فيه .

الثاني : حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه ، وهذا نوع من الإيجاز تقدم أيضاً .

الثالث : تعلق ما بعد الفاصلة بها ، وهذا مذكور في نوع الفواصل .

الرابع : إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم ، وهذا هو النوع البديعي ، قال ابن أبي الأصعب : ولم أظفر في القرآن بشيء منه إلا في موضعين تضمننا فصلين من التوراة والإنجيل : قوله : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِم

فيها أن النفسَ بالنفس ﴿ . الآية، وقوله: ﴿ محمدٌ رسولُ الله ﴾ الآية، ومثله ابن النقيب وغيره بإيداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿ أتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ﴾ وعن المنافقين: ﴿ أنؤمنُ كما آمن السفهاء ﴾ ﴿ وقالت اليهودُ وقالت النصارى ﴾ قال: وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية .

### الجناس:

الجناس: هو تشابه اللفظين في اللفظ. قال في كنز البراعة: وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه .

وأنواع الجناس كثيرة. منها: التام بأن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها كقوله تعالى: ﴿ ويوم تقوم الساعة يُقسِمُ المجرمون ما لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ قيل ولم يقع منه في القرآن سواه. واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعاً آخر وهو: ﴿ يكادُ سَنَّا بَرَقَه يذهبُ بالأبصارِ يقلبُ اللهُ الليلَ والنهارَ إن في ذلكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الأبصارِ ﴾ وأنكر بعضهم كون الآية الأولى من الجناس. وقال: الساعة في الموضعين بمعنى واحد .

والتجنيس: أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً بل يكونان حقيقتين وزمان القيامة وإن طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة، فإطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخرة حقيقة وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس، كما لو قلت ركبت حماراً ولقيت حماراً .  
تعني بليداً .

ومنها: المصحف ويسمى جناس الخط بأن تختلف الحروف في النقط كقوله:

﴿والذي هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ .

ومنها: **المحرّف** بأن يقع الاختلاف في الحركات كقوله: ﴿ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرِينَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ وقد اجتمع التصحيف والتحريف في قوله: ﴿وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ .

ومنها: **الناقص** بأن يختلف في عدد الحروف سواء كان الحرف المزيد أولاً أو وسطاً أو آخراً كقوله ﴿والتفتِ الساقُ بالساقِ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ﴿كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ .

ومنها: **المذيل** بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأول، وسمي بعضهم الثاني بالمتوج كقوله ﴿وانظر إلى إلهك﴾ ﴿ولكنّا كنا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿من آمن بالله﴾ ﴿إن ربهم بهم﴾ ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ .

ومنها: **المضارع**: وهو أن يختلفا بحرف مقارب في المخرج سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر كقوله تعالى ﴿وهم ينهون عنه﴾ ﴿وينأون عنه﴾ .

ومنها: **اللاحق** بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك كقوله ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ﴿وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحبّ الخير لشديد﴾ ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون﴾ ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن﴾ .

ومنها: **المرفق**، وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى كقوله ﴿جرف هار فانهار﴾ .

ومنها: **اللفظي** بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء كقوله ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ .

ومنها: **تجنيس القلب** بأن يختلفا في ترتيب الحروف نحو: ﴿فرقت بين بني

إسرائيل ﴿ .

ومنها: تجنيس الاشتقاق بأن يجتمعا في أصل الاشتقاق ويسمى المقتضب نحو ﴿ فروح وريحان ﴾ ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ ﴿ وجهت وجهي ﴾ .

ومنها: تجنيس الإطلاق بأن يجتمعا في المشابهة فقط كقوله ﴿ وجنسى الجنتين ﴾ ﴿ قال إني لعملكم من القالين ﴾ ﴿ ليريه كيف يُواري ﴾ ﴿ وإن يردك بخير فلا راد ﴾ ﴿ اناقلتم إلى الأرض ﴾ ﴿ أرضيت ﴾ ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ﴾ إلى قوله ﴿ فذو دُعاء عريض ﴾ .

### يترك الجنس لأسباب:

[ تنبيه ] لكون الجنس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوة المعنى كقوله تعالى ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ قيل ما الحكمة في كونه لم يقل وما أنت بمصدق، فإنه يؤدي معناه مع رعاية التجنيس؟ وأجيب بأن في مؤمن لنا من المعنى ليس في مصدق، لأن معنى قولك فلان مصدق لي قال لي صدقت، وأما مؤمن معناه مع رعاية التصديق إعطاء الأمن، ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الأمن فلذلك عبر به .

وقد زلّ بعض الأدباء فقال في قوله ﴿ أتدعون بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ لو قال: وتدعون لكان فيه مراعاة التجنيس .

وأجاب الإمام فخر الدين بأن فصاحة القرآن ليست لرعاية هذه التكيلفات، بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ .

وأجاب غيره بأن مراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ، ولو قال أتدعون وتدعون لوقع الالتباس على القارئ فيجعلها بمعنى واحد تصحيفاً، وهذا الجواب غير ناضج .

وأجاب ابن الزملاكاني بأن التجنيس تحسين، وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان لا في مقام التهويل.

وأجاب الخويبي بأن تدع أخص من تذر، بمعنى ترك الشيء مع اعتناؤه بشهادة الاشتقاق نحو الإيداع فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بها، ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها، ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة وأما تذر فمعناه الترك مطلقاً، أو الترك مع الإعراض والرفض الكلي.

قال الراغب: يقال فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلّة الاعتداد به، ومنه الوزرة: قطعة من اللحم لقلّة الاعتداد به، ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول فأريد هنا تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض انتهى.

#### الجمع:

الجمع: هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم كقوله تعالى ﴿المالُ والبنون زينَةُ الحياةِ الدُّنيا﴾ جمع المال والبنون في الزينة، وكذا قوله ﴿الشمسُ والقمرُ بحسبان والنجمُ والشجرُ يسجدان﴾. الجمع والتفريق: هو أن تدخل شيئين في معنى وتفرق بين جهتي الإدخال، وجعل منه الطيبي قوله ﴿اللهُ يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الآية، جمع النفسين في حكم التوفي ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالإمسك والإرسال: أي الله يتوفى الأنفس التي تقبض والتي لم تقبض، فيمسك الأولى ويرسل الأخرى.

#### الجمع والتقسيم:

الجمع والتقسيم: وهو جمع متعدّد تحت حكم ثم تقسيمه كقوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات﴾.

## الجمع مع التفريق:

الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الآيات، فالجمع في قوله: ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لأنها متعددة معنى، إذ النكرة في سياق النفي تعم. والتفريق قوله ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ والتقسيم قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾.

## جمع المؤنث والمختلف:

جمع المؤنث والمختلف: هو أن تريد التسوية بين الزوجين، فتأتي بمعان مؤنثة في مدحها وتروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا تنقص الآخر، فتأتي لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ﴾ الآية، سوى في الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم.

## حسن النسق:

حسن النسق: هو أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحقات تلاهما سليماً مستحسناً، بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ الآية، فإن جملة معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالاسم الذي هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه، غاية مطلوب أهل السفينة من الإطلاق من سجنها ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج.

ومنه اختلاف ما كان بالأرض ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعاً، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك من قدر هلاكه

ونجاة من سبق نجاته، وأخرّ عما قبله لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهابه الخوف وحصول الأمن من الاضطراب، ثم ختم بالدعاء على الظالمين لإفادته أن الغرق وإن عمّ الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه.

### عتاب المرء نفسه:

عتاب المرء نفسه منه ﴿ويومَ يعرضُ الظالمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ الآيات، وقوله ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ الآيات.

### العكس:

العكس: هو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر، ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم كقوله تعالى ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ﴿يَخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ﴿هَن لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ ﴿لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾.

وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ؟ فأجاب ابن المنير بأن فائدته الإشارة إلى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب: الحق أن كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفي عنه الحل، أما فعل المؤمنة فيحرم لأنها مخاطبة، وأما فعل الكافر فنفي عنه الحل باعتبار أن هذا الوطاء مشتمل على المفسدة، فليس الكفار مورد الخطاب، بل الأئمة ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك، لأن الشرع أمر بإخلاء الوجود من المفاسد.

فاتضح أن المؤمنة نفى عنها الحل باعتبار، والكافر نفى عنه الحل باعتبار.



قال ابن أبي الأصعب: ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾ ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ فإن نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى لتقديم العمل في الأولى على الإيمان وتأخيره في الثانية عن الإسلام.

ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوى وما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها كما تقرأ من أولها إلى آخرها كقوله تعالى ﴿كل في فلك﴾ ﴿وربك فكبر﴾ ولا ثالث لهما في القرآن.

### العنوان:

العنوان: قال ابن أبي الأصعب: هو أن يأخذ المتكلم في عرض فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثله في ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة وقصص سالفة.

ومنه نوع عظيم جداً وهو عنوان العلوم بأن يذكر في الكلام ألفاظاً تكون مفاتيح العلوم ومدخل لها.

من الأول قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ الآية فإنه عنوان قصة بلعام.

ومن الثاني قوله تعالى ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ الآية، فيها عنوان علم الهندسة، فإن الشكل المثلث أول الأشكال، وإذا نصب في الشمس على أي ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم.

وقوله ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ الآيات، فيها عنوان علم الكلام وعلم الجدل وعلم الهيئة.

## الفرائد:

الفرائد: هو مختص بالفصاحة دون البلاغة لأنه الإتيان بلفظة تنزل منزلة الفريدة من العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء.

ومنه لفظ **حصحص** في قوله ﴿الآن حصحص الحق﴾ والرفث في قوله ﴿أجل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائك﴾ ولفظة **فزع** في قوله ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ و**خائنة الأعين** في قوله ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ وألفاظ قوله ﴿فلما استياسوا منه خلصوا نجيا﴾ وقوله ﴿فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾.

## القسم:

القسم: هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ذم لغيره أو جارياً مجرى الغزل الرقيق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد كقوله ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ أقسم سبحانه وتعالى بقسم فوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة.

﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيه ﷺ تعظيماً لشأنه وتنويهاً بقدره. وسيأتي في نوع الإقسام أشياء تتعلق بذلك.

## اللف والنشر:

اللف والنشر: هو أن يذكر شيئاً أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد، أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد

ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوّض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى ما يليق به.

**فالإجمالي** كقوله تعالى ﴿وقالوا لن يدخُلَ الجنةَ إلا من كان هُوداً أو نصارى﴾ أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى، وإنما سوّغ الإجمال في اللفّ ثبوت العناد بين اليهود والنصارى، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة، فوثق بالعقل في أنه يرد كل قول إلى فريقه لأمن اللبس، وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران.

قلت: وقد يكون الإجمال في النشر لا في اللفّ بأن يؤتى بمتعدّد ثم بلفظ يشتمل على متعدّد يصلح لها نحو ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ على قول أبي عبيدة أن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل، وقد بينته في أسرار التنزيل.

**والتفصيلي** قسما: أحدهما أن يكون على ترتيب اللفّ كقوله تعالى ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار.

وقوله تعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ فاللوم راجع إلى البخل ومحسوراً راجع إلى الإسراف، لأن معناه منقطعاً لا شيء عندك. وقوله ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ الآيات، فإن قوله ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ راجع إلى قوله ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾ وأما السائل فلا تنهر﴾ راجع إلى قوله ﴿ووجدك ضالاً﴾ فإن المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ راجع إلى قوله ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ رأيت هذا المثال في شرح الوسيط للنووي المسمى بالتنقيح.

والثاني أن يكون على عكس ترتيبه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ الخ.

وجعل منه جماعة قوله تعالى ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قالوا ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ قول الذين آمنوا ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قول الرسول.

وذكر الزمخشري له قسماً آخر كقوله تعالى ﴿وَمِن آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: هذا من باب اللف، وتقديره: ومن آياته منامكم وابتغائكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين منامكم وابتغائكم بالليل والنهار لأنها زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إقامة اللف على الاتحاد.

### المشكلة:

المشكلة: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً، فالأول كقوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى لمشكلة ما معه.

وكذا قوله ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة. ﴿مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ ﴿فَالْيَوْمَ نُنْصَاكُمُ كَمَا نَسَيْتُمْ﴾ ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

ومثال التقدير قوله تعالى ﴿صَيِّغَةَ اللَّهِ﴾ أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان بصيغة الله للمشكلة بهذه القرينة.

## المزاوجة:

المزاوجة: أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء أو ما جرى مجراها كقوله:

إذا ما نهي الناهي فلجّ بي الهوى أصاغت إلى الواشي فلجّ بها الهجر  
ومنه في القرآن ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ  
الْغَاوِينَ﴾.

## المبالغة:

المبالغة: أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده.

وهي ضربان: مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حدّ الاستحالة، ومنها ﴿يكادُ  
زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِ  
الْحَيْطِ﴾.

ومبالغة بالصيغة. وصيغ المبالغة فعلاً كالرحمن، وفعل كالرحيم، وفعل  
كالتواب والغفار والقهار، وفعل كغفور وشكور وودود، وفعل كحذر وأشر  
وفرح، وفعل بالتخفيف كعجاب، وبالتشديد ككبار، وفعل كلبد وكبر،  
وفعل كالعليا والحسنى وشورى والسواى.

[ فائدة ] الأكثر على أن فعلاً أبلغ من فعل، ومن ثم قيل الرحمن أبلغ من  
الرحيم. ونصره السهيلي بأنه ورد على صيغة التثنية والتثنية تضعيف، فكان البناء  
تضاعفت فيه الصفة. وذهب ابن الأنباري إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن،  
ورجح ابن عسکر بتقديم الرحمن عليه وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد، وهو  
أبلغ من صيغة التثنية. وذهب قطرب إلى أنها سواء.

## صيغ المبالغة في صفات الله :

[ فائدة ] ذكر البرهان الرشيد وأن صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز ، لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة إن تثبت للشيء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها .

وأيضاً فالمبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزّهة عن ذلك . واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي .

وقال الزركشي في البرهان : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان . أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل .

والثاني : بحسب تعدّد المفعولات . ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة ، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين ، وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال ، ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع .

وقال في الكشف : المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده ، أو لأنه بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه .

وقد أورد بعض الفضلاء سؤالاً على قوله ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهو أن قديراً من صيغ المبالغة فيستلزم الزيادة على معنى قادر ، والزيادة على معنى قادر محال ، إذ الإيجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد . وأجيب بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دلّ السياق عليها ، فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف .

## المطابقة:

المطابقة: وتسمى الطباق: الجمع بين متضادين في الجملة، وهو قسبان: حقيقي، ومجازي، والثاني يسمى التكافؤ، وكل منها إما لفظي أو معنوي، وإما طباق إيجاب أو سلب.

فمن أمثلة ذلك ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾ ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾.

ومن أمثلة المجازي ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ أي ضالا فهديناه.

ومن أمثلة طباق السلب ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ﴿فلا تخشوا الناس واخشوني﴾.

ومن أمثلة المعنوي ﴿إن أنتم إلا تكذبون﴾ ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ معناه: ربنا يعلم إنا لصادقون ﴿جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً﴾ قال أبو علي الفارسي: لما كان البناء رفعا للمبني قبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء.

ومنه نوع يسمى الطباق الخفي كقوله ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ لأن الغرق من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء والنار. قال ابن منقذ: وهي أخفى مطابقة في القرآن.

وقال ابن المعتز: من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ لأن معنى القصاص القتل، فصار القتل سبب الحياة.

ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله ﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظأ فيها ولا

تضحى ﴿ أتى بالجوع مع العري وبابه أن يكون مع الظأ، وبالضحى مع الظأ وبابه أن يكون مع العري، لكن الجوع والعري اشتركا في الخلو، فالجوع خلو الباطن من الطعام والعري خلو الظاهر من اللباس، والظأ والضحى اشتركا في الاحتراق، فالظأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حرّ الشمس.

### من أنواع المطابقة المهمة (المقابلة):

ومنه نوع يسمى المقابلة، وهي أن يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها على الترتيب. قال ابن أبي الأصعب: والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين. أحدهما: أن الطباق لا يكون إلا من ضدين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد من الأربعة إلى العشرة. والثاني: أي الطباق لا يكون إلا بأضداد، والمقابلة بالأضداد بغيرها.

قال السكاكي: ومن خواصّ المقابلة أنه إذا شرط في الأول أمر شرط في الثاني ضده كقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ الآيتين، قابل بين الإعطاء والبخل، والاتقاء والاستغناء، والتصديق والتكذيب، واليسرى والعسرى، ولما جعل التيسير في الأول مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضدادها.

### انواع المقابلة:

وقال بعضهم: المقابلة إمّا لواحد بواحد وذلك قليل جداً كقوله ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أو اثنين باثنين كقوله ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ وثلاثة بثلاثة كقوله ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ وأربعة بأربعة كقوله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ الآيتين.



أو خسة بخمسة كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾ الآيات، قابل بين ﴿بِعِوَضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا﴾ وبين ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وبين ﴿يُضِلُّ وَيَهْدِي﴾ وبين ﴿يَنْقُضُونَ﴾ و﴿مِثَاقَهُ﴾، وبين ﴿يَقْطَعُونَ﴾ و﴿أَنْ يُوصَلَ﴾.

أو ستة بستة كقوله ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ الآية، ثم قال ﴿قُلْ أُوذِينَكُمُ﴾ الآية، قابل الجنات والأنهار والخلد والأزواج والتطهير والرضوان بإزاء النساء والبنين، والذهب والفضة والخليل المسومة والأنعام والحراث.

وقسم آخر المقابلة إلى ثلاثة أنواع: نظيري، ونقيضي، وخلافي. مثال الأول مقابلة السنّة بالنوم في الآية الأولى، فإنها جميعاً من باب الرقاد المقابل باليقظة في آية وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود - وهذا مثال الثاني فإنها نقيضان، ومثال الثالث: مقابلة الشرّ بالرشد في قوله ﴿إِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فإنها خلافان لا نقيضان، فإن نقيض الشرّ الخير والرشد الغي.

### المواربة:

المواربة براء مهملة وباء موحدة: أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما ينكر عليه، فإذا حصل الإنكار واستحضر بحذقه وجهاً من الوجوه يتخلص به إما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص. قال ابن أبي الأصعب: ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ فإنه قرىء إن ابنك سرق ولم يسرق، فأتى بالكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها.

### المراجعة:

المراجعة: قال ابن أبي الأصعب: هي أن يحكى المتكلم مراجعة في القول جرت

بينه وبين محاور له بأوجز عبارة وأعدل سبك وأعذب ألفاظ ، ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ جمعت هذه القطعة وهي بعض آية ثلاث مراجعات فيها معاني الكلام من الخير والاستخبار والأمر والنهي والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم .

قلت : أحسن من هذا أن يقال : جمعت الخبر والطلب والإثبات والنفي والتأكيد والحذف والبشارة والندارة والوعد والوعيد .

### النزاهة:

النزاهة : هي خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش حتى يكون كما قال أبو عمرو ابن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء : هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ثم قال ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ الظَّالِمُونَ ﴾ فإن ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزّهة عما يقبح في الهجاء من الفحش وسائر هجاء القرآن كذلك .

### الابداع:

الإبداع : بالباء الموحدة : أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع . قال ابن أبي الأصعب : ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى ﴿ يَا أَرْضِ ابْلَعِي مَاءَكَ ﴾ فإن فيها عشرين ضرباً من البديع وهي سبع عشرة لفظة ، وذلك المناسبة التامة في ابلي وأقلي والاستعارة فيها ؛ والطباق بين الأرض والسماء . والمجاز في قوله يا سماء فإن الحقيقة يا مطر السماء ؛ والإشارة في وغيض الماء فإنه عبر به عن معان كثيرة ، لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء .

والإرداف في واستوت. والتمثيل في وقضي الأمر. والتعليل فإن غيظ  
الماء علة الاستواء.

وصحة التقسيم فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه، إذ ليس إلا  
احتباس ماء السماء والماء النابع من الأرض وغيض الماء الذي على ظهرها.

والاحتباس في الدعاء لثلاثتهم أن الغرق لعمومه يشمل من لا يستحق  
الملاك، فإن عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق. وحسن النسق  
واتئلاف اللفظ مع المعنى والإيجاز، فإنه تعالى قصّ القصة مستوعبة بأخصر  
عبارة.

والتسهيّم فإن أول الآية يدل على آخرها. والتهديب لأن مفرداتها موصوفة  
بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو  
من البشاعة وعقادة التركيب.

وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل  
عليه شيء منه. والتمكين لأن الفاصلة مستقرّة في محلها مطمئنة في مكانها غير  
قلقة ولا مستدعاة. والانسجام هذا ما ذكره ابن أبي الأصعب. قلت: وفيها أيضاً  
الاعتراض.

## النوع التاسع والخمسون: في فواصل الآي

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع . وقال الداني : كلمة آخر الجملة . قال الجعبري وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيبويه بيوم يأتي وما كنا نبغي وليس رأس آية ، لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية .

### تعريف الفواصل :

وقال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني .

وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال : الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية . قال : ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي : يوم يأت ، وما كنا نبغ ، وليس رأس آية بإجماع مع : إذا يسر ، وهو رأس آية باتفاق .

### كيف تعرف الفواصل :

وقال الجعبري : لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي ، وقياسي . أما التوقيفي فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة .

وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمال الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة.

والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل.

### الوقف:

والوقف على كل كلمة جائز.

ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه.

فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه فليس يعيب في الفاصلة.

وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة. ومن ثم ترى ترجعون مع علم، والميعاد مع الثواب، والطارق مع الثاقب.

### الأصل في الفاصلة:

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة، ومن ثم أجمع العادون على ترك عدّة آيات بآخرين ﴿ولا الملائكة المقرَّبون﴾ في النساء، ﴿وكذَّبَ بها الأولون﴾ بسبحان، ﴿ولتبشِّرَ بهِ المتقين﴾ بمريم، ﴿ولعلمهم يتَّقون﴾ بطه، ﴿ومن الظلمات إلى النورِ وإن الله على كل شيء قدير﴾

بالطلاق، حيث لم يشاكل طرفيه، وعلى ترك عدّة ﴿أفغيرَ دينَ الله يَبْعُونَ﴾  
﴿أفحكم الجاهلية يَبْعُونَ﴾.

وعدّوا نظائرها للمناسبة نحو: ﴿يا أولي الألباب﴾ بآل عمران، ﴿وعلى الله  
كذباً﴾ بالكهف، ﴿والسلوى﴾ بطه.

### اين تقع الفاصلة:

وقال غيره: تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي  
الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام.

وتسمى فواصل لأنه ينفصل عنده الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها  
وبين ما بعدها، وأخذ من قوله تعالى ﴿كتابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾.

ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب  
سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال  
القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا  
تتعداه.

### لا سجع في القرآن:

وهل يجوز استعمال السجع في القرآن؟ خلاف الجمهور على المنع، لأن أصله  
من السجع الطير فشرّف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل، ولأجل  
تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن من  
صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها.

قال الرماني في إعجاز القرآن: ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال في القرآن  
سجع، وفرّقوا بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه.

والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها .

قال : ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً . وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني ونقله عن نص أبي الحسن الأشعري وأصحابنا كلهم .

### زعموا أن في القرآن سجعا :

قال : وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فصل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما .

قال : وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون لمكان السجع ، قيل في موضع هارون وموسى ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهارون .

قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه شعراً ، وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر . وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه ، وبنوا الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع .

فقال أهل اللغة : هو موالاته الكلام على حدّ واحد . وقال ابن دريد : سجعت الحماسة معناه : رددت صوتها .

### الدليل على نفى السجع :

قال القاضي : وهذا غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز . ولو جاز أن يقال

هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز، وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر. وقد قال ﷺ: «أسجع كسجع الكهان؟» فجعله مذموماً.

وقال: وما توهموا أنه سجع باطل لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو، لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع من القرآن، لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى.

وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى انتظم في المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى.

قال: وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط، من أخلّ به وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متداني المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة في ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود.

قال: وأما ما ذكر من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام فليس بصحيح، بل القاعدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، وذلك الأمر الصعب تظهر فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة، ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيهاً بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكرر ولو أمكنهم المعارضة لقصدها تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لم تؤدّ إلى تلك المعاني



ونحوها، فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز دون السجع، إلى أن قال: فبان بذلك أن الحروف الواقعة في الفواصل متناسبة مع النظائر التي تقع في الأسجاع لا تخرجها عن حدّها ولا تدخلها في باب السجع.

وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء، فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها أربع كلمات، ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزاً، فلو فهموا اشتغال القرآن على السجع لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد في الفصاحة على طريقة القرآن اهـ كلام القاضي في كتاب الإعجاز.

ونقل صاحب عروس الأفراح عنه أنه ذهب في الانتصار إلى جواز تسمية الفواصل سجعاً. وقال الخفاجي في سرّ الفصاحة: قول الرمازي إن السجع عيب والفواصل غلط، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود بتكلف فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود بتكلف فذلك عيب والفواصل مثله.

### السبب في عدولهم عن تسمية الفواصل سجعاً:

وأظن الذي دعاهم إلى تسمية جل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة غيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب، والحقيقة ما قلناه. قال: والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل.

قال: فإن قيل: إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعاً؟ وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع؟

قلنا: إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم، وكان الفصيح منهم

لا يكون كلامه كله مسجوعاً لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لا سيما مع طول الكلام، فلم يرد كله مسجوعاً جرياً منه على عرفهم في اللطافة الغالبة أو الطبقة العالية من كلامهم، ولم يخل من السجع لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة.

### دفاع عن السجع:

وقال ابن النفيس: يكفي في حسن السجع ورود القرآن به، قال: ولا يقدر في ذلك خلوه في بعض الآيات، لأن الحسن قد يقتضى المقام الانتقال إلى أحسن منه.

وقال حازم: من الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلف إلا ما يقع إمام به في النادر من الكلام، ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قالب التقفية وتحليتها بمناسبة المقاطع أكيد جداً. ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام فقد يدعو إلى التكلف فرأى أن لا يستعمل في جملة الكلام وأن لا يخلو الكلام منه جملة وأنه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفواً بلا تكلف.

قال: وكيف يعاب السجع على الإطلاق، وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم، وإنما لم يجيء على أسلوب واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما في الطبع من الملل، ولأن الافتتان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثلة.

## مراعاة المناسبة في أواخر الآيات:

(فصل) ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي، كتاباً سماه [إحكام الرأي في أحكام الآي] قال فيه اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول. قال: وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً: أحدها: تقديم المعمول إما على العامل نحو ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ قيل ومنه ﴿وإياك نستعين﴾ أو على معمول آخر أصله التقديم نحو ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ إذا أعربنا الكبرى مفعول نرى، أو على الفاعل نحو ﴿لقد جاء آل فرعون النذر﴾ ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو ﴿ولم يكن له كفواً أحداً﴾.

الثاني: تقديم ما هو متأخر في الزمان نحو ﴿فَلله الآخرة والأولى﴾ ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى كقوله ﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾.

الثالث: تقديم الفاضل على الأفضل نحو ﴿برب هارون وموسى﴾ وتقدم ما فيه.

الرابع: تقديم الضمير على ما يفسره نحو ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾.

الخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو ﴿ونُخْرِجْ له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾.

السادس: حذف ياء المنقوص المعرف نحو ﴿الكبير المتعال﴾ ﴿يوم التناد﴾.

السابع: حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو ﴿والليل إذا يسر﴾.

الثامن: حذف ياء الإضافة نحو ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ ﴿فكيف كان

عقاب﴾.

التاسع: زيادة حرف المد نحو: ﴿الظنونَا﴾ ﴿والرسولَا﴾ ، ﴿والسبيلَا﴾  
ومنه إبقاؤه مع الجازم نحو ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ ﴿سَنَقْرُكَ فلا  
قَنَسَى﴾ على القول بأنه نهي .

العاشر: صرف ما لا ينصرف نحو ﴿قواريرا قواريرا﴾ .

الحادي عشر: إيثار تذكير اسم الجنس كقوله ﴿أعجازُ نخلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ .

الثاني عشر: إيثار تأنيثه نحو ﴿أعجازُ نخلٍ خَاوية﴾ ونظير هذين قوله في  
القمر ﴿وكل صغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطِرٍ﴾ وفي الكهف ﴿لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً  
إلا أَحْصَاهَا﴾ .

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرىء بهما في السبع  
في غير ذلك كقوله تعالى ﴿فأولئك تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ولم يجيء رَشَدًا في السبع ،  
وكذا ﴿وهيء لنا من أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ لأن الفواصل في السورتين بحركة الوسط  
وقد جاء في ﴿وإن يَرَوْا سبيلَ الرُّشْدِ﴾ وهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة  
التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم ، ونظير ذلك قراءة ﴿تَبَّتْ يدا أبي لُهبٍ﴾ بفتح  
الهاء وسكونها ، ولم يقرأ ﴿سيصلى ناراً ذات لُهبٍ﴾ إلا بالفتح لمراعاة الفاصلة .

الرابع عشر: إيراد الجملة التي رَدَّ بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في  
الاسمية والفعلية كقوله تعالى ﴿ومن الناس من يقولُ آمنا باللهِ وبالْيَوْمِ الآخِرِ  
وما هُم بمؤْمِنينَ﴾ ولم يطابق بين قولهم آمنا وبين ما رَدَّ به فيقول ولم يؤمنوا أو  
وما آمنوا لذلك .

الخامس عشر: إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو ﴿وليعلمَنَّ  
اللهُ الذين صدَّقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبينَ﴾ ولم يقل كذبوا .

السادس عشر: إيراد أحد جزءي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها

من الجملة الأخرى نحو ﴿أولئك الذين صدّقوا وأولئك هم المتقون﴾ .

السابع عشر: إيثار أغرب اللفظين نحو ﴿قسمة ضيزى﴾ ولم يقل جائرة ﴿لينبذن في الحطمة﴾ ولم يقل جهنم أو النار . وقال في المدثر ﴿سأصليه سقر﴾ وفي سأل ﴿إنها لظى﴾ وفي القارعة ﴿فأمه هاوية﴾ لمراعاة فواصل كل سورة .

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو ﴿وليدكر أولو الأبواب﴾ وفي سورة طه ﴿إن في ذلك لآيات لأولى النهى﴾ .

التاسع عشر: حذف المفعول نحو ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل نحو ﴿يعلم السرّ وأخفى﴾ ﴿خير وأبقى﴾ .

العشرون: الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ .

الحادي والعشرون: الاستغناء به عن الجمع نحو ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ ولم يقل أئمة كما قال ﴿وجعلناهم أئمة يهدون﴾ ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ أي أنهار .

الثاني والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو ﴿ولن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال الفراء: أراد جنة كقوله ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ فشئ لأجل الفاصلة . قال: والقوافي تحتل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام، ونظير ذلك قول الفراء أيضاً في قوله تعالى ﴿إذ أنبعث أشقائها﴾ فإنها رجلان: قدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة .

وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال: إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة ها السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف، فإما أن يكون الله وعد بجنتين

فنجعلها جنة واحد لأجل رؤوس الآي معاذ الله، وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال ﴿ذواتا أفنان﴾ ثم قال فيهما: وأما ابن الصائغ فإنه نقل عن الفراء أنه أراد جنات، فأطلق الاثنين على الجمع لأجل الفاصلة، ثم قال - وهذا غير بعيد - قال: وإنما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ، وهذا هو الثالث والعشرون.

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الإفراد نحو ﴿لا يبيع فيه ولا خلال﴾ أي ولا خلة كما في الآية الأخرى، وجمع مراعاة للفاصلة. الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ ﴿كلّ في فلك يسبحون﴾.

السادس والعشرون: إمالة ما لا يمال كآي طه والنجم. السابع والعشرون: الإتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك في نحو هو القادر وعالم الغيب، ومنه ﴿وما كان ربك نسياً﴾. الثامن والعشرون: إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أوثر على عجيب لذلك.

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى﴾.

الثلاثون: إيقاع الظاهر موقع الضمير نحو ﴿والذين يُمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة﴾ ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ وكذا آية الكهف.

الحادي والثلاثون: وقوع مفعول موقع فاعل كقوله ﴿حجاباً مستوراً﴾ ﴿كان وعدّه مأتياً﴾ أي ساتراً وآتياً.

الثاني والثلاثون: وقوع فاعل موقع مفعول نحو ﴿عيشة راضية﴾ ﴿ماء دافق﴾.

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة نحو ﴿أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾ إن أعرب أحوى صفة المرعى أي حالاً.

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره نحو ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ والأصل إليها.

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف الأبلغ عن الأبلغ، ومنه ﴿الرحمن الرحيم﴾ ﴿رؤوف رحيم﴾ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابه المفعول نحو ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزى﴾.

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت نحو ﴿ماله﴾ ﴿سلطانيه﴾ ﴿ماهيه﴾. الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات نحو ﴿ثم لا تجد لك به علينا تبيعا﴾ فإن الأحسن الفصل بينها، لأن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا.

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال نحو ﴿فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ والأصل قتلتم.

الأربعون: تغيير بنية الكلمة نحو ﴿طور سينين﴾ والأصل سينا. [تنبيه] قال ابن الصائغ: لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه.

### الفواصل أربعة أنواع:

(فصل) قال ابن أبي الأصعب: لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء:

التمكين، والتصدير، والتوشيح، والإيغال.

### أولاً التمكين:

فالتمكين ويسمى ائتلاف القافية: أن يمهّد الناثر للقريئة أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القافية أو القريئة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في مواضعها غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لا اختل المعنى واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه.

ومن أمثلة ذلك ﴿يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك﴾ الآية، فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب، لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال.

وقوله ﴿أو لم يهد لهم كمّ أهلكتنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآياتٍ أفلا يسمعون﴾ ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء﴾ إلى قوله ﴿أفلا تبصرون﴾ فأتى في الآية الأولى بيهد لهم وختمها بيسمعون، لأن الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون. وفي الثانية يروا وختمها ببصرون، لأنها مرئية.

وقوله ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبير يناسب ما يدركه.

وقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين﴾ إلى قوله ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فإن في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها، وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها قبل أن يسمع آخرها، فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال «أملى علي رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين﴾ إلى قوله ﴿خلقاً آخر﴾ قال معاذ بن جبل ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فضحك رسول الله ﷺ، فقال له معاذ: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت.»

وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه.

[تنبهات-الأول] قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها كأوائل النحل، فإنه تعالى بدأ بذكر الأفلاك فقال ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ



بالحق ﴿ ثم ذكر خلق الإنسان من نطفة ثم خلق الأنعام ثم عجائب النبات فقال ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تسيّمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿ فجعل مقطع هذه الآية التفكر، فإنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار .

ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر وكان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال كان مجال التفكير والنظر والتأمل باقياً، فأجاب تعالى عنه من وجهين .

أحدهما: أن تغيرات العالم السفلي مربوطة بأحوال حركات الأفلاك، فتلك الحركات كيف حصلت، فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل، وإن كان من الخالق الحكيم فذاك إقرار بوجود الإله تعالى، وهذا هو المراد بقوله ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴿ فجعل مقطع هذه الآية العقل، وكأنه قيل إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطل، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدتها غير متحرك وهو الإله القادر المختار .

والثاني: أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة، ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار، وهذا هو المراد من قوله ﴿ وما ذراً لكم في الأرضٍ مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآيةً لقومٍ يذكرون ﴿ كأنه قيل اذكر ما ترسخ في عقلك أن الواجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره، فإذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار، فلهذا جعل مقطع الآية التذكر .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾ الآيات، فإن الأولى ختمت بقوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ والثانية بقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ والثالثة بقوله ﴿لعلكم تتقون﴾ لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى، لأن الإشراف بالله لعدم استكمال العقل الدالّ على توحيده وعظمته، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانها إلى الولد بكل طريق، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل، وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل فحسن بعد ذلك يعقلون. وأما الثانية فتعلقها بالحقوق المالية والقولية، فإن من علم أن له أيتاماً يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يجب أن يعامل به أيتامه، ومن يَكِلُّ أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يجب أن يكون فيه خيانة ولا يحسن، وكذا من وعد لو وعد لم يجب أن يخلف، ومن أحبّ ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله، فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله، فلذلك ناسب الختم بقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ وأما الثالثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤدّ إلى غضبه وإلى عقابه، فحسن ﴿لعلكم تتقون﴾ أي عقاب الله بسببه.

ومن ذلك قوله في الأنعام أيضاً ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ الآيات، فإنه ختم الأولى بقوله ﴿لقوم يعلمون﴾ والثانية بقوله ﴿لقوم يفقهون﴾ والثالثة بقوله ﴿لقوم يؤمنون﴾ وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختصّ بالعلماء بذلك فناسب ختمه بـيعلمون، وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت، والنظر في ذلك والفكر فيه أدقّ فناسب ختمه بـيفقهون، لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة. ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والشمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تذكرون﴾ حيث ختم الأولى بتؤمنون والثانية بتذكرون. ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد، فقول من قال شعر كفر وعناد محض فناسب ختمه بقوله ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فيحتاج إلى تذكّر وتدبر لأن كلاً منها نثر فليست مخالفته له في وضوحها لكل أحد كمخالفته الشعر، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة فحسن ختمه بقوله ﴿قليلاً ما تذكرون﴾.

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة كقوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ثم قال في سورة النحل ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن المنير: كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً وكونك كفاراً: يعني لعدم وفائك بشكرها، ولي عند إعطائها وصفان، وهما أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أجازي جفاك إلا بالوفاء.

وقال غيره: إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم لأنه في سورة إبراهيم في مساق وصف الإنسان، وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات ألوهيته.

ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ وفي فصلت ختم بقوله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ فَنَاسِبَ الْخِتَامِ بِفَاصِلَةِ الْبَعْثِ ، لِأَنَّ قَبْلَهُ وَصَفَهُمْ بِإِنْكَارِهِ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَالْخِتَامُ بِمَا فِيهَا مَنَاسِبٌ أَنَّهُ لَا يُضَيِّعُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُزِيدُ عَلَى مَنِ عَمَلٍ شَيْئًا .

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ثُمَّ أَعَادَهَا وَخَتَمَ بِقَوْلِهِ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ وَنَكَتَهُ ذَلِكَ أَنَّ الْأُولَى نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَهُمَ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِ ، وَالثَّانِيَةُ نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ وَلَا كِتَابَ لَهُمْ وَضَلَالَهُمْ أَشَدَّ .

وَنظِيرُهُ قَوْلُهُ فِي الْمَائِدَةِ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ثُمَّ أَعَادَهَا فَقَالَ ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وَنَكَتَهُ أَنَّ الْأُولَى نَزَلَتْ فِي أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالثَّانِيَةُ فِي الْيَهُودِ ، وَالثَّلَاثَةُ فِي النَّصَارَى . وَقِيلَ لِأُولَى فِيمَنْ جَحَدَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَالثَّانِيَةُ فِيمَنْ خَالَفَ مَعَ عِلْمِهِ وَلَمْ يَنْكُرْهُ ، وَالثَّلَاثَةُ فِيمَنْ خَالَفَهُ جَاهِلًا ، وَقِيلَ الْكَافِرُ وَالظَّالِمُ وَالْفَاسِقُ كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْكُفْرُ ، عَبَّرَ عَنْهُ بِالْفَافِظِ مُخْتَلِفَةً لِزِيَادَةِ الْفَائِدَةِ وَاجْتِنَابِ صَوْرَةِ التَّكْرَارِ .

وَعَكْسَ هَذَا اتَّفَاقَ الْفَاصِلَتَيْنِ وَالْمُحَدِّثِ عَنْهُ مُخْتَلِفَ كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ النُّورِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ اسْتَأْذَنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

[ التَّنْبِيْهُ الثَّانِي ] مِنْ مَشْكَلَاتِ الْفَوَاصِلِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فَإِنَّ قَوْلَهُ ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

يقتضي أن تكون الفاصلة الغفور الرحيم، وكذا نقلت عن مصحف أبيّ وبها قرأ ابن شنبوذ، وذكر في حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرده عليه حكمه، فهو العزيز: أي الغالب، والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله، وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك، فكان في الوصف بالحكيم احتراص حسن: أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته.

ونظير ذلك قوله في سورة التوبة ﴿أولئك سيرحهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ وفي سورة الممتحنة ﴿واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾ وفي غافر ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾ إلى قوله ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ وفي النور ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ ﴿وإن الله تواب حكيم﴾ فإن بادىء الرأي يقتضى تواب رحيم، لأن الرحمة مناسبة للتوبة: لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة.

ومن خفي ذلك أيضاً قوله في سورة البقرة ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ وفي آل عمران ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾ فإن المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة وفي آية آل عمران الختم بالعلم. والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالماً بما فعله كلياً وجزئياً مجملًا ومفصلاً، يناسب ختمها بصفة العلم، وآية آل عمران لما كانت في سياق الوعيد على موالاته الكفار

وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ناسب ختمها بصفة القدرة.

ومن ذلك قوله ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾ فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر في بادئ الرأي، وذكر في حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ختم به مراعاة للمقدر في الآية وهو العصيان كما جاء في الحديث «لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً ولرصّ رصاً» وقيل التقدير حليماً عن تفريط المسبحين غفوراً لذنوبهم، وقيل حليماً عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهالمهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه.

[التنبيه الثالث] في الفواصل ما لا نظير له في القرآن كقوله عقب الأمر الغضّ في سورة النور ﴿إن الله خير بما يصنعون﴾ وقوله عقب الأمر بالدعاء والاستجابة ﴿لعلهم يرشدون﴾ وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان: أي لعلهم يرشدون إلى معرفتها.

### ثانياً التصدير:

وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وتسمى أيضاً ردة العجز على الصدر.

وقال ابن المعتز: هو ثلاثة أقسام. الأول توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة في الصدر نحو ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾.

والثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو ﴿وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ ﴿قال إني لعملك من القالين﴾.

الثالث: أن يوافق بعض كلماته نحو ﴿ولقد استهزىء برُّسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلاً﴾ ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً﴾ إلى قوله ﴿وقد خاب من افتري﴾ ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفَّاراً﴾.

### ثالثاً التوشيح:

وأما التوشيح فهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية، والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالة معنوية وذاك لفظية كقوله تعالى ﴿إن الله اصطفى آدم﴾ الآية، فإن اصطفى لا يدل على أن الفاصلة العالمين باللفظ، لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى. ولكن بالمعنى لأنه يعلم أن من لوازم اصطفى شيء أن يكون مختاراً على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون.

وكقوله ﴿وآية لهم الليلُ نسلخ﴾ الآية. قال ابن أبي الأصبع: فإن من كان حافظاً لهذه السورة متفطناً إلى أن مقاطع آيها النون المردفة وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة مظلومون، لأن من أسلخ النهار عن ليلة أظلم: أي دخل في الظلمة ولذلك سمي توشيحاً، لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشاح اللذين تحوط عليهما الوشاح.

### رابعاً الإيغال:

وأما الإيغال فتقدم في نوع الإطناب.

## الفواصل كما قسمها البديعيون:

(فصل) قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام: **مطرف**، ومتوازي، ومرصع، ومتوازن، ومماثل.

**فالمطرف:** أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع نحو ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾.

**والمتوازي:** أن يتفقا وزناً وتقفية ولم يكن ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية في الوزن والتقفية نحو ﴿فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة﴾.

**والمتوازن:** أن يتفقا في الوزن دون التقفية نحو ﴿ونمارق مصفوفة وزراي مبثوثة﴾.

**والمرصع:** أن يتفقا وزناً وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية كذلك نحو ﴿إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾ ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾.

**والمماثل:** أن يتساويا في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية، فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي نحو ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم﴾ فالكتاب والصراط يتوازنان. وكذا المستبين والمستقيم واختلفا في الحرف الأخير.

## نوعان بديعيان في الفواصل:

(فصل) بقي نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل. **أحدهما: التشريع**، وسماه ابن أبي الأصعب: التوأم، وأصله أن يبني الشاعر بيته على وزن من أوزان العروض، فإذا أسقط منها جزءاً أو جزءين صار الباقي بيتاً من وزن آخر. ثم زعم



قوم اختصاصه به .

وقال آخرون: بل يكون في النثر بأن يكون مبنياً على سجعتين لو اقتصر على الأولى منها كان الكلام تاماً مفيداً، وإن ألحقت به السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ. قال ابن أبي الأصبع: وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن، فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون ﴿فَبَأْيِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لكان تاماً مفيداً وقد كمل بالثانية فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ.

قلت: التمثيل غير مطابق، والأولى أن يمثل بالآيات التي في إثباتها ما يصح أن يكون فاصلة كقوله ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير﴾ ﴿وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ وأشباه ذلك.

**الثاني: الاستلزام،** ويسمى لزوم ما لا يلزم، وهو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل الروي بشرط عدم الكلفة.

مثال التزام حرف ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر﴾ التزم الهاء قبل الراء، ومثله ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ الآيات، التزم فيها الراء قبل الكاف ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس﴾ التزم فيها النون المشددة قبل السين ﴿والليل وما وسق والقمر إذا اتسق﴾.

ومثال التزام حرفين ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ ﴿بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق﴾.

ومثال التزام ثلاثة أحرف ﴿تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ ﴿وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾.

## أحسن السجع وما يقابله من فواصل القرآن:

[ تنبيهات . الأول ] قال أهل البديع : أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه نحو ﴿ في سدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ وظلٍ ممدودٍ ﴾ ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو ﴿ والنجم إذا هوى ما ضلَّ صاحبكم وما غوى ﴾ أو الثالثة نحو ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ﴾ الآية .

وقال ابن الأثير : الأحسن في الثانية المساواة ، وإلا فأطول قليلاً . وفي الثالثة أن تكون أطول . وقال الخفاجي : لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى .

[ الثاني ] قالوا أحسن السجع ما كان قصيراً لدلالته على قوة المنشئ ، وأقله كلمتان نحو ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ﴿ قم فأنذر ﴾ الآيات ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ الآيات ﴿ والذاريات ذرواً ﴾ الآيات ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ الآيات . والطويل ما زاد عن العشر كغالب الآيات وما بينها متوسط كآيات سورة القمر .

[ الثالث ] قال الزمخشري في كشافه القديم : لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتأمة ، فأما أن يهمل المعاني ويهتم بتحسين الألفاظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة ، وبنى ذلك أن التقديم في ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص .

[ الرابع ] مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله ﴿ إنا خلقناهم من طينٍ لازبٍ ﴾ مع قوله ﴿ عذابٌ واصبٌ ﴾ ﴿ وشهابٌ ناقبٌ ﴾ وقوله ﴿ بماءٍ منهمرٍ ﴾ مع قوله ﴿ قد قدر ﴾ و ﴿ سحر ﴾ و ﴿ مستمر ﴾ وقوله ﴿ وما لهم من دونه من والٍ ﴾ مع قوله ﴿ وينشئ السحاب الثقال ﴾ .

[الخامس] كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك كما قال سيبويه أنهم إذا ترغموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترغموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع.

[السادس] حروف الفواصل إما متماثلة وإما متقاربة. فالأولى: مثل ﴿والطورِ وكتابٍ مسطورٍ في رقٍ منشورٍ والبيتِ المعمورِ﴾.

والثاني: مثل ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ ﴿ق والقرآن المجيد بل عَجِبُوا أن جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون هذا شيءٌ عَجِيبٌ﴾.

قال الإمام فخر الدين وغيره: وفواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين، بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة. قال: وبهذا يترجح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسمة، وجعل صراط الذين إلى آخرها آية، فإن من جعل آخر الآية السادسة أنعمت عليهم مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة، لا بالمماثلة ولا بالمقاربة، ورعاية التشابه في الفواصل لازمة.

[السابع] كثر في الفواصل التضمين والإيطاء لأنها ليسا بعيين في النثر وإن كانا معيين في النظم، فالتضمين أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها كقوله تعالى ﴿وإنكم لتمرّون عليهم مُصْبِحِينَ وبالليل﴾ والإيطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الإسراء ﴿هل كنتُ إلا بشراً رسولاً﴾ وختم بذلك الآيتين بعدها.

## النوع الستون: في فواتح السور

أفردتها بالتأليف ابن أبي الأصعب في كتاب سماه [ الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ] وأنا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره: اعلم أن الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها.

الأول: **الثناء عليه تعالى**، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه من صفات النقص. فالأول: التحميد في خمس سور، وتبارك في سورتين.

والثاني: **التسبيح في سبع سور**. قال الكرماني في متشابه القرآن: التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل لأنه الأصل، ثم بالماضي في الحديد والحشر لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة في جميع جهاتها.

الثاني: **حروف التهجي** في تسع وعشرين سورة، وقد مضى الكلام عليها مستوعباً في نوع المتشابه، ويأتي الإلمام بمناسباتها في نوع المناسبات.

الثالث: **النداء في عشر سور**: خمس ببدء الرسول ﷺ: الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر، وخمس ببدء الأمة: النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة.

الرابع: **الجملة الخبرية نحو**: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ ﴿براءة من الله﴾ ﴿أتى أمر الله﴾ ﴿اقترِبَ للناسِ حسابُهُمْ﴾ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ﴿سورة أنزلناها﴾ ﴿تنزيلُ الكتاب﴾ ﴿الذين كفروا﴾ ﴿إنا فتحنا﴾ ﴿اقتربت

الساعة ﴿ الرحمن ﴾ ﴿ قد سمع الله ﴾ ﴿ الحاقة ﴾ ﴿ سأل سائل ﴾ ﴿ إنا أرسلنا نوحاً ﴾ ﴿ أقسم ﴾ في موضعين ﴿ عبس ﴾ ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ﴿ لم يكن ﴾ ﴿ القارعة ﴾ ﴿ ألهام ﴾ ﴿ إنا أعطيناك ﴾ فتلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسم في خمس عشرة سورة أقسم فيها بالملائكة وهي الصافات، وسورتان بالأفلاك البروج والطارق، وست سور بلوازمها: فالنجم قسم بالثريا، والفجر بمبدأ النهار، والشمس بآية النهار، والليل بشرط الزمان، والضحي بشرط النهار، والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان، وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر والذاريات والمرسلات وسورة بالتربة التي هي منها أيضاً وهي الطور، وسورة بالنبات وهي والتين، وسورة بالحيوان الناطق وهي والنازعات، وسورة بالبهيم وهي والعاديات.

السادس: الشرط في سبع سور: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنصر.

السابع: الأمر في ست سور: قل أوحى، اقرأ، قل يا أيها الكافرون، قل هو الله أحد، قل أعوذ، المعوذتين.

الثامن: الاستفهام في ست: هل أتى، عم يتساءلون، هل أتاك، ألم نشرح، ألم تر، أرأيت.

التاسع: الدعاء في ثلاث: ويل للمطففين، ويل لكل همزة، تبت.

العاشر: التعليل في لثيلاف قريش. هكذا جمع أبو شامة قال: وما ذكرناه في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الشاء كله خبر إلا سبح فإنه يدخل في قسم الأمر، وسبحان يحتمل الأمر والخبر، ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بشو ت الحمد والسلب لما استفتح السورا

والأمر والشرط والتعليل والقسم الد عا حروف التهجي استفهم الخبرا

### حسن الابتداء:

وقال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً وأصحه معنى وأوضحه وأحلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك.

### براعة الاستهلال:

ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله، والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصده، كما قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو القاسم بن حبيب، أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ، أنبأنا الحسين بن الفضل، حدثنا عفان ابن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

## الفاحة فيها براعة استهلال وعلوم القرآن:

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة: **علم الأصول** ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته، وإليه الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم. **ومعرفة النبوات**، وإليه الإشارة بالذين أنعمت عليهم. **ومعرفة المعاد**، وإليه الإشارة بمالك يوم الدين. **وعلم العبادات** وإليه الإشارة بياك نعبد. **وعلم السلوك** وهو حل النفس عن الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية، وإليه الإشارة بياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم. **وعلم القصص** وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فنه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

### ( اقرأ ) تشابه الفاتحة:

وكذلك أول سورة اقرأ فإنها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل، فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفيه الإشارة إلى علم الأحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ولهذا قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.

## النوع الحادي والستون: في خواتم السور

هي أيضاً مثل الفوائح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيدان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ والمراد المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كل إنعام، لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة لأنها مستتعبة لجميع النعم. ثم وصفهم بقوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده.

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

وكالوصايا التي ختمت بها سورة آل عمران: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾ الآية.

والفرائض التي ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي، ولأنها آخر ما نزل من الأحكام.

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائة، وكالوعد والوعيد التي ختمت به الأنعام.



وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت بهم الأعراف.

وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختمت به الأنفال، وكوصف الرسول ومدحه والتهيل الذي ختمت به براءة.

وتسليته عليه الصلاة والسلام الذي ختمت به يونس، ومثلها خاتمة هود، ووصف القرآن ومدحه الذي ختمت به يوسف، والوعيد والرد على من كذب الرسول الذي به ختمت الرعد.

### أمثله على خواتم السور:

ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ الآية. ومثلها خاتمة الأحقاف وكذا خاتمة الحجر بقوله: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ وهو مفسر بالموت فإنها في غاية البراعة. وانظر إلى سور الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله: ﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وانظر إلى براءة آخر آية نزلت وهي قوله: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ وما فيها من الإشعار بالآخرة المستلزمة للوفاة.

وكذا آخر سورة نزلت وهي سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سأهم عن قوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقالوا: فتح المدائن والقصور. قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل ضرب لمحمد نعت له نفسه. وأخرج أيضاً عنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم فقال: ما

تقولون في قول الله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ فقال عمر: إني لا أعلم منها إلا ما تقول.

## النوع الثاني والستون: في مناسبة الآيات والسور

أول من اهتم بهذا العلم:

أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه [ البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن ] ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه [ نظم الدرر في تناسب الآي والسور ] وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته [ تناسق الدرر في تناسب السور ] .

وعلم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين فقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط. وقال ابن العربي في سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرّض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه. فلما لم نجد له حلة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

## المناسبة علم حسن لكن له شروط دقيقة،

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط بأوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يمان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض. وقال الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة.

## المناسبة علم جليل قل الاهتمام به:

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له اهـ.

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

## أنواع المناسبة والعلاقة:

(فصل) المناسبة في اللغة: المشاركة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعللة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

### الآيات نوعان ظاهرة الارتباط وغير ظاهرة:

فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما أن لا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به.

### الارتباط يكون بالعطف وغيره:

فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا.

فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينها جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ وقوله: ﴿ والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والاعروج، وشبه التضاد بين السماء والأرض.

ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة، وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً ليكون باعثاً على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي. وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك.

### الآيات المعطوفة بقرائن:

وإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط، وله أسباب. أحدها: **التنظير**، فإن إلحاق النظر بالنظر من شأن العقلاء كقوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ عقب قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فإنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون، والقصد أن كراحتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج، وقد تبين في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام، فكذا يكون فيما فعله في القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم.

**الثاني: المضادة** كقوله في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن وإن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين، فبينهما جامع وهمي ويسمى بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل ★ وبضدها تتبين الأشياء ★ فإن قيل: هذا جامع بعيد لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن لأنه مفتتح القول.

قيل لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلق على أي وجه كان، ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على

الإيمان، ولهذا لما فرغ من ذلك قال: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ فرجع إلى الأول.

الثالث: الاستطراد كقوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُؤاري سَوَاتِكُمْ وريشاً ولباسُ التقوى ذلكَ خَيْرٌ﴾ قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى.

وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى: ﴿لن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فإن أول الكلام ذكر للردّ على النصارى الزاعمين نبوة المسيح، ثم استطرده للردّ على العرب الزاعمين نبوة الملائكة.

### مما يشبه الاستطراد (حسن التخلص):

ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان حسن التخلص، وهو أن ينتقل بما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما.

وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم في قوله لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التكلف، وقال: إن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم، وليس كما قال: ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول.

وانظر إلى سورة الأعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى إلى أن قص حكاية السبعين رجلاً ودعائه لهم ولسائر أمته

بقوله: ﴿وَاَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وجوابه تعالى عنه، ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمنه بقوله: ﴿قَالَ عَدَايِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فسأكتبها للذين من صفاتهم كيت وكيت، وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله.

وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ الخ.

وفي سورة الكهف حكى قول ذي القرنين في السدّ بعد دكه الذي هو من أشرط الساعة ثم النفخ في الصور وذكر الحشر ووصف ما للكفار والمؤمنين.

### الفرق بين الاستطراد والتخلص:

وقال بعضهم: الفرق بين التخلص والاستطراد: أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت إليه، وفي الاستطراد تمرّ بذكر الأمر الذي استطرقت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده، وإنما عرض عروضاً.

### مثال على الاستطراد:

قليل وبهذا يظهر أن ما في سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف إلى قصة موسى بقوله: ﴿وَمَنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٍ﴾ الخ. وفي الشعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم.

### (الانتقال) يقرب من التخلص:

ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع مفصلاً بهذا كقوله في سورة ص بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ



لحسن مآب ﴿ فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها . ثم لما فرغ قال : هذا : ﴿ وإن للطاغين لشرّ مآب ﴾ فذكر النار وأهلها .

قال ابن الأثير : هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل ، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر .

### حسن الطلب يقرب من التخلص :

ويقرب منه أيضاً حسن المطلب . قال الزنجاني والطبي ، وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ قال الطبي : ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معاً قوله حكاية عن إبراهيم : ﴿ فإنه عدوّ لي إلا ربّ العالمين الذي خلّقني فهو يَهْدِين ﴾ إلى قوله : ﴿ ربّ هب لي حكماً وألحِقني بالصّالحين ﴾ .

### قاعدة في علم المناسبة :

[ قاعدة ] : قال بعض المتأخرين : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة انتهى .

## آيات أشكلت مناسبتها في سورة القيامة:

[ تنبيه ] من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ الآيات، فإن وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسر جداً. فإن السورة كلها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء، وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله ﴿ يُنبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ قال: يعرض عليه كتابه، فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفاً فأسرع في القراءة، فيقال له: لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا أن نجتمع عملك وأن نقرأ عليك، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت، ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته اهـ.

وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح أنها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه، وقد ذكر الأئمة لها مناسبات.

منها: أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حبّ العاجلة وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصدّ عن ذلك، فأمر بأن لا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه. ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال كلا، وهي كلمة ردع كأنه قال: بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقت من عجل تعجلون في كل شيء، ومن ثم تجبون لي العاجلة.

ومنها: أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث

يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً كما قال في الكهف ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ إلى أن قال ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ الآية، وقال في سبحان ﴿فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ إلى أن قال ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْآيَةَ. وَقَالَ فِي طه ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ إلى أن قال ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

ومنها: أن أول السورة لما نزل إلى ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ صادف أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته فنزل ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٌ﴾ ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدء به.

قال الفخر الرازي: ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلاً مسألة فتشاغل الطالب بشيء عرض له، فقال له: ألق إليّ بالك وتفهم ما أقول، ثم كمل المسألة، فمن لا يعرف السبب يقول: ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة، بخلاف من عرف ذلك.

ومنها: أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى، كأنه قيل هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال.

### آيات أخرى أشكلت مناسبتها:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ الآية، فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟ وأجيب بأنه من باب الاستطراد لما

ذكر أنها مواقيت للحج، وكان هذا من أفعالهم في الحج كما ثبت في سبب نزولها ذكر معه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال، كما سئل عن ماء البحر فقال « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ الآية، فقد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾ الآية: وقال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره: سمعت أبا الحسن الدهان يقول: وجه اتصاله هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق: أي فلا يجرمكم ذلك، واستقبلوه فإن لله المشرق والمغرب .

### مناسبة فواتح السور وخواتمها:

(فصل) من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها، وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته [مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع] وانظر الى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً للمُجْرِمِينَ ﴾ وخروجه من وطنه، وختمت بأمر النبي ﷺ بأن لا يكون ظهيراً للكافرين، وتسليته عن إخراجهم من مكة ووعدته بالعود إليها لقوله في أول السورة ﴿ إنا رادّوهُ ﴾ .

قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة قد أفلح المؤمنون، وأورد في خاتمها أنه لا يفلح الكافرون، فستان ما بين الفاتحة والخاتمة .

وذكر الكرمانى في العجائب مثله وقال: في سورة ص بدأها بالذكر وختمها به في قوله ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ .

وفي سورة ن بدأها بقوله: ﴿ ما أنتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ وختمها بقوله ﴿ إنه لمجنون ﴾ .

## مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها :

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً كما في ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ ﴿لَثِيْلَافٍ قُرَيْشٍ﴾ فقد قال الأخفش: اتصالحا بها من باب ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.

وقال الكواشي في تفسير المائدة: لما ختم سورة النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وقال غيره: إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿كَمَا فَعَلْ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به. وكافتتاح سورة البقرة بقوله ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فإنه إشارة إلى الصراط في قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذي سألت الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة.

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها، لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة. فذكر فيها في مقابلة البخل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي الخير الكثير، وفي

مقابلة ترك الصلاة (فصل) أي دم عليها، وفي مقابلة الرياء ﴿لربك﴾ أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وانحر﴾ وأراد به التصدق بلحم الأضاحي.

### أسباب ترتيب السور:

وقال بعضهم: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي سادر عن حكيم. أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم.

الثاني: الموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.

الثالث: للتوازن في اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص.

الرابع: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح.

### المناسبة بين الفاتحة والبقرة:

قال بعض الأئمة: وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية.

### المناسبة بين البقرة وآل عمران:

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها. فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى وأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه. وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها.

والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى

في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب. ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه والأنبياء، فخطب به جميع الناس. والسور المدنية فيها خطاب من أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخطبوا بيا أهل الكتاب ﴿يا بني إسرائيل﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.

### سورة النساء:

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان: مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله ﴿اتقوا ربكم﴾ الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴿ثم قال﴾ ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والموارث المتعلقة بالأرحام، فإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منها رجالاً كثيراً ونساء في غاية الكثرة.

### سورة المائدة:

وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهد الرسل، وما أخذ على الأمة وبها تم الدين فهي سورة التكميل، لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبه المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص شريعة محمد ﷺ كالوضوء والتميم والحكم بالقرآن على كل ذي دين، ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أن من ارتدّ عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملاً، ولهذا أورد أنها آخر ما نزل فيها من إشارات الختم والتام.

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب . وقال أبو جعفر بن الزبير : حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بها الكناية في قوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ الإشارة إلى قوله اقرأ قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جداً .

### افتتاح السور بالحروف المقطعة وحكمة ذلك:

(فصل) قال في البرهان: ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت به حتى لم يكن لترد (الم) في موضع (الر) ولا (حم) في موضع (طس). قال: وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له، فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الواردة فيها، فلو وضع (ق) في موضع (ن) لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله وسورة (ق) بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مراراً والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق والإلقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب في البلاد وتشقق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك . وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها (الر) مائتا كلمة أو أكثر، فلهذا افتتحت بـ (الر).

واشتملت سورة (ص) على خصومات متعددة، فأولها خصومة النبي ﷺ مع الكفار وقولهم ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ ثم اختصاص الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصاص الملائة الأعلى، ثم تخاصم إبليس في شأن آدم ثم في شأن بنيه وإغوائهم.

و(الم) جمعت المخارج الثلاثة: الحلق واللسان والشففتين على ترتيبها، وذلك



إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق، والنهاية التي هي بدء الميعاد، والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهي، وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الأمور الثلاثة.

وسورة الأعراف زيد فيها (الصاد) على (الم) لما فيها من شرح القصص قصة آدم فمن بعده من الأنبياء، ولما فيها من ذكر ﴿فلا يكن في صدرك حرج﴾ ولهذا قال بعضهم: معنى (المص) ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.

وزيد في الرعد (راء) لأجل قوله رفع السموات، ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرها.

واعلم أن إعادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله ﴿الم ذلك الكتاب﴾ ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق﴾ ﴿المص كتاب أنزل إليك﴾ ﴿الر تلك آيات الكتاب﴾ ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ ﴿طسم تلك آيات الكتاب﴾ ﴿يس والقرآن﴾ ﴿ص والقرآن﴾ ﴿حم تنزيل الكتاب﴾ ﴿ق والقرآن﴾ إلا ثلاث سور: العنكبوت والروم ون، ليس فيها ما يتعلق به، وقد ذكرت حكمة ذلك في أسرار التنزيل.

### قيل في الأحرف السبعة:

وقال الحراني في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف: زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال.

واعلم أن القرآن منزل عند انتهاء الخلق وكمال كل الأمر، بدأ فكان المتحلى به جامعاً لانتهاء كل خلق وكمال كل أمر، فلذلك هو ﷺ قسم الكون، وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتماً وكتابه كذلك.

وبدء المعاد من حين ظهوره فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد  
خلت في الأولين بداياتها وتمت عنده غاياتها «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»  
وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها عليه الصلاة والسلام «اللهم أصلح  
لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي  
آخرتي التي إليها معادي» وفي كل صلاح إقدام وإحجام، فتصير الثلاثة الجوامع  
سته هي حروف القرآن الستة، ثم وهب حرفاً جامعاً سابعاً فرداً الأزواج له  
فتمت سبعة.

فأدنى تلك الحروف هو حرف إصلاح الدنيا فلها حرفان: أحدهما حرف  
الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهير منه لبعده عن تقويمها. والثاني  
حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها، وأصل هذين  
الحرفين في التوراة وتامهما في القرآن.

ويلي ذلك حرفا صلاح المعاد. أحدهما حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح  
الآخرة إلا بالتطهير منه لبعده عن حسناتها. والثاني حرف الأمر الذي تصلح  
الآخرة عليه لتقاضيه لحسناتها، وأصل هذين الحرفين في الإنجيل وتامهما في  
القرآن.

ويلي ذلك حرفا صلاح الدين: أحدهما حرف المحكم الذي بان للعبد فيه  
خطاب ربه. والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة  
قصور عقله عن إدراكه، فالحروف الخمسة للاستعمال، وهذا الحرف السادس  
للقوف والاعتراف بالعجز، وأصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها  
وتامهما في القرآن.

ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل الأعلى،  
ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به أم القرآن وجمع فيها جوامع

الحروف السبعة التي بثها في القرآن .

فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع . والثانية تشتمل على حرفي الجلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمية الآخرة . والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفي الأمر والنهي اللذين يبدأ أمرهما في الدين . والرابعة تشتمل على حرفي المحكم في قوله ﴿إياك نعبد﴾ والمتشابه في قوله ﴿وإياك نستعين﴾ ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه اهـ كلام الحراني .

### الرد على هذا القول :

والمقصود منه هو الأخير ، وبقيته ينبو عنه السمع وينفر عنه القلب ولا تميل إليه النفوس ، وأنا أستغفر الله من حكايته ، على أني أقول في مناسبة ابتداء البقرة بـ (الم) أحسن ما قال ، وهو أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد حيث لا يعذر أحد في فهمه ابتدئت البقرة بمقابلة وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيلة .

### مناسبة أسماء السور لمقاصدها :

(فصل) ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها ، وقد تقدم في النوع السابع عشر الإشارة إلى ذلك . وفي عجائب الكرمانى : إنما سميت السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من المتشاكل الذي اختصت به ، وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام .

### الحكمة في افتتاح الاسراء بالتسبيح :

[ فوائده منثورة ] في المناسبات في تذكرة الشيخ تاج الدين السبكي ومن خطه

نقلت: سأل الإمام ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد؟ وأجاب بأن التسبيح حيث جاء يقدم على التحميد نحو ﴿فسبح بحمد ربك﴾ ﴿سبحان الله والحمد لله﴾. وأجاب ابن الزمكاني بأن سورة سبحان لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي ﷺ وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى أتى بسبحان لتزويه الله تعالى عما نسب إليه نبيه من الكذب. وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين، بل أم عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة.

### الحكمة في بدء الفاتحة بالحمد:

في تفسير الخويبي: ابتدئت الفاتحة بقوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ بوصف أنه مالك جميع المخلوقين، وفي الأنعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والأرض والظلمات والنور في الأنعام، وأنزل الكتاب في الكهف، وملك ما في السموات وما في الأرض في سبأ، وخلقها في فاطر، لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها.

### الحكمة في (يسألونك) بالواو وبدونها:

في العجائب للكرماني: إن قيل كيف جاء يسألونك أربع مرات بغير واو ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ ثم جاء ثلاث مرات بالواو ﴿ويَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ ﴿ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ ﴿ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾.

قلنا: لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقاً، وعن الحوادث الأخر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء ﴿ويسألونك عن الجبال فقل﴾ وعادة القرآن مجيء قل في الجواب بلا فاء. وأجاب الكرمانى بأن التقدير: لو سئلت عنها فقل.

فإن قيل: كيف جاء ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ وعادة السؤال يجيء جوابه في القرآن بقل؟ قلنا: حذف للإشارة إلى أن العبد في حال الدعاء في أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه. ورد في القرآن سورتان أولهما ﴿يا أيها الناس﴾ في كل نصف سورة، فالتى في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ، والتي في الثاني على شرح المعاد.

## النوع الثالث والستون: في الآيات المشبهات

### مصنفات في المشبهات:

أفرده بالتصنيف خلق: أولهم فيما أحسب الكسائي، ونظمه السخاوي وألف في توجيهه الكرمانى كتابه [ البرهان في متشابه القرآن ] وأحسن منه [ درة التنزيل وغرة التأويل ] لأبي عبدالله الرازي، وأحسن من هذا [ ملاك التأويل ] لأبي جعفر بن الزبير ولم أقف عليه. وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه [ كشف المعاني عن متشابه المثاني ].

### إيراد القصة في صور شتى:

وفي كتاب [ أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار ] من ذلك الجم الغفير، والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً كقوله في البقرة ﴿وادخلوا البابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وفي الأعراف ﴿وقولوا حطة وادخلوا البابَ سُجَّداً﴾ وفي البقرة ﴿وما أهلاً به لغير الله﴾ وسائر القرآن ﴿وما أهلاً لغير الله به﴾ أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها نحو ﴿سواء عليهم أنذرتهم﴾ وفي يس وفي البقرة ﴿ويكون الدين لله﴾ وفي الأنفال ﴿كله لله﴾ أو في موضع معرفاً وفي آخر منكرأ، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات.

## أمثلة في المشتبهات:

وهذه أمثلة منه بتوجيهها قوله تعالى في البقرة ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وفي لقمان ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب المتقين، ولما ذكر ثم الرحمة ناسب المحسنين قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ وفي الأعراف ﴿فَكَلَا﴾ بالفاء، قيل لأن السكنى في البقرة الإقامة، وفي الأعراف اتخاذ المسكن، فلما نسب القول إليه تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل، ولذا قال ﴿فِيهِ رَعْدًا﴾ وقال ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ لأنه أعم. وفي الأعراف ﴿وَيَا آدَمُ﴾ فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها، لأن الأكل بعد اتخاذ ومن حيث لا تعطي عموم معنى حيث شئتما.

## المشتبهات في (الشفاعة):

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تُجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ الآية. وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ ففيه تقديم العدل وتأخيرها، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى. وذكر في حكمته أن الضمير في منها راجع في الأولى إلى النفس الأولى، وفي الثانية إلى النفس الثانية. فبين في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل، وقدمت الشفاعة لأن الشافع يقدم الشفاعة على بدل العدل عنها. وبين الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع منها، وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند رده ولذلك قال في الأولى: ﴿لَا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ وفي الثانية: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع وإنما تشفع المشفوع له.

## المشبهات في قصة ( فرعون وبني إسرائيل ) :

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجِينَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ ﴾ وفي إبراهيم ﴿ وَيَذَّبَحُونَ ﴾ بالواو ولأن الأولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحن تكرماً في الخطاب، والثانية من كلام موسى فعدها، وفي الأعراف ﴿ يَقْتُلُونَ ﴾ وهو من تنويع الألفاظ المسمى بالتفنن.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ الآية وفي آية الأعراف اختلاف ألفاظ، ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر المنعم عليهم حيث قال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ الخ، فناسب نسبة القول إليه تعالى وناسب قوله: ﴿ رَغَدَا ﴾ لأن المنعم به أم، وناسب تقديم: ﴿ وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ وناسب ﴿ خَطَايَاكُمْ ﴾ لأنه جمع كثرة، وناسب الواو في ﴿ وَسَنَزِيدُ ﴾ لدلالاتها على الجمع بينها، وناسب الفاء في ﴿ فَكَلُوا ﴾ لأن الأكل مترتب على الدخول.

## .. وفي اتخاذ بني إسرائيل العجل :

وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ثم اتخذهم العجل فناسب ذلك، ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ﴾ وناسب ترك ﴿ رَغَدَا ﴾ والسكنى تجامع الأكل فقال: ﴿ وَكَلُوا ﴾ وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو في ﴿ سَنَزِيدُ ﴾ ولما كان في الأعراف تبعيض الهادين بقوله: ﴿ وَمَنْ قَوْمٌ مَوْسَىٰ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ ناسب تبعيض الظالمين بقوله: ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ ولم يتقدم في البقرة مثله فترك. وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم والإرسال أشد وقعاً من الإنزال فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك، وختم آية البقرة بيفسقون، ولا يلزم منه الظلم والظلم يلزم منه الفسق فناسب كل لفظة منها سياقه.



### المشبه بين ( انفجر وانجست ) :

وكذا في البقرة: ﴿فانفجرت﴾ وفي الأعراف ﴿انجست﴾ لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء فناسب سياق ذكر النعم التعبير به .

قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودة﴾ وفي آل عمران: ﴿معدودات﴾ قال ابن جماعة: لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود. إحداها قالت: إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا، والأخرى قالت: إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل. فأية البقرة تحتل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة. وقال أبو عبد الله الرازي: إنه من باب التفتن .

قوله تعالى: ﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ وفي آل عمران: ﴿إن الهدى هدى الله﴾ لأن الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة، وفي آل عمران المراد به الدين لتقدم قوله: ﴿لمن تبع دينكم﴾ ومعناه: أي دين الله الإسلام .

### المشبه من: ﴿رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ :

قوله تعالى: ﴿رب اجعلْ هذا بلداً آمناً﴾ وفي إبراهيم: ﴿هذا البلد آمناً﴾ لأن الأول دعا قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد فدعا بأن تصيره بلداً، والثاني دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلداً فدعا بأمنه .

قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزلَ إلينا﴾ وفي آل عمران: ﴿قل آمنا بالله وما أنزلَ علينا﴾ لأن الأولى خطاب للمسلمين والثانية خطاب للنبي ﷺ، وإلى ينتهى بها من كل جهة، وعلى لا ينتهى بها إلا من جهة واحدة وهي العلو، والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وإنما أتى النبي ﷺ

من جهة العلو خاصة فناسب قوله علينا ، ولهذا أكثر ما جاء في جهة النبي ﷺ  
بعلی وأكثر ما جاء في جهة الأمة بإلى .

### من المشتبه ﴿ تلك حدود الله ﴾ :

قوله تعالى : ﴿ تلك حدودُ الله فلا تقربوها ﴾ وقال بعد ذلك : ﴿ فلا  
تعدوها ﴾ لأن الأولى وردت بعد نواه فناسب النهي عن قربانها ، والثانية بعد  
أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها .

قوله تعالى : ﴿ نزل عليك الكتاب ﴾ وقال : ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل ﴾ لأن  
الكتاب أنزل منجماً فناسب الإتيان بنزول الدالّ على التكرير ، بخلافها فإنها  
أنزلا دفعة .

قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ وفي الإسراء : ﴿ خشية  
إملاق ﴾ لأن الأولى خطاب للفقراء المقلين : أي لا تقتلوهم من فقر بكم  
فحسن : ﴿ نحن نرزقكم ﴾ ما يزول به إملاقكم . ثم قال : ﴿ وإياهم ﴾ أي نرزقكم  
جميعاً . والثانية خطاب للأغنياء : أي خشية فقر يحصل لكم بسببهم ، ولذا حسن :  
﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ فاستعذ بالله إنه سميعٌ عَلِيمٌ ﴾ وفي فصلت : ﴿ إنه هو السميعُ  
العليمُ ﴾ قال ابن جماعة : لأن آية الأعراف نزلت أولاً وآية فصلت نزلت ثانياً ،  
فحسن التعريف : أي هو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ  
الشیطان .

### من المشبه ﴿ المنافقون والمنافقات ﴾ :

قوله تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقاتُ بعضهم من بعض ﴾ وقال في المؤمنين :  
﴿ بعضهم أولياءُ بعض ﴾ وفي الكفار : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياءُ بعض ﴾

لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهوداً وبعضهم مشركين فقال: ﴿من بعض﴾ أي في الشك والنفاق، والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين، كما قال تعالى: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ فهذه أمثلة يستضاء بها، وقد تقدم منها كثير في نوع التقديم والتأخير، وفي نوع الفواصل، وفي أنواع آخر.

## النوع الرابع والستون: في إعجاز القرآن

أفرده بالتصنيف خلائق: منهم الخطابي والرماني والزملكاني والإمام الرازي وابن سراقه والقاضي أبو بكر الباقلاني. قال ابن العربي: ولم يصنف مثل كتابه. أعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية.

### معجزات بني إسرائيل حسية ومعجزات الإسلام عقلية:

وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال ﷺ: « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » أخرجه البخاري.

### معجزات الأنبياء انقضت ومعجزات القرآن باقية:

قيل إن معناه: إن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمرّ عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه.

وقيل: المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار

كنافة صالح وعصا موسى، ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته، والذي يشاهد بعين العقل باقٍ يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً.

### لم يقدر أحد على تحدي القرآن ومعارضته:

قال في فتح الباري: ويمكن نظم القولين في كلام واحد، فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضاً، ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك، قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة. وقال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ فأخبر أن الكتاب آيات من آياته كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء، ولما جاء به النبي ﷺ إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصارع الخطباء، وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدرُوا كما قال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مُفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنَّا أنزلنا بعلم الله﴾ ثم تحداهم بسورة في قوله: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله﴾ الآية، ثم كرر في قوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله﴾ الآية، فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيراً ﴿ فهذا وهم الفصحاء اللدّ وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدّث نفسه بشيء من ذلك ولا رame، بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا سحر، وتارة قالوا شعر، وتارة قالوا أساطير الأولين، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرَمهم واستباحة أمواهم، وقد كانوا آنف شيء وأشدّه حية، فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم.

### الوليد بن المغيرة كاد يسلم عندما سمع القرآن:

كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه لثلاث تأتي محمداً لتعرض لما قاله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي تقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر، أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأتريه عن غيره.

### الجاحظ يتحدث عن القرآن:

قال الجاحظ: بعث الله محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة وأشدّ ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله

وتصديق رسالته .

فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حلهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتاج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو آيات يسيرة .

فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقريباً لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً وظهر منه ما كان خفياً .

فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم .

وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقلوبه وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم .

فمحال، أكرمك الله، أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ

المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة.

وكما أنه محال أن يطبقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه انتهى.

### القرآن معجزة النبي محمد:

(فصل) لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا ﷺ وجب الاهتمام بمعرفة وجه الإعجاز، وقد خاض الناس في ذلك كثيراً، فبين محسن ومسيء، فزعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق وبه وقع عجزها، وهو مردود لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به.

والصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ.

### زعم بعضهم أن الإعجاز بالصرفة:

ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة: أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدوراً لهم، ولكن عاقبهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات.

وهذا قول فاسد بدليل: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الآية، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلخوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه



صفة إعجاز؟ بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله .  
وأيضاً فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو  
القرآن من الإعجاز ، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى  
باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن .

### رد آخر على من قال بالصرفة:

قال القاضي أبو بكر: وما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة  
وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون بالمنع معجزاً فلا  
يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه. قال: وليس هذا بأعجب من قول  
فريق منهم أن الكل قادرين على الإتيان بمثله، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه  
ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به، ولا بأعجب من قول آخرين أن العجز وقع  
منهم، وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله، وكل هذا لا يعتد به .

### وجوه إعجاز القرآن:

وقال قوم: وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يكن  
ذلك من شأن العرب .

وقال آخرون: ما تضمنته من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين  
حكاية من شاهدها وحضرها .

وقال آخرون: ما تضمنته من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك  
بقول أو فعل كقوله: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ  
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ﴾ .

وقال القاضي أبو بكر: وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف،  
وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب

خطاباتهم. قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته. قال: ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة، بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة وله طريق تسلك، فأما شأو ونظم القرآن فليس له مثال يجتذى ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً.

### بعض القرآن أظهر في الإعجاز من بعض:

قال: ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعضه أدق وأغمض.

وقال الإمام فخر الدين: وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب.

وقال الزمكاني: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً ووزنة، وعله مركبته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحدّاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله، فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته: أي لفظه تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول. ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة.

وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك. والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط.

ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وهم جراً وكتاب الله تعالى لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة ، وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة ، وفي معجزة عيسى بالأطباء .

فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره ، فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته ، وكذلك الطب في زمن عيسى ، والفصاحة في زمن محمد ﷺ .

### إعجاز القرآن مستمر في كل أجزائه :

وقال حازم في منهاج البلغاء : وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميع استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المحدود ، ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه ، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه ، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه .

### معجزة القرآن تعرف بالتفكير وعلم البيان :

وقال المراكشي في شرح المصباح : الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان ، وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يجترز به عن الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده ، ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال ، لأن جهة إعجازه ليس مفردات ألفاظه ، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ولا

مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزاً، ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام العرب معجزاً، ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً والأسلوب الطريق، ولكان هذيان مسيلمة معجزاً، ولأن الإعجاز يوجد دونه: أي الأسلوب في نحو: ﴿فلما استنأسوا منه خلصوا نجياً فاصدغ بما تؤمر﴾ ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجحه الأسماع وتنفر منه الطباع. ويضحك منه في أحوال تركيبه، وبها: أي بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرص الفصحاء، فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أخرى، ودليل تفصيلي مقدمته التفكير في خواص تركيبه، ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً.

### إعجاز القرآن له وجهان:

وقال الأصبهاني في تفسيره: أعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين، أحدهما إعجاز متعلق بنفسه، والثاني بصرف الناس عن معارضته. فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه.

أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، فإن ألفاظه ألفاظهم، قال تعالى: ﴿قرآناً عربياً بلسان عربي﴾ ولا بمعانيه فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة، قال تعالى: ﴿وإنه لفي زُبُرِ الأولين﴾ وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب، فإعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم، ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره، مؤدى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة.

فإذن النظم المخصوص صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف

الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالحاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد، فإن الحاتم المتخذ من الفضة ومن الذهب ومن الحديد يسمى حاتمًا وإن كان العنصر مختلفاً، وإن اتخذ حاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وإن كان العنصر واحداً.

قال: فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص، وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه.

### مراتب تأليف الكلام:

فنقول: مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرب.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، ويقال له المنثور من الكلام.

والثالثة: يضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له المسجع.

والخامسة: أن يجعل مع ذلك وزن، ويقال له الشعر والمنظوم، إما محاورة ويقال له الخطابة، وإما مكاتبة ويقال له الرسالة. فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكل من ذلك نظم مخصوص.

والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها يدل على ذلك، لأنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعراً أو سجعاً، كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تنبيهاً على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخر.

قال: وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً إذا اعتبر، وذلك أنه ما من صناعة محودة كانت أو مذمومة إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية واتفاقات جميلة، بدليل أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف فيشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه في مباشرتها، فيقبلها بانشرح صدره ويزاولها باتساع قلبه، فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن وعجزهم عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولى الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها اهـ.

### إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه:

وقال السكاكي في المفتاح: اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة كما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيها.

وقال أبو حيان التوحيدي: سئل بندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال: هذه مسألة فيها حيف على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك ما

موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جلته فقد حققته ودلت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده.

### إعجاز القرآن بلاغي:

وقال الخطابي: ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه إلى حكم الذوق. قال: والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة، فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز المطلق الرسل. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود. فالأول أعلاها، والثاني أوسطها، والثالث أدناها وأقربها. فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعدوية، وهما على الانفراد في نعومتها كالمتصادين، لأن العدوية نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعاً من الذعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة لنبيه صلوات الله عليه.

### لماذا تعذر على البشر الإتيان بمثله:

وإنما تعذر عن البشر الإتيان بمثله لأمرين. منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتواصلوا باختيار

الأفضل من الأحسن من وجوها إلى أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاوة وتشاكلاً من نظمه.

وأما معانيه فكل ذي لبّ يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقي إلى أعلى درجاته، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرّق في أنواع الكلام، فإما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير.

### لماذا صار معجزاً؟

فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعائه إلى طاعته وبيان لطريق عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وارشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعائد منهم منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الآتية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك آكد للزوم ما دعا عليه وأداء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشاتها حتى تنتظم وتنسق أمر يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله، ثم صار المعاندون له يقولون مرة إنه شعر لما رأوا منظوماً، ومرة إنه سحر لما رأوه معجزاً عنه غير مقدور عليه، وقد كانوا



يجدون له وقعاً في القلوب وقرعاً في النفوس يرهبهم ويحيرهم، فلم يتالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف ولذلك قالوا: إن له حللوة، وإن عليه لطلاوة.

وكانوا مرةً يجهلهم يقولون: ﴿أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلاً﴾، مع علمهم أن صاحبهم أمي وليس يحضرته من يملي أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز.

### إعجاز القرآن كامن في صنيعه في القلوب والنفوس:

ثم قال: وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس، وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حاله ذوي الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه، قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتُه خاشعاً متصدعاً من خشيةِ الله﴾ وقال الله: ﴿نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرُّ منه جلودُ الذين يخشون ربَّهُم﴾.

### وجوه إعجاز القرآن:

وقال ابن سراقه: اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرةً كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره.

فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة. وقال آخرون: هو البيان والفصاحة. وقال آخرون: هو الوصف والنظم. وقال آخرون: هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم، حتى أن من اقتصر على معانيه وغير حروفه

أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه. وقال آخرون: هو كون قارئه لا يكَلِّ وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته.

وقال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية. وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع. وقال آخرون: هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها اهـ.

### وجوه إعجاز القرآن ليست محدودة:

وقال الزركشي في البرهان: أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده، فإنه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق.

فمنها: الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقرّ والجاحد. ومنها: أنه لم يزل ولا يزال غصاً طرياً في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئین.

ومنها: جمعه بين صفتي الجزالة والعدوبة، وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالباً في كلام البشر.

ومنها: جعله آخر الكتب غنياً عن غيره، وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

### أتى القرآن بكل أساليب الإعجاز:

وقال الرماني: وجوه إعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفة والبلاغة والإخبار عن الأمور

المستقبله ونقض العادة وقياسه بكل معجزة. قال: ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة، ويفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام. قال: وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة إذا كان سبيلاً فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز، إذ خرج عن العادة فصداً الخلق عن المعارضة.

### أهم وجوه الإعجاز أربعة:

وقال القاضي عياض في الشفا: اعلم أن القرآن منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه. أولها: حسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحته، ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

والثاني: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومنها نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له. قال: وكل واحد من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما، إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها، خلافاً لمن زعم أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب.

الوجه الثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن، فوجد كما

ورد.

الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجهه ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

قال: فهذه الوجوه الأربعة من إعجاز بينة لا نزاع فيها. ومن الوجوه في إعجازه غير ذلك آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ فما تمناه أحد منهم، وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث.

ومنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم، والهيبه التي تعزيهم عند تلاوته، وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، قال: فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَسْيطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير. قال: وذلك أول ما قر الإسلام في قلبي. وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف. ثم قال: ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه.

ومنها: أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادي إذا أعيد ويمل مع التردد، ولهذا وصف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد.

ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة. قال: وهذا الوجه داخل في بلاغته فلا يجب أن يعد فناً مفرداً في إعجازه. قال: والأوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله لا إعجازه، وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأولى فليعتمد عليها.

## مقدار المعجز من القرآن:

[ تنبيهات . الأول ] اختلف في قدر المعجز من القرآن، فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن والآيتان السابقتان ترده.

وقال القاضي: يتعلق الإعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة تشبهاً بظاهر قوله بسورة. وقال في موضع آخر: يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوي البلاغة. قال: فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز. قال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر.

وقال قوم: لا يحصل الإعجاز بأية، بل يشترط الآيات الكثيرة. وقال آخرون: يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ قال القاضي: ولا دلالة في الآية لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة.

## هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ام استدلالاً:

[ الثاني ] اختلف في أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة؟ قال القاضي: فذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك على النبي ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال. قال: والذي نقوله أن الأعجمي لا يمكنه أن يعلم إعجازه إلا استدلالاً، وكذلك من ليس ببلغ. فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فإنه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله.

## تفاوت القرآن في الفصاحة:

[ الثالث ] اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاهم على أنه

في أعلى مراتب البلاغة، بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشدّ تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه، فاختار القاضي المنع، وأن كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا، وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً له من بعض.

واختار أبو نصر القشيري وغيره التفاوت فقال: لا ندعي أن كل ما في القرآن على أرفع الدرجات في الفصاحة، وكذا قال غيره في القرآن الأوضح والفصيح، وإلى هذا نحا الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، ثم أورد سؤالاً وهو أنه لمّ لم يأت القرآن جميعه بالأفصح؟

وأجاب عنه الصدر موهوب الجزري بما حاصله أنه لو جاء القرآن على ذلك لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأوضح والفصيح فلا تتم الحجة في الإعجاز، فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلاً: أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه، كما لا يصح من البصير أن يقول للأعمى: قد غلبتك بنظري، لأنه يقول له: إنما تم لك الغلبة لو كنت قادراً على النظر وكان نظرك أقوى من نظري، وأما إذا فُقد أصل النظر فكيف تصح مني المعارضة؟

### الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر:

[الرابع] قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق، وقصارى أمر الشاعر التخيل بتصوير الباطل في صورة الحق والإفراط في الإطراء والمبالغة في الذم والإيذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق، ولهذا نزه الله نبيه عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية.

وقال بعض الحكماء : لم ير متدين صادق اللجة مفلق في شعره . وأما ما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه أن ذلك لا يسمى شعراً ، لأن شرط الشعر القصد ، ولو كان شعراً لكان كل من اتفق له في كلامه شيء موزون شاعراً ، فكان الناس كلهم شعراء لأنه قلّ أن يخلو كلام أحد عن ذلك ، وقد ورد ذلك على الفصحاء ، فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطنع عليه لأنهم كانوا أحرص شيء عن ذلك ، وإنما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى في الانسجام . وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعراً ، وأقل الشعر بيتان فصاعداً . وقيل الرجز لا يسمى شعراً أصلاً ، وقيل أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة أبيات ، وليس ذلك في القرآن بحال .

### التحدي وقع للإنس دون الجن :

[ الخامس ] قال بعضهم : التحدي إنما وقع للإنس دون الجن لأنهم ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه ، وإنما ذكروا في قوله : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾ تعظيماً لإعجازه ، لأن للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للأفراد ، فإذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضاً وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز .

وقال غيره : بل وقع للجن أيضاً والملائكة منوبون في الآية لأنهم لا يقدرُونَ أيضاً على الإتيان بمثل القرآن .

وقال الكرمانى في غرائب التفسير : إنما اقتصر في الآية على ذكر الإنس والجن لأنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة .

### لا اختلاف في القرآن :

[ السادس ] سئل الغزالي عن معنى قوله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله

لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴿ فأجاب: الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن. ويقال هذا كلام مختلف: أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو هو مختلف الدعوى: أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، وهو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه.

وكلام الله منزّه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغثّ والسمين، ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين.

وكلام الآدميين تنطرق إليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشعراء والمرسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم ثم اختلاف في درجات الفصاحة بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغثّ والسمين، ولا يتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة.

وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة، لأن الشعراء والفصحاء في كل واحد يهيمون، فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن ويسمونهم حزماً وتارة يذمونهم ويسمونهم ضعفاً، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونهم صرامة وتارة يذمونهم ويسمونهم تهوراً.

ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلاف لأن منشأها اختلاف الأغراض بالأحوال، والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عن انبساط الطبع وفرحه، وتتعذر عليه عند الانقباض وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب ذلك اختلافاً في كلامه بالضرورة فلا يصادف إنسان يتكلم



في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد، ولقد كان النبي ﷺ بشراً مختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

### الفرق بين إعجاز القرآن وسائر الكتب المنزلة:

[ السابع ] قال القاضي: فإن قيل هل تقولون إن غير القرآن من كلام الله معجز كالتوراة والإنجيل؟ قلنا: ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف وإن كان معجزاً كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب، وإنما لم يكن معجزاً لأن الله تعالى لم يصفه بما وصفه به القرآن، ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع في القرآن، ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز.

وقد ذكر ابن جني في الخطريات في قوله: ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ﴾ أن العدول عن قوله: ﴿ إما أن تلقى ﴾ لغرضين: أحدهما لفظي وهو المزاجعة لرؤوس الآي. والآخر معنوي وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم على موسى فجاء عنهم باللفظ أم وأوفى منه في إسنادهم الفعل إليه. ثم أورد سؤالاً وهو: إنا لا نعلم أن السحرة لم يكونوا أهل لسان فيذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام؟ وأجاب بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية إنما هو معرب عن معانيهم وليس بحقيقة ألفاظهم، ولهذا لا يشك في أن قوله تعالى: ﴿ قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يُخرِجَاكُم من أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ إن هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم.

### اختار القرآن أفصح الألفاظ لأشرف المعاني:

[ الثامن ] قال البارزي في أول كتابه [ أنوار التحصيل في أسرار التنزيل ] اعلم

أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض، وكذلك كل واحد من جزئي الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معاني الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال وذلك عتيد حاصل في علم الله، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه وإن كان مشتملاً على الفصيح والأفصح والمليح والأملح.

ولذلك أمثلة منها قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ لو قال مكانه وثمر الجنتين قريب لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجننتين.

ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره إلى حال يجنى فيها، ومن جهة مؤاخة الفواصل.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ أحسن من التعبير بـ (تقرأ) لثقله بالهمزة، ومنها: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أحسن من لا شك فيه لثقل الإدغام، ولهذا كثر ذكر الريب.

ومنها: ﴿لَا تَهِنُوا﴾ أحسن من ولا تضعفوا لخفته: ﴿وَوَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ أحسن من ضعف، لأن الفتحة أخف من الضمة.

ومنها ﴿آمَنَ﴾ أخف من صدق، ولذا كان ذكره أكثر من ذكر التصديق ﴿وَأَثَرَكَ اللَّهُ﴾ أخف من فضلك، و﴿آتَى﴾ أخف من أعطى، و﴿أَنْذَرَ﴾ أخف من خوف، و﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾ أخف من أفضل لكم، والمصدر في نحو ﴿هَذَا خَلَقَ اللَّهُ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أخف من مخلوق، والغائب ونكح أخف من تزوج، لأن فعل أخف من أن تفعل، ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر، ولأجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحبّ والمقت في أوصاف الله تعالى مع أنه لا يوصف بها حقيقة، لأنه لو عبر عن ذلك بألفاظ

الحقيقة لطال الكلام، كأن يقال يعامله معاملة المحب والمأقت، فالمجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره وابتناؤه على التشبيه البليغ، فإن قوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ أحسن من فلما عاملونا معاملة الغضب، أو فلما أتوا إلينا بما يأتيه المغضب اهـ.

### قصار السور كطوالها لا يمكن معارضتها:

[التاسع] قال الرماني: فإن قال قائل: فلعل السور القصار يمكن فيها المعارضة، قيل لا يجوز فيها ذلك من قبل أن التحدي قد وقع بها فظهر العجز عنها في قوله: ﴿فأنتوا بسورة﴾ فلم يخص بذلك الطوال دون القصار، فإن قال: فإنه يمكن في القصار أن تغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها فهل يكون ذلك معارضة؟ قيل له: لا من قبل أن المفهم يمكنه أن ينشئ بيتاً واحداً ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون، فلو أن مفحماً رام أن يجعل بدل قوافي قصيدة رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق      مشتبه الأعلام لماع الخفق

- بكل وفد الريح من حيث انخرق ●

فجعل بدل المخترق الممزق وبدل الخفق الشفق وبدل انخرق انطلق لأنه ذلك، ولم يثبت له به قول الشعر ولا معارضة رؤبة في هذه القصيدة عند أحد له أدنى معرفة، فكذلك سبيل من غير الفواصل.

## النوع الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن

### القرآن مستودع العلوم كلها:

قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقال ﷺ: « ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ». أخرجه الترمذي وغيره.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين. قال البيهقي: يعني أصول العلم.

وأخرج البيهقي عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب وأودع علومها أربعة، منها التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وقال أيضاً: جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قلت: ويؤيد هذا قوله ﷺ: « إني لا أحل إلا ما أحل الله، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه » أخرجه بهذا اللفظ الشافعي في الأم.

### ما من حديث إلا وفي القرآن له أصل:

وقال سعيد بن جبیر: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله. وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبؤكم

بتصديقه من كتاب الله تعالى، أخرجها ابن أبي حاتم. وقال الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. فإن قيل: من الأحكام ما يثبت ابتداء بالسنة. قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة، لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله. وقال الشافعي مرة بمكة: سلوني عما شتم أخبركم عنه في كتاب الله، فقيل له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبور، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: اقتدوا باللذين من بعدي، أي بكر وعمر. وحدثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور.

وأخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: لعن الله الواشيات والمتوشيات والملتصقات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت له: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول، قال: لكن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه.

وحكى ابن سراقه في كتاب الإعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوماً: ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله، فقيل له: فأين ذكر الخيانات فيه؟ فقال: في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ فهي الخيانات.

وقال ابن برهان: ما قال النبي ﷺ ما من شيء فهو في القرآن أو فيه أصله  
قرب أو بعد، ففهمه من فهمه وعمه عنه من عمه، وكذا كل ما حكم به أو  
أنهى به، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه.  
وقال غيره: ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله، حتى أن  
بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله في سورة المنافقين:  
﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها  
بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.

### جمع القرآن علم الأولين والآخرين:

وقال ابن أبي الفضل المرسي في تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين  
بهيث لم يحط بها علماء حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به  
سبحانه وتعالى، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء  
الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في  
كتاب الله تعالى.

ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل  
أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه،  
فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه.

### علوم اللغة:

فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد  
كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجدياته والتعليم عند كل  
عشر آيات، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير  
تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه، فسموا القراء.

## علم النحو:

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به ، حتى أن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة .

## علم التفسير:

واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه ، وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذي المعنيين والمعاني ، وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره .

## علم الأصول والتوحيد:

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم بأصول الدين .

## علوم البلاغة:

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز .

## علم أصول الفقه:

وتكلموا في التخصيص والإخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه

والأمر والنهي والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله وفرّعوا فروعها، وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً، وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً.

### علم التاريخ والقصص:

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص.

### علم الوعظ والخطابة:

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولاً من المواعظ وأصولاً من الزواجر، فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.

### علم الحكم والأمثال:

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السماء وفي منامي صاحبي السجن وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة، وسموه تعبير الرؤيا، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب، فإن عز عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب، فإن عسر فمن الحكم والأمثال.



ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

### علم المواريث والوصايا:

وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والرابع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

### علم المواقيت:

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت .

### علوم المعاني والبيان والبديع:

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادي والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع .

ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاماً اصطلاحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التي أخذتها الأمة الإسلامية منه .

### علوم أخرى:

وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك .

## الطب:

أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ عرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ثم زاد على طب الأجسام بطب القلوب وشفاء الصدور.

## الهيئة:

وأما الهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بثّ في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات.

وأما الهندسة ففي قوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ الآية.

## الجدل:

وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم نمرود ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم.

## الجبر والمقابلة:

وأما الجبر والمقابلة فقد قيل إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقي مَضْرُوب بعضها في بعض.

وأما النجامة ففي قوله: ﴿أَوْ إِثَارَةَ مَنْ عَلِمَ﴾ فقد فسره بذلك ابن عباس.

## الصنائع وأسماء الآلات:

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة في قوله: ﴿وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ﴾ والحداذة ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ الآية. والبناء في آيات. والنجارة: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ والغزل: ﴿نَقَضْتُ غَزْلَهَا﴾، والنسج: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ والفلاحة: ﴿أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ الآيات. والصيد في آيات. والغوص: ﴿كُلُّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ والصيافة ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ والزجاجة: ﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زَجَاجَةٍ﴾ والفخار ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ﴾ والملاحة: ﴿أَمَا السَّفِينَةُ﴾ الآية. والكتابة ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ والخبز ﴿أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾ والطبخ ﴿بِعَجَلٍ حَنِيذٍ﴾ والغسل والقصارة ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾ قال الحواريون: وهم القصارون. والجزارة ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ والبيع والشراء في آيات. والصبغ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ﴿جُدُّ بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ والحجارة ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ والكيالة والوزن في آيات. والرمي: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ﴿وَأَعَدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ اهـ كلام المرسى ملخصاً.

## علوم الحساب:

وقال ابن سراقه: من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة.

## القرآن مكمل ومتمم الكتب المنزلة:

وقال الراغب: إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنبينا محمد ﷺ محتمة وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكملة متممة جعل كتابه المنزل عليه متضمناً لثمرة كتبه التي أولاها أولئك، كما نبه عليه بقوله: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم، بحيث تقصر الأسباب البشرية عن إحصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبه عليه بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ فهو وإن كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه:

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً  
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً  
وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: قيل لموسى عليه السلام: يا موسى إنما مثل كتاب أحمد في الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته.

## علوم القرآن أكثر من أن تحصى:

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كالم القرآن مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحدّ ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط، وهذا ما لا يحصى، ولا يعلمه إلا الله.

## أم علوم القرآن ثلاثة:

قال: وأمّ علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وتذكير، وأحكام.

فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن.

والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضارّ والأمر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثلثه لاشتغالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد. وقال ابن جرير: القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد، والأخبار، والديانات، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه لأنها تشمل التوحيد كله.

### القرآن يحتوي على ثلاثين شيئاً:

وقال عليّ بن عيسى: القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً: الإعلام والتشبيه والأمر والنهي والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار وتعليم الإقرار باسم الله وبصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بأنعامه والاحتجاج على المخالفين والردّ على الملحدّين والبيان عن الرغبة والرغبة والخير والشرّ والحسن والقبيح ونعت الحكمة وفضل المعرفة ومدح الأبرار وذم الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتقريع والبيان عن ذم الأخلاق وشرف الآداب.

### التنويه ببعض ما جاء في القرآن:

وقال شيدلة: وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها، فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه. وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها.

وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى

وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة، كقصة آدم مع إبليس في إخراجه من الجنة، وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ورفع إدريس وإغراق قوم نوح.

وقصة عاد الأولى والثانية وثمود والناقة وقوم يونس وقوم شعيب والأولين والآخرين وقوم لوط وقوم تُبَّع وأصحاب الرس، وقصة إبراهيم في مجادلته قومه ومناظرته نمروذ ووضع ابنه إسماعيل مع أمه بمكة وبنائه البيت، وقصة الذبيح وقصة يوسف وما أبسطها.

وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليم وقتل القبطي ومسيره إلى مدين وتزوجه بنت شعيب، وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه إلى فرعون وخروجه وإغراق عدوه، وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة، وقصة القتل وذبح البقرة، وقصته مع الخضر، وقصته في قتال الجبارين.

وقصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلى الصين، وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته، وقصة القوم الذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، وقصة ذي القرنين ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه السد، وقصة أيوب وذو الكفل وإلياس، وقصة مريم وولادتها عيسى وإرساله ورفع، وقصة زكريا وابنه يحيى، وقصة أصحاب الكهف، وقصة أصحاب الرقيم، وقصة بخت نصر، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة، وقصة أصحاب الجنة، وقصة مؤمن آل يس، وقصة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي ﷺ دعوة إبراهيم به وبشارة عيسى وبعثه وهجرته، ومن غزواته سرية ابن الخضرمي في البقرة، وغزوة بدر في سورة الأنفال، وأحد في آل عمران، وبدر الصغرى فيها، والخندق في الأحزاب، والحديبية في الفتح،

والنضير في الحشر، وحنين وتبوك في براءة، وحجة الوداع في المائدة، ونكاحه زينب بنت جحش وتحريم سريته وتظاهر أزواجه عليه، وقصة الإفك وقصة الإسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود إياه.

وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد، وصعودها إلى السماء، وفتح الباب للمؤمننة وإلقاء الكافرة، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقرّ الأرواح.

وأشراط الساعة الكبرى وهي نزول عيسى وخروج الدجال وأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن والخسف وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة.

وأحوال البعث من النفخات الثلاث: نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام، والحشر والنشر وأحوال الموقف، وشدة حرّ الشمس وظل العرش والميزان والحوض والصراط والحساب لقوم ونجاة آخرين منه، وشهادة الأعضاء، وإيتاء الكتب بالآيمان والشمائل وخلف الظهر، والشفاعة والمقام المحمود.

والجنة وأبوابها وما فيها من الأنهار والأشجار والثمار والحلى والأواني والدرجات، ورؤيته تعالى.

والنار وأبوابها وما فيها من الأودية وأنواع العقاب وألوان العذاب والزقوم والحميم.

وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد في حديث «ومن أسمائه مطلقاً ألف اسم» ومن أسماء النبي ﷺ جملة.

وفيه شعب الإيمان البضع والسبعون وشرائع الإسلام الثلاثمائة وخمسة عشر.

وفيه أنواع الكبائر وكثير من الصغائر، وفيه تصديق كل حديث ورد عن

النبي ﷺ ، إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات .

### ألف العلماء مصنفات في كثير من علوم القرآن :

وقد أفرد الناس كتباً فيما تضمنه القرآن من الأحكام كالقاضي إسماعيل وأبي بكر بن العلاء وأبي بكر الرازي والكيالهراسي وأبي بكر ابن العربي وعبد المنعم ابن الفرس وابن خويز منداد .

وأفرد آخرون كتباً فيما تضمنه من علم الباطن ، وأفرد ابن برجان كتاباً فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث ، وقد ألفت كتاباً سميته [ الإكليل في استنباط التنزيل ] ذكرت فيه كل ما استنبط منه من مسألة فقهية أو أصلية أو اعتقادية ، وبعضاً مما سوى ذلك ، كثير الفائدة جمّ العائدة يجري مجرى الشرح لما أجملته في هذا النوع ، فليراجعه من أراد الوقوف عليه .

### آيات الأحكام :

( فصل ) قال الغزال وغيره : آيات الأحكام خمسمائة آية . وقال بعضهم : مائة وخمسون . قيل ولعل مرادهم المصرح به ، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتاب [ الإمام في أدلة الأحكام ] : معظم آي القرآن لا تخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة .

ثم من الآيات ما صرح فيه بالأحكام ، ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط ، إما بلا ضم إلى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار فمن قوله ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ وصحة صوم الجنب من قوله ﴿ فالآن باشرُوهم ﴾ إلى قوله ﴿ حتى يتبين لكم الخيط ﴾ الآية . وإما به كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر من قوله ﴿ وحملهُ وفصالهُ في عامين ﴾ .



قال: ويستدل على الأحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر، وتارة بالأخبار مثل ﴿أَحَلَّ لَكُمْ﴾ ﴿حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الآجل من خير أو شر أو نفع أو ضرر، وقد نوع الشارع في ذلك أنواعاً كثيرة ترغيباً لعباده وترهيباً وتقريباً إلى أفهامهم..

### متى يكون الفعل واجباً أو مندوباً:

فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو أحبه أو أحبب فاعله أو رضي به أو رضي عن فاعله أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب أو أقسم به أو بفاعله كالإقسام بالشفع والوتر وبخيل المجاهدين وبالنفوس اللوامة، أو نصبه سبباً لذكره لعبده أو لمحبهته أو لثواب عاجل أو آجل أو لشكره له أو لهدايته إياه أو لإرضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته أو وصف فاعل بالطيب أو وصف الفعل بكونه معروفاً أو نفي الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالأمن، أو نصب سبباً لولايته أو أخبر عن دعاء الرسول بمصوله أو وصفه بكونه قربة أو بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب.

### متى يكون الفعل حراماً أو مكروهاً:

وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه أو ذم فاعله أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه أو نفي محبته أو محبة فاعله أو الرضى به أو عن فاعله أو شبه فاعله بالبهائم أو بالشياطين أو جعله مانعاً من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه أو جعل سبباً لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل أو لذم أو لوم أو ضلالة أو معصية أو وصف بنجث أو رجس أو نجس أو بكونه فسقاً أو إثماً أو سبباً لإثم أو رجس أو لعن أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو حد من الحدود أو قسوة أو خزي أو ارتهان نفس أو

لعداوة الله ومحاربتة أو لاستهزائه أو سخريته أو جعله الله سبباً لنسيانه فاعله أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم أو بالصفح عنه أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بجنث أو احتقار أو نسبة إلى عمل الشيطان أو تزيينه، أو تولى الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذم ككونه ظلماً أو بغياً أو عدواناً أو إثمًا أو مرضاً، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا إلى الله من فاعله أو جاهدوا فاعله بالعداوة أو نهوا عن الأسى والحزن عليه أو نصب سبباً لخبية فاعله عاجلاً أو آجلاً، أو رتب عليه حرمان الجنة وما فيها، أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو بأن الله عدوه أو أعلم فاعله بجر من الله ورسوله، أو حمل فاعله إثم غيره، أو قيل فيه لا ينبغي هذا أو لا تكون أو امره بالتقوى عند السؤال عنه، أو أمر بفعل مضاده أو بهجر فاعله، أو تلا عن فاعله في الآخرة، أو تبرأ بعضهم من بعض، أو دعا بعضهم على بعض، أو وصفت فاعله بالضلالة وأنه ليس من الله في شيء، أو ليس من الرسول وبأصحابه، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو جعله سبباً لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، أو قيل هل أنت منته، أو نهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله، أو رقب عليه إبعاداً أو طرداً، أو لفظه قتل من فعله أو قاتله الله، أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه ولا يصلح عمله ولا يهدي كيده أو لا يفلح، أو قيض له الشيطان أو جعل سبباً لإزاحة قلب فاعله أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل، فهو دليل على المنع من الفعل، ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة.

### الفعل المباح:

وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال ونفي الجناح والجرم والإثم والمؤاخذة، ومن الإذن فيه والعفو عنه، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع، ومن

السكوت عن التحريم، ومن الإنكار على من حرم الشيء من الإخبار بأنه خلق أو يجعل لنا، والإخبار عن فعل من قبلنا غير ذام لهم عليه، فإن اقترن بإخباره مدح دلّ على مشروعيته وجوباً أو استحباباً اهـ كلام الشيخ عز الدين.

وقال غيره: قد يستنبط من السكوت، وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً وقال إنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق، ولما جمع بينهما غير فقال ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان﴾.

## النوع السادس والستون: في أمثال القرآن

### علم الأمثال:

أفردته بالتصنيف الإمام الحسن الماوردي من كبار أصحابنا، قال تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ وقال تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال.

### علم الأمثال من أعظم علوم القرآن:

قال الماوردي: من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام.

وقال غيره: قد عدّه الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوالّ على طاعته المبيّنة لاجتناب ناهيه.

### الغاية من علم الامثال:

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه

فإنه يدل على الأحكام.

وقال غيره: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقريب والمراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبتت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجلي والغائب بالمشاهد.

### ما تشتمل عليه الامثال:

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان بتفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ فامتّن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد.

قال الزركشي في البرهان: ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة. وقال الزمخشري: التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من الشاهد، فإن كان الممثل له عظيماً كان الممثل به مثله، وإن كان حقيراً كان الممثل به كذلك.

وقال الأصهباني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفيّ في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد.

### الغاية من الأمثال:

وفي ضرب الأمثال تنكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لضرورة الجامع الأبي، فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه، ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة

الأمثال، وفشت في كلام النبي ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء.

### نماذج من أمثال القرآن الظاهرة:

(فصل) أمثال القرآن تسمان: ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه. فمن أمثلة الأول قوله تعالى ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر.

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عليّ ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزّون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفياء، فلما ماتوا سلبهم الله العزّ كما سلب صاحب النار ضوئه وتركهم في ظلمات، يقول في عذاب، أو كصيب هو المطر ضرب مثله في القرآن ﴿فيه ظلمات﴾ يقول ابتلاء ﴿ورعد وبرق﴾ تخويف ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ يقول: يكاد يحكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ يقول كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزّاً اطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا فأبوا ليرجعوا إلى الكفر كقوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية.

ومنها قوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةً بقدرها﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ﴿فأما الزبدُ فيذهب جُفَاءً﴾ وهو الشك ﴿وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض﴾ وهو اليقين.

كما يجعل الحليّ في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك. وأخرج عن عطاء قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر. وأخرج عن قتادة قال: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد،

يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض فأمرعت وربت بركته وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار فأذهب خبثه كذلك يبقى الحق لأهله، وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل في النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله.

ومنها قوله تعالى ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما أن البلد الطيب ثمرها طيب. والذي خبث ضرب مثلاً للكافر كالبلد السبخة المالحة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

ومنها قوله تعالى ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ الآية. وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعم أو لا نعم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء، فقال: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل، قال ابن عباس: لرجل غنيّ عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

### نماذج من أمثال القرآن الكامنة:

وأما الكامنة فقال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم بقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: خير الأمور أوساطها؟ قال: نعم في أربعة مواضع، قوله تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ وقوله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾

وقوله تعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تنسطها كل البسط﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله من جهل شيئاً عاداه؟ قال: نعم في موضعين ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ و﴿إذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾

قلت: فهل تجد في كتاب الله: احذر شرّاً من أحسنت إليه؟ قال: نعم ﴿وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾.

قلت: فهل تجد في كتاب الله: ليس الخبر كالعيان؟ قال في قوله تعالى ﴿أو لم تؤمنوا قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

قلت فهل تجد: في الحركات البركات؟ قال: في قوله تعالى ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجز في الأرض مراًغماً كثيراً وسعة﴾.

قلت: فهل تجد: كما تدين تدان؟ قال في قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

قلت: فهل تجد فيه قولهم: حين تقلى تدرى؟ قال: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً﴾.

قلت: فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين؟ قال ﴿هل آمنكم عليه إلا كما آمنتمكم على أخيه من قبل﴾

قلت: فهل تجد فيه: من أعان ظالماً سلط عليه؟ قال ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير﴾.

قلت: فهل تجد فيه قولهم: لا تلد الحية إلا حية؟ قال: قال تعالى ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾.



قلت: فهل تجد فيه: للحيطان آذان؟ قال ﴿وفيكم سماعون لهم﴾.

قلت: فهل تجد فيه: الجاهل مرزوق والعالم محروم؟ قال ﴿من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدأ﴾.

قلت: فهل تجد فيه: الحلال لا يأتيك إلا قوتاً والحرام لا يأتيك إلا جزافاً؟ قال ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستون لا تأتيهم﴾.

### ألفاظ صارت أمثالا:

[ فائدة ] عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب باباً في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل، وأورد من ذلك قوله تعالى ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ ﴿الآن حصحص الحق﴾ ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ ﴿أليس الصبح بقريب﴾ ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ ﴿لكل نبا مستقر﴾ ﴿ولا يحق المنكر السيء إلا بأهله﴾ ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ ﴿م من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة﴾ ﴿آلآن وقد عصيت قبل﴾ ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿لا يستوى الخبيث والطيب﴾ ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ ﴿وقليل ما هم﴾ ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ في ألفاظ أخر.

## النوع السابع والستون: في أقسام القرآن

أفرده ابن القيم بالتصنيف في مجلد سماه التبيان، والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل ﴿والله يشهدُ إنَّ المنافقينَ لكاذِبُونَ﴾ قسماً وإن كان فيه إخبار بشهادة، لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمي قسماً.

### معنى القسم من الله تعالى:

وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد. وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً.

وأجاب أبو القاسم القشيري بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة، وإما بالقسم، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ وقال ﴿قل إني وربي إنَّه لحق﴾.

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنَّه لحق﴾ صرخ وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألقاه إلى اليمين؟

ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في

سبعة مواضع: الآية المذكورة بقوله ﴿قل إي وربي﴾ ﴿قل بلى وربي﴾ ﴿لتبعثن﴾ ﴿فوربك لتحشرهم والشياطين﴾ ﴿فوربك لنستلنهم أجمعين﴾ ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ ﴿فلا أقسمُ بربِّ المشارقِ والمغربِ﴾ .

والباقى كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى ﴿والتين والزيتون﴾ ﴿والصافات﴾ ﴿والشمس﴾ ﴿والليل﴾ ﴿والضحى﴾ ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ .

### كيف أقسم الله بالخلق وقد نهى عنه:

فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟ قلنا: أجيب عنه بأوجه. أحدها: إنه على حذف مضاف: أي ورب التين ورب الشمس، وكذا الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفونه.

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع.

وقال ابن أبي الأصبغ في أسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن الله يقسم بما شاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله. وقال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله لعمر ك، لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ما خلق الله ولا ذراً ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما

سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾

### القسم بالشيء لفضلته أو منعته:

وقال ابو القاسم القشيري: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة، أو لمنفعة. فالفضيلة كقوله ﴿وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ والمنفعة نحو ﴿والتين والزيتون﴾.

### اقسم الله بثلاثة بذاته وفعله ومفعوله :

وقال غيره: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء: بذاته كآيات السابقة، وبفعله نحو ﴿والسما وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها﴾ وبمفعوله نحو ﴿والنجم إذ هوى﴾ و﴿الطور وكتاب مسطور﴾.

### أنواع القسم:

والقسم إما ظاهر كآيات السابقة، وإما مضمّر وهو قسمان دلت عليه اللام نحو ﴿لتبلون في أموالكم﴾ وقسم دل عليه المعنى نحو ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وتقديره: والله.

### ألفاظ القسم:

وقال أبو علي الفارسي: الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان. أحدهما: ما تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم فلا تجاب بجوابه كقوله ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ ﴿ورفعنا فوقكم الطور خذوا﴾ ﴿فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسماً وأن يكون حالاً لخلوة من الجواب.

والثاني: ما يتلقى بجواب القسم كقوله ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا

الكتاب لتبينه للناس ﴿﴾ وأقسموا بالله جهداً أيماهم لئن أمرتهم ليخرجن ﴿﴾ .

### القسم المحذوف بالفعل:

وقال غيره: أكثر الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله ﴿﴾ وأقسموا بالله ﴿﴾ ﴿﴾ يملفون بالله ﴿﴾ ولا تجذب الباء مع حذف الفعل، ومن ثم كان خطأ من جعل قسماً بالله ﴿﴾ إن الشركَ لظلم ﴿﴾ ﴿﴾ بما عهدَ عندك بحق ﴿﴾ ﴿﴾ إن كنت قُلْتُهُ فقد علمته ﴿﴾ .

### المقسم به:

وقال ابن القيم: اعلم أن الله سبحانه وتعالى يقسم بأمر على أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته.

فالقسم إما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله: ﴿﴾ فو ربِّ السماء والأرضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿﴾ وإما على جملة طلبية كقوله: ﴿﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلُنَّهِمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق القسم، فالمقسم عليه يراد بالمقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه، وذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها.

وما أقسم عليه الربّ فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس، وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ويحذفه أخرى كما يحذف جواب لو كثيراً للعلم به.

والقسم لما كان يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى

بالباء ، ثم عوض من الباء الواو في الأسماء الظاهرة والتاء في اسم الله تعالى كقوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ .

### يفصل المقسم به :

قال : ثم هو سبحانه وتعالى يقسم على أصول الإيمان التي تجب على الخلق معرفتها ، وتلوة يقسم على التوحيد ، وتارة يقسم على أن القرآن حق ، وتارة على أن الرسول حق ، وتارة على الجزاء والوعد والوعيد ، وتارة يقسم على حال الإنسان .

فالأول كقوله : ﴿ وَالصَّافَاتِ صَفًّا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ .

والثاني كقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ .

والثالث : كقوله : ﴿ يَس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ والنجم إذا هوى ما ضلَّ صَاحِبِكُمْ وما غَوَى الآيات .

والرابع : كقوله : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ والمرسلات ﴿ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ .

والخامس : كقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ سَعَيْكُمْ لَسَتِّي ﴾ الآيات : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ والعصر ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ الخ . ﴿ وَالتِّينِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ الآيات : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ .

### حذف جواب المقسم :

قال : وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم

عليه ، فإن المقصود يحصل بذكره فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كقوله : ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ فإن في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد وما يحتاجون إليه والشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه ، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون ، ولهذا قال كثيرون : إن تقدير الجواب : إن القرآن لحق .

وهذا يطرد في كل ما شابه ذلك كقوله : ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ وقوله : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فإنه يتضمن إثبات المعاد . وقوله : ﴿وَالْفَجْرِ﴾ والآيات ، فإنها أزمان تتضمن أفعالاً معظمة من المناسك وشعائر الحج التي هي عبودية محضة لله تعالى وذلاً وخضوع لعظمته ، وفي ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

قال : ومن لطائف القسم قوله : ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ الآيات ، أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له ، وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة ، فهو قسم على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته ، وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودّع محمداً ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه .

## النوع الثامن والستون: في جدل القرآن

### الجدل في القرآن ورد على عادات العرب:

أفردته بالتصنيف نجم الدين الطوفي. قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية وإلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين.

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليهم ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أنبائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء.

وقال ابن أبي الأصعب: زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن وهو مشحون به، وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام.

ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله: ﴿وَإِنْ



الله يَبْعَثُ من في القُبُورِ ﴿١﴾ خمس نتائج تُستنتج من عشر مقدمات ، قوله : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها ، وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عن نبوت قدرته منقول إلينا بالتواتر فهو حق ، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق **تعالى هو الحق** . وأخبر تعالى أنه يحيي الموتى لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما **أخبر** ، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأحوال التي يقبلها الله من أجلهم ، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء ، ومن الأشياء إحياء الموتى فهو يحيي الموتى . وأخبر أنه على كل شيء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير ، فهو على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها ، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ من بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ، ومن خلق الإنسان على ما خبر به فأوجده بالخلق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث ، وأوجد الأرض بعد الهدم فأحيها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحيها بالخصب ، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب ، حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره في الإتيان بالساعة ، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور ، لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة فهي آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور .

### الاستدلال على المعاد الجسماني :

وقال غيره : استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني بضروب . أحدها : قياس الإعادة على الابتداء كما قال تعالى : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ ﴿ كما بدأنا

أول خلق نعيده ﴿أفعمينا بالخلق الأول﴾ .

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى، قال تعالى:  
﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَلَايَةٍ﴾ .

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

وقد روى الحاكم وغيره أن أبي بن خلف جاء بعظم ففتته فقال: أيحيي الله هذا بعد ما بلي ورم؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاستدل سبحانه وتعالى برّد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلّة الحدوث. ثم زاد في الحجاج بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ وهذه في غاية البيان في ردّ الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراس عليهما.

خامسها: في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿لَا يبعث الله من يموت بلى﴾ الآيتين.

وتقريرها أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والحق في نفسه واحد، فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف، إذ كان الاختلاف مركزاً في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الحيلة ونقلها إلى صورة غيرها، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد، وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير إليها فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد، فقد صار الخلاف الوجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون، كذا قرره ابن السيد.

## الاستدلال على أن صانع العالم واحد :

ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التامع المشار إليها في قوله : ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لَفَسَدَتَا ﴾ لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام، ولكان العجز يلحقها أو أحدهما، وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف. وأما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً.

## الأنواع المصطلح عليها في الجدل ( السبر والتقسيم ) :

(فصل) من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل : السبر، والتقسيم . ومن أمثله في القرآن قوله تعالى : ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ﴾ الآيتين، فإن الكفار لما حرّموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ردّ تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال ﴿ إن الخلق لله تعالى خلق من كل زوج ﴾ مما ذكر ذكراً وأنثى، فمما جاء تحريم ما ذكرتم : أي ما علته لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكور أو الأنوثة أو اشتغال الرحم الشامل لها، أو لا يدري له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحى وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله : ﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ﴾ .

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها . والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً . والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً . والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة

باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال.

### القول بالموجب:

ومنها: القول بالموجب. قال ابن أبي الأصبع: وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه.

وقال غيره: هو قسمان. أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبتها لغير ذلك الشيء كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الآية، فالأعزّ وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذلّ عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الردّ عليهم صفة العزّة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون، فكانه قيل صحيح ذلك ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، لكن هم الأذلّ المخرج والله ورسوله الأعزّ المخرج.

والثاني: حل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه، ولم أر من أورد له مثلاً من القرآن، وقد ظفرت بآية منه وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذْنٌ قُلٍّ أذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

### التسليم:

ومنها: التسليم وهو أن يفرض المحال إما منفياً أو مشروطاً بجرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً

جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذا لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلاً بعضهم على بعض﴾ المعنى: ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا ينتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه المحال.

### الاسجال:

ومنها: الإسجال، وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو: ﴿ربنا وآتينا ما وعدتنا على رسلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ فإن في ذلك إسجالاً بالإتياء والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

### الانتقال:

ومنها: الانتقال، وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان أخذاً فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول كما جاء في مناظرة الخليل الجبار لما قال له: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ فقال الجبار: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد الجبار له وجهاً يتخلص به منه فقال: ﴿إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق، لأن من هو أسنّ منه يكذبه.

## المنافضة:

ومنها: المنافضة، وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

## مجاراة الخصم

ومنها: مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ الآية، فقولهم: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مراداً بل هو من مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادّعيت من كوننا بشراً حق لاننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمين الله تعالى علينا بالرسالة.

## النوع التاسع والستون: فما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب

في القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرون هم مشاهيرهم.

[آدم] أبو البشر، ذكر قوم أنه أفعل، وصف مشتق من الأدمة ولذا منع من الصرف. قال الجواليقي: أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس قال: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

وقال قوم: هو اسم سرياني أصله آدام بوزن خاتام، وعرب بجذف الألف الثانية. وقال الثعلبي: التراب بالعبرانية آدام فسمي آدم به.

قال ابن أبي خيثمة: عاش تسعمائة وستين سنة. وقال النووي في تهذيبه: اشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة.

[نوح] قال الجواليقي: أعجمي معرب، زاد الكرمانى ومعناه بالسريانية: الشاكر. وقال الحاكم في المستدرک: إنما سمي نوحاً لكثرة بكائه على نفسه، واسمه عبد الغفار. قال: وأكثر الصحابة على أنه قبل إدريس.

وقال غيره: هو نوح بن لَمَك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن مَتَوْشَلَخ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها وفتح الشين المعجمة واللام بعدها معجمة ابن أَخْنُوخ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم

معجزة وهو إدريس فيما يقال .

وروي الطبراني عن أبي ذرّ قال : « قلت يا رسول الله من أول الأنبياء ؟ قال : آدم ، قلت : ثم من ؟ قال : نوح ، وبينهما عشرون قرناً » . وفي المستدرک عن ابن عباس قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون . وفيه عنه مرفوعاً : « بعث الله نوحاً لأربعين سنة ، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا » .

وذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاماً . وفي التهذيب للنووي أنه أطول الأنبياء عمراً .

[ إدريس ] قيل إنه قبل نوح . قال ابن إسحاق : كان إدريس أول بني آدم أعطي النبوة ، وهو أخنوخ بن يراد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم . وقال وهب بن منبه : إدريس جدّ نوح الذي يقال له خنون ، وهو اسم سرياني ، وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف .

وفي المستدرک بسند واهٍ عن الحسن عن سمرة قال : كان نبيّ الله إدريس أبيض طويلاً ضخماً البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس ، وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى ، وفي صدره نكتة بيضاء من غير برص ، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله رفعه إلى السماء السادسة ، فهو حيث يقول : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ .

وذكر ابن قتيبة أنه رفع وهو ابن ثلاثائة وخمسين سنة . وفي صحيح ابن حبان أنه كان نبياً رسولاً ، وأنه أول من خط بالقلم . وفي المستدرک عن ابن عباس قال : كان فيما بين نوح وإدريس ألف سنة .

[ إبراهيم ] قال الجواليقي : هو اسم قديم ليس بعربيّ ، وقد تكلمت به العرب



على وجوه أشهرها إبراهيم، وقالوا إبراهيم. وقرئ به في السبع وإبراهيم بحذف الياء، وإبراهيم، وهو اسم سرياني معناه أب رحيم. وقيل مشتق من البرهمة وهي شدة النظر، حكاه الكرمانى في عجائبه.

وهو ابن آزر، واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ابن ناحور بنون ومهملة مضمومة ابن شاروخ بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة ابن راغو بغين معجمة ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة ومعجمة ابن عامر بمهملة وموحدة ابن شالغ بمعجمتين ابن أرفخشذ بن سام بن نوح.

قال الواقدي: ولد إبراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم. وفي المستدرک من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة قال: اختن إبراهيم بعد عشرين ومائة سنة، ومات ابن مائتي سنة. وحكى النووي وغيره قولاً أنه عاش مائة وخمسة وسبعين سنة.

[ إسماعيل ] قال الجواليقي: ويقال بالنون آخره. قال النووي وغيره: هو أكبر ولد إبراهيم.

[ إسحاق ] ولد بعد إسماعيل بأربع عشرة سنة، وعاش مائة وثمانين سنة، وذكر أبو علي بن مشكويه في كتاب نديم الفريد أن معنى إسحاق بالعبرانية: الضحاك.

[ يعقوب ] عاش مائة وسبعاً وأربعين سنة.

[ يوسف ] في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعاً أن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وفي المستدرک عن الحسن أن يوسف أُلقي في الجبّ وهو ابن ثنتي عشرة سنة،

ولقي أباه بعد الثمانين، وتوفي وله مائة وعشرون. وفي الصحيح أنه أُعطي شطر الحسن.

قال بعضهم: وهو مرسل لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب، ويشبه هذا ما في العجائب للكرماني: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أن الجمهور على أنه يعقوب بن ماثان، وأن امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان. قال: والقول بأنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم غريب اهـ.

وما ذكر أنه غريب هو المشهور، والغريب الأول ونظيره في الغرابة قول نوف البكالي أن موسى المذكور في سورة الكهف في قصة الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل بل موسى بن ميثا بن يوسف، وقيل ابن إفرايم بن يوسف، وقد كذبه ابن عباس في ذلك.

وأشد من ذلك غرابة ما حكاه النقاش والماوردي أن يوسف المذكور في سورة غافر من الجن بعثه الله رسولاً إليهم، وما حكاه بن عسكر أن عمران المذكور في آل عمران هو والد موسى لا والد مريم. وفي يوسف ست لغات بتثليث السين مع الواو والهمزة، والصواب أنه عجمي لا اشتقاق له.

[لوط] قال ابن إسحاق: هو لوط بن هاران بن آزر. وفي المستدرک عن ابن عباس قال: لوط بن أخي إبراهيم هود. قال كعب: كان أشبه الناس بآدم. وقال ابن مسعود: كان رجلاً جليلاً أخرجها في المستدرک. وقال ابن هشام: اسمه عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وقال غيره: الراجح في نسبه أنه هود ابن عبدالله بن رباح بن حاويز بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح.

[صالح] قال وهب: هو ابن عبيد بن حابر بن ثمود بن حابر بن سام بن نوح بعث إلى قومه حين راهق اللحم وكان رجلاً أحمر إلى البياض سبط الشعر فلبث فيهم أربعين عاماً. قال نوف الشامي: صالح من العرب، لما أهلك الله عاداً عمرت ثمود بعدها، فبعث الله إليهم صالحاً غلاماً شاباً فدعاهم إلى الله حين شمت وكبر، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبيّ إلا هود وصالح. أخرجها في المستدرک.

وقال ابن حجر وغيره: القرآن يدل على أن ثموداً كان بعد عاد، كما كان عاد بعد قوم نوح. وقال الثعلبي ونقله عن النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت: هو صالح بن عبيد بن أسيد بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بعثه الله إلى قومه وهو شاب، وكانوا عرباً منازلهم بين الحجاز والشام، فأقام فيهم عشرين سنة ومات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

[شعيب] قال ابن إسحاق: هو ابن ميكايل بن يشجن بن لاوي بن يعقوب. ورأيت بخط النووي في تهذيبه بن ميكايل بن يشجن بن مدين بن إبراهيم الخليل، كان يقال له خطيب الأنبياء، وبعث رسولاً إلى أمتين: مدين، وأصحاب الأيكة، وكان كثير الصلاة وعمي في آخر عمره.

واختار جماعة أن مدين وأصحاب الأيكة أمة واحدة. قال ابن كثير: ويدل لذلك أن كلاً منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان فدل على أنها واحد، واحتج الأول بما أخرج عن السدي وعكرمة قال: ما بعث الله نبياً مرتين إلا شعيباً: مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن قوم

مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيباً. قال ابن كثير: وهو غريب، وفي رفعه نظر. قال: ومنهم من زعم أنه بعث إلى ثلاث أمم، والثالثة أصحاب الرس.

[ موسى ] هو ابن عمران بن يصهر بن فاهث ابن لاومي بن يعقوب عليهما السلام، لا خلاف في نسبه، وهو اسم سرياني. وأخرج أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: إنما سمي موسى لأنه ألقى بين شجر وماء، فالماء بالقبطية مو، والشجر سا.

وفي الصحيح وصفه بأنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة. قال الثعلبي: عاش مائة وعشرين سنة.

[ هارون ] أخوه شقيقه، وقيل لأمه فقط، وقيل لأبيه فقط، حكاها الكرماني في عجائبه، كان أطول منه فصيحاً جداً، مات قبل موسى وكان ولد قبله بسنة. وفي بعض أحاديث الإسراء: صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود تكاد لحيته تضرب سرتة من طولها، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: المحبب في قومه هارون بن عمران. وذكر ابن مكشويه: أن معنى هارون بالعبرانية: المحبب.

[ داود ] هو ابن إيشا بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ابن عويد بوزن جعفر بمهملة وموحدة ابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون ابن يخشون بن عمي بن يارب بتحتية وآخره موحدة ابن رام بن خضرون بمهملة ثم معجمة ابن فارس بفاء وآخره مهملات ابن يهوذا بن يعقوب.

وفي الترمذي أنه كان أعبد البشر. وقال كعب: كان أحمر الوجه سبط الرأس أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة، حسن الصوت والخلق، وجمع له النبوة

والمملك . قال النووي : قال أهل التاريخ : عاش مائة سنة مدة ملكه منها أربعون سنة ، وكان له اثنا عشر ابناً .

[ سليمان ] ولده . قال كعب : كان أبيض جسماً وسماً وضيئاً جليلاً خاشعاً متواضعاً ، وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه لوفور عقله وعلمه . وأخرج ابن جبير عن ابن عباس قال : ملك الارض مؤمنان : سليمان ، وذو القرنين . وكافران : نمرود وبخت نصر . قال أهل التاريخ : ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ، ومات وله ثلاث وخسون سنة .

[ أيوب ] قال ابن إسحاق : الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ، ولم يصح في نسبه شيء إلا أن اسم أبيه أبيض . وقال ابن جرير : هو أيوب بن موص بن روح ابن عيص بن إسحاق . وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط ، وأن أباه من آمن بإبراهيم ، وعلى هذا فكان قبل موسى . وقال ابن جرير : كان بعد شعيب . وقال ابن أبي خيثمة : كان بعد سليمان ، ابتلي وهو ابن سبعين وكانت مدة بلائه سبع سنين . وقيل ثلاث عشرة ، وقيل ثلاث سنين . وروى الطبراني أن مدة عمره كانت ثلاثاً وتسعين سنة .

[ ذو الكفل ] قيل هو ابن أيوب في المستدرک عن وهب : إن الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبياً ، وسماه ذو الكفل ، وأمره بالدعاء إلى توحيدهِ ، وكان مقيماً بالشام عمره حين مات خمس وسبعون سنة . وفي العجائب للكرماني : قيل هو إلياس ، وقيل هو يوشع بن نون ، وقيل هو نبي اسمه ذو الكفل ، وقيل كان رجلاً صالحاً تكفل بأمور فوفى بها ، وقيل هو زكريا في قوله : ﴿ وكفلها زكريا ﴾ انتهى .

وقال ابن عساكر : قيل هو نبي تكفل الله له في عمله بضعف عمل غيره من

الأنبياء، وقيل لم يكن نبياً، وأن إيسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل. وقيل كان يصلي كل يوم مائة ركعة. وقيل هو إيسع وأن له اسمين.

[يونس] هو ابن متى بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور، ووقع في تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه. قال ابن حجر: وهو مردود بما في حديث ابن عباس في الصحيح، ونسبه إلى أبيه قال: فهذا أصح. قال: ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه. وقد قيل إنه كان في زمن مملوك الطوائف من الفرس.

روى ابن أبي حاتم عن أبي مالك أنه لبث في بطن الحوت أربعين يوماً، وعن جعفر الصادق سبعة أيام، وعن قتادة ثلاثة. وعن الشعبي قال: التقمه ضحى ولفظه عشية.

وفي يونس ست لغات: تثليث النون مع الواو والهمزة، والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو. قال أبو حيان: وقرأ طلحة بن مصرف بكسر يونس ويوسف أراد أن يجعلها عربيين مشتقين من أنس وأسف وهو شاذ.

[إلياس] قال ابن إسحاق في المبتدأ: هو ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار ابن هارون أخي موسى بن عمران. وقال ابن عسكر: حكى القتيبي أنه من سبط يوشع. وقال وهب: إنه عمّر كما عمر الخضر، وأنه يبقى إلى آخر الزمان. وعن ابن مسعود أن إلياس هو إدريس وسيأتي قريباً. وإلياس بهمزة قطع اسم عبراني، وقد زيد في آخره ياء ونون في قوله تعالى: ﴿إلياس﴾ كما قالوا في إدريس إدراسين. ومن قرأ آل ياسين فليل المراد آل محمد:

[إيسع] قال ابن جبير: هو ابن أخطوب بن العجوز. قال: والعامّة تقرّوه بلام واحدة مخففة. وقرأ بعضهم: واليسع بلامين وبالتشديد، فعلى هذا هو

عجمي، وكذا على الأولى، وقيل عربي منقول من الفعل من وسع يسع.

[ زكريا ] كان من ذرية سليمان بن داود، وقتل بعد قتل ولده، وكان له يوم بُشِّر بولده اثنتان وتسعون سنة، وقيل تسع وتسعون، وقيل مائة وعشرون. وزكريا اسم أعجمي، وفيه خمس لغات: أشهرها المد، والثانية القصر، وقرىء بهما في السبع وزكريا بتشديد الراء وتخفيفها، وذكر كقلم.

[ يحيى ] ولده، أول من سُمِّي يحيى بنص القرآن، ولد قبل عيسى بستة أشهر، ونبيء صغيراً، وقتل ظلماً، وسلط الله على قاتليه بخت نصر وجيوشه، ويحيى اسم عجمي، وقيل عربي. قال الواحدي: وعلى القولين لا ينصرف. قال الكرمانى: وعلى الثاني إنما سمي به لأنه أحياه الله بالإيمان، وقيل لأنه حيي به رحم أمه، وقيل لأنه استشهد والشهداء أحياء، وقيل معناه يموت كالمفازة للمهلكة والسليم للديغ.

[ عيسى ] ابن مريم بنت عمران، خلقه الله بلا أب، وكانت مدة حمله ساعة، وقيل ثلاث ساعات، وقيل ستة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل تسعة أشهر ولها عشر سنين، وقيل خمس عشرة، ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة. وفي أحاديث أنه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ويولد له ويحج ويمكث في الأرض سبع سنين ويدفن عند النبي ﷺ. وفي الصحيح أنه ربعة أحرر كأنما خرج من ديماس: يعني حاماً. وعيسى اسم عبراني أو سرياني.

نبيان لها أكثر من اسم واحد:

[ فائدة ] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا عيسى ومحمد ﷺ. محمد ﷺ سمي في القرآن بأسماء كثيرة منها محمد وأحمد.

## أنبياء سماوا قبل أن يخلقوا:

[ فائدة ] أخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: خمسة سماوا قبل أن يكونوا: محمد: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ ويحيى: ﴿إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ وعيسى: ﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾ وإسحاق ويعقوب: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ قال الراغب: وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيهاً على أنه أحد منه ومن الذين قبله.

## أسماء الملائكة في القرآن:

وفيه من أسماء الملائكة جبريل وميكائيل وفيها لغات: جبريل بكسر الجيم والراء بلا همز، وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز، وجبرائيل بهمزة بعد الألف، وجبرائيل بياءين بلا همز، وجبرئيل بهمز وياء بلا ألف، وجبرئيل مشددة اللام وقرىء بها. قال ابن جني: وأصله كوريبال فغير بالتعريب وطول الاستعمال إلى ما ترى. وقرىء ميكايل بلا همز وميكتل وميكال، أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: جبريل عبد الله، وميكايل عبيد الله، وكل اسم فيه إيل فهو عبد الله. وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال: إيل: الله بالعبرانية: وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن عمير قال: اسم جبريل في الملائكة خادم الله.

[ فائدة ] قرأ أبو حيوة ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ بالتشديد، وفسره ابن مهران بأنه اسم لجبريل، حكاه الكرماني في عجائبه.

وهاوت وماروت: أخرج ابن أبي حاتم عن عليّ قال: هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء، وقد أفردت في قصتها جزءاً.

والرعد ففي الترمذي من حديث ابن عباس «أن اليهود قالوا للنبي ﷺ



أخبرنا عن الرعد ، فقال : « ملك من الملائكة موكل بالسحاب » وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : الرعد ملك يسبح . وأخرج عن مجاهد أنه سئل عن الرعد فقال : هو ملك يسمى الرعد ، ألم تر أن الله يقول : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ .

والبرق : فقد أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد . فإذا نصح بذنبه فذلك البرق .

ومالك : خازن جهنم .

والسجل : أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر قال : السجل ملك ، وكان هاروت وماروت من أعوانه . وأخرج عن ابن عمر قال : السجل ملك ، وأخرج عن السدي قال : ملك موكل بالصحف .

وقعيد : فقد ذكر مجاهد أنه اسم كاتب السيئات . أخرجه أبو نعيم في الحلية ، فهؤلاء تسعة .

وأخرج ابن أبي حاتم من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة أن ذا القرنين ملك من الملائكة ، فإن صح أكمال العشرة . وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ قال : ملك من أعظم الملائكة خلقاً فصاروا أحد عشر . ثم رأيت الراغب قال في مفرداته في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قيل إنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ، كما روي أن السكينة تنطق على لسان عمر ، وفيه من أسماء الصحابة زيد بن حارثة . والسجل في قول من قال إنه كاتب النبي ﷺ ، أخرجه أبو داود والنسائي من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس .

### أسماء المتقدمين في القرآن :

وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل . عمران أبو مريم ، وقيل وأبو

موسى أيضاً، وأخوها هارون وليس بأخي موسى كما في حديث أخرجه مسلم وسيأتي آخر الكتاب. وعزير وكان رجلاً صالحاً كما أخرج الحاکم، وقيل نبي حكاة الكرمانى في عجائبه. ولقمان وقد قيل إنه كان نبياً، والأكثر على خلافه. أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً. ويوسف الذي في سورة غافر. ويعقوب في أول سورة مريم على ما تقدم. وتقي في قوله فيها: ﴿إني أعوذُ بالرحمنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ قيل إنه اسم رجل كان من أمثل الناس: أي إن كنت في الصلاح مثل تقي، حكاة الثعلبي. وقيل اسم رجل كان يتعرض للنساء. وقيل إنه ابن عمها أتاها جبريل في صورته، حكاها الكرمانى في عجائبه.

#### أسماء المتقدّمات من النساء في القرآن:

وفيه من أسماء النساء مريم لا غير لنكتة تقدمت في نوع الكناية، ومعنى مريم بالعبرية الخادم. وقيل المرأة التي تغازل الفتیان، حكاها الكرمانى. وقيل إن بعلاً في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم امرأة كانوا يعبدونها، حكاها ابن عسکر.

#### أسماء المتقدمين من الكفار في القرآن:

وفيه من أسماء الكفار قارون، وهو ابن يصر ابن عم موسى، كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس. وجالوت وهامان وبشرى الذي ناداه الوارد المذكور في سورة يوسف بقوله ﴿يا بشرى﴾ في قول السدي أخرجه ابن أبى حاتم. وآزر أبو إبراهيم، وقيل اسمه تارح وآزر لقب. أخرج ابن أبى حاتم من طريق الضحاک عن ابن عباس قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر إنما كان اسمه تارح. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: معنى آزر: الصنم. وأخرج عن السدي قال: اسم أبيه تارح، واسم الصنم آزر. وأخرج عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم. ومنها: النسيء أخرج ابن أبى حاتم عن أبى وائل قال: كان رجل يسمى النسيء من بني كنانة، كان يجعل المحرم صنفراً يستحل به الغنائم.

## أسماء الجن في القرآن:

وفيه من أسماء الجن أبوهم إبليس، وكان اسمه أولاً عزازيل. وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان إبليس اسمه عزازيل. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: كان إبليس الحارث. قال بعضهم: هو معنى عزازيل. وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إنما سمي إبليس لأن الله أبلسه من الخير كله: آيسه منه. وقال ابن عسكر: قيل في اسمه فترة حكاه الخطابي، وكنيته أبو كردوس، وقيل أبو قتر، وقيل أبو مرة، وقيل أبو لبني، حكاه السهيلي في الروض الأنف.

## أسماء القبائل في القرآن:

وفيه من أسماء القبائل يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم. وفيه من الأقوام بالإضافة قوم نوح وقوم لوط وقوم تبع وقوم إبراهيم وأصحاب الأيكة. وقيل هم مدين وأصحاب الرس، وهم بقية من ثمود، قاله ابن عباس. وقال عكرمة: هم أصحاب ياسين. وقال قتادة: هم قوم شعيب. وقيل هم أصحاب الأخدود، واختاره ابن جرير.

## أسماء الأصنام:

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهي أصنام قوم نوح.

واللات والعزى ومنات وهي أصنام قريش. وكذا الرّجز فيمن قرأه بضم الراء ذكره الأخفش في كتاب الواحد والجمع أنه اسم صنم. والجبت والطاغوت قال ابن جرير: ذهب بعضهم إلى أنها صنمان كان المشركون يعبدونها. ثم أخرج عن عكرمة قال: الجبت والطاغوت صنمان.

والرشاد في قوله في سورة غافر: ﴿وما أهداكم إلا سبيلَ الرَّشَادِ﴾ قيل هو اسم صنم من أصنام فرعون، حكاه الكرمانى في عجائبه .  
وبعل وهو صنم قوم إلياس . وأزر على أنه اسم صنم .

روى البخاري عن ابن عباس قال: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت. وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة أنهم أولاد آدم لصلبه .

وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج . وحكاه ابن جني عنه أنه قرأ اللات بتشديد التاء وفسره بذلك، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد .

### أسماء البلاد والبقاع والأمكنة في القرآن:

وفيه من أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال: بكة اسم لمكة، فقيل الباء بدل من الميم ومأخذه من تمككت العظم: أي اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الأموات . وقيل لأنها تمكّ الذنوب: أي تذهبها . وقيل لقلّة مائها . وقيل لأنها في بطن واد يمكك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنجذب إليها السيول . . وقيل الباء أصل، ومأخذه من البكّ لأنها تبكّ أعمناق الجبابرة: أي تكسرهم فيذلون لها ويخضعون . وقيل من التباك وهو الازدحام لازدحام الناس فيها في الطواف . وقيل مكة الحرم، وبكة المسجد خاصة . وقيل مكة البلد وبكة البيت وموضع الطواف، وقيل البيت خاصة .

**والمدينة:** سميت في الأحزان بيثرب حكاية عن المنافقين، وكان اسمها في الجاهلية، ف قيل لأنه اسم أرض في ناحيتها. وقيل سميت بيثرب بن وائل من بني إرم بن سام بن نوح لأنه أول من نزلها، وقد صح النهي عن تسميتها به لأنه ﷺ كان يكره الاسم الخبيث وهو يشعر بالثرب وهو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ.

**وبدر:** وهي قرية قرب المدينة أخرج ابن جرير عن الشعبي قال: كانت بدر لرجل من جهينة يسمى بدرأ فسميت به. قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله ابن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه وقالوا: فلأي شيء سميت الصفراء وربغ؟ هذا ليس بشيء، إنما هو اسم الموضع. وأخرج عن الضحاك قال: بدر ما بين مكة والمدينة.

**وأحد:** قرية شاذ: ﴿إذ تصدعون ولا تلون عن أحد﴾.

**وحنين:** وهي قرية قرب الطائف. وجمع: وهي مزدلفة. والمشعر الحرام: وهو جبل بها. ونقع: قيل هو اسم لما بين عرفات إلى مزدلفة، حكاة الكرمانى. **ومصر، وبابل:** وهي بلد بسواد العراق. **والأيكة وليكة** بفتح اللام بلد قوم شعيب، والثاني اسم البلدة والأول اسم الكورة.

**والحجر:** منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى. **والأحقاف:** وهي جبال الرمل بين عمان وحضرموت. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها جبل بالشام.

**وطور سيناء:** وهو الجبل الذي نودي منه موسى. **والجودي:** وهو جبل بالجزيرة. **وطوى:** اسم الوادي كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس. وأخرج من وجه آخر عنه أنه سمي طوى لأن موسى طواه ليلاً. وأخرج عن الحسن قال:

هو واد بفلسطين قيل له طوى، لأنه قدس مرتين. وأخرج عن بشر بن عبيد قال: هو واد بأيلة طوي بالبركة مرتين.

**والكهف:** وهو البيت المنقور في الجبل. **والرقيم:** أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: زعم كعب أن الرقيم القرية التي خرجوا منها. وعن عطية قال: **الرقيم** واد. وعن سعيد بن جبير مثله. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: **الرقيم** واد بين عقبان وأيلة دون فلسطين. وعن قتادة قال: **الرقيم** اسم الوادي الذي فيه الكهف. وعن أنس بن مالك قال: **الرقيم** الكلب.

**والعرم:** أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال: **العرم** اسم الوادي. **وحرّاد:** قال السدي: بلغنا أن اسم القرية حرد، أخرجه ابن أبي حاتم. **والصريم:** أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها أرض باليمن تسمى بذلك. **وق:** وهو جبل محيط بالأرض. **والجزر:** قيل هو اسم أرض. **والطاغية:** قيل اسم البقرة التي أهلكت بها ثمود، حكاها الكرماني.

### أسماء الأماكن الأخروية:

وفيه من أسماء الأماكن الأخروية: **الفردوس**، وهو أعلى مكان في الجنة، **وهليون:** قيل أعلى مكان في الجنة، وقيل اسم لما دوّن فيه أعمال صلحاء الثقلين. **والكوثر:** نهر في الجنة كما في الأحاديث المتواترة. **وسلسيل وتسيم:** عينان في الجنة. **وسجين:** اسم لمكان أرواح الكفار. **وصعود:** جبل في جهنم كما أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعاً. **وغمي وآثام وموبق والسعر وويل وسائل وسحق:** أودية في جهنم. أخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك في قوله ﴿وجعلنا بينهم موبقاً﴾ قال: واد في جهنم من قيح: وأخرج عن عكرمة في قوله ﴿موبقاً﴾ قال: هو نهر في النار. وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود في قوله ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال: واد في جهنم.

وأخرج الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال: ويل واد في جهنم من قيح. المنذر عن ابن مسعود قال: ويل واد في جهنم من قيح. وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال: في النار أربعة أودية يعذب الله بها أهلها: غليظ، وموبق، وأثام، وغي. وأخرج عن سعيد بن جبير قال: السعير واد من قيح في جهنم. وسحق: واد في جهنم.

وأخرج عن أبي زيد في قوله ﴿سأل سائل﴾ هو واد من أودية جهنم يقال له سائل. والفلق: جب في جهنم في حديث مرفوع أخرجه ابن جرير. ويحموم: دخان أسود أخرجه الحاكم عن ابن عباس.

### المنسوب إلى الأماكن:

وفيه من المنسوب إلى الأماكن: الأمي، قيل إنه نسبة إلى أم القرى. وعبقري: قيل إنه منسوب إلى عبقر، موضع للجن ينسب إليه كل نادر. والسامري: قيل منسوب إلى أرض يقال لها سامرون، وقيل سامرة. والعربي: قيل منسوب إلى عربة، وهي باحة دار إسماعيل عليه السلام أنشد فيها: وعربة أرض ما يحل حرامها من الناس إلا اللوذعي الحلالح يعني النبي ﷺ.

### أسماء الكواكب:

وفيه من أسماء الكواكب: الشمس، والقمر، والطارق، والشعري.

### أسماء الطير:

[فائدة] قال بعضهم: سمى الله في القرآن عشرة أجناس من الطير: السلوى،

والبعوض، والذباب، والنحل، والعنكبوت، والجراد، والمهدهد، والغراب،  
وأبابيل، والنمل فإنه من الطير لقوله في سليمان ﴿عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ وقد فهم  
كلامها. وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي: قال: النملة التي فقه سليمان كلامها  
كانت ذات جناحين.

### الكنى في القرآن:

(فصل) أما الكنى فليس في القرآن منها غير أبي لهب، واسمه عبد العزى،  
ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعاً. وقيل للإشارة إلى أنه جنهمي.

### الألقاب في القرآن:

وأما الألقاب فمنها إسرائيل لقب يعقوب، ومعناه عبدالله، وقيل صفوة  
الله، وقيل سريّ الله لأنه أسرى لما هاجر، وأخرج ابن جرير من طريق عمير  
عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك عبدالله. وأخرج عبد بن حميد في تفسيره  
عن أبي مجلز قال: كان يعقوب رجلاً بطيشاً، فلقي ملكاً فعالجه فصرعه الملك  
فضرب على فخذه، فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال: ما أنا بتاركك  
حتى تسميني اسماً، فسماه إسرائيل قال أبو مجلز: ألا ترى أنه من أسماء الملائكة.  
وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام. وقرئ إسرائيل بلا همزة.

قال بعضهم: ولم تخاطب اليهود في القرآن إلا بيا بني إسرائيل دون يا بني  
يعقوب لنكتة، وهي أنهم خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم  
وتنبيهاً من غفلتهم، فسموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى، فإن إسرائيل اسم  
مضاف إلى الله في التأويل، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال يعقوب.  
وكان أولى من إسرائيل لأنها موهبة بمعقب آخر فناسب ذكر اسم يشعر  
بالتعقيب.



ومنها: المسيح لقب عيسى، ومعناه قيل الصديق، وقيل الذي ليس لرجله  
أخص، وقيل الذي لا يمسح ذا عاهة إلا برىء. وقيل الجميل، وقيل الذي يمسح  
الأرض: أي يقطعها، وقيل غير ذلك.

ومنها: إلياس، قيل إنه لقب إدريس. أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن عن  
ابن مسعود قال: إلياس هو إدريس وإسرائيل هو يعقوب، وفي قراءته (وإن  
إدراست لمن المرسلين) (سلام على إدراستين) وفي قراءة أبي (وإن إيليس) (سلام  
على إيليس).

ومنها: ذو الكفل، قيل إنه لقب إلياس، وقيل لقب إيسع: وقيل لقب  
يوشع، وقيل لقب زكريا.

ومنها: نوح اسمه عبد الغفار، ولقبه نوح لكثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه  
كما أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي.

ومنها: ذو القرنين، واسمه اسكندر، وقيل عبدالله بن الضحاك بن سعد،  
وقيل المنذر بن ماء السماء، وقيل الصعب بن قرين بن المهال، حكاهما ابن عسكرو.

ولُقِّبَ ذا القرنين لأنه بلغ قرني الأرض: المشرق والمغرب، وقيل لأنه ملك  
فارس والروم، وقيل كان على رأسه قرنان، أي ذؤابتان: وقيل كان له قرنان  
من ذهب. وقيل كانت صفحتا رأسه من نحاس. وقيل كان على رأسه قرنان  
صغيران تواربهما العمامة. وقيل إنه ضرب على قرنيه فمات ثم بعثه الله، فضربوه  
على قرنيه الآخر.

وقيل لأنه كان كريم الطرفين. وقيل لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس  
وهو حي.

وقيل لأنه أعطي علم الظاهر وعلم الباطن. وقيل لأنه دخل النور والظلمة.

ومنها: فرعون، واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس، وقيل أبو الوليد، وقيل أبو مرة. وقيل إن فرعون لقب لكل من ملك مصر. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان فرعون فارسياً من أهل إصطخر.

ومنها: تُبَّع، قيل كان اسمه أسعد بن ملكي كرب، وسمي تُبَّعاً لكثرة من تبعه. وقيل إنه لقب ملوك اليمن سمي كل واحد منها تبعاً: أي يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره.

## النوع السبعون: في المبهات

أفرده بالتأليف السهيلي ثم ابن عساكر ثم القاضي بدر الدين ابن جماعة، ولي فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صغر حجمه جداً، وكان من السلف من يعتني به كثيراً. قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة.

### أسباب الإبهام:

وللإبهام في القرآن أسباب. أحدها: الاستغناء ببيانه في موضع آخر كقوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فإنه مبين في قوله ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾.

الثاني: أن يتعين لاشتهاره كقوله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ولم يقل حواء لأنه ليس له غيرها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ والمراد نمروذ لشهرة ذلك لأنه المرسل إليه. قيل وقد ذكر الله فرعون في القرآن باسمه ولم يسم نمروذ لأن فرعون كان أذكى منه كما يؤخذ من أجوبته لموسى ونمروذ كان بليداً ولهذا قال ﴿أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ﴾ وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر وذلك غاية البلادة.

الثالث: قصد الستر عليه ليكون أبلغ من استعطافه نحو ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية، هو الأخنس بن شريق، وقد أسلم بعد وحسن إسلامه.

الرابع: أن لا يكون في تعيينه كبير فائدة نحو ﴿أو كالذي مرَّ على قرية﴾  
﴿واسألهم عن القرية﴾

الخامس: التنبيه على العموم وأنه غير خاص، بخلاف ما لو عين نحو ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾.

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو ﴿ولا يأتل أولوا الفضل﴾  
﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ والمراد الصديق في الكل.

السابع: تحقيره بالوصف الناقص نحو ﴿إن شانئك هو الأبر﴾.

### بعض المبهات لا يبحث فيها:

[تنبيه] قال الزركشي في البرهان: لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستثارته بعلمه كقوله ﴿وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ قال: والعجب ممن تجرأ وقال إنهم قريظة أو من الجن. قلت: ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم، وإنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن وهو نظير قوله في المنافقين ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ فإن المنفي علم أعيانهم ثم القول في أولئك أنهم قريظة، أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد، والقول بأنهم من الجن: أخرجه ابن أبي حاتم من حديث عبدالله بن غريب عن أبيه مرفوعاً عن النبي ﷺ فلا جراءة.

### علم المبهات مرجعه النقل:

(فصل) اعلم أن علم المبهات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه، ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير تذكر فيها أسماء المبهات والخلاف فيها

دون بيان مستند يرجع إليه أو عزو يعتمد عليه، ألفت الكتاب الذي ألفته المذكوراً فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم معزواً إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم، مبيناً فيه ما صح سنده وما ضعف، فجاء لذلك كتاباً حافلاً لا نظير له في نوعه. وقد رتبته على ترتيب القرآن. وأنا أخلص هنا مهاته بأوجز عبارة تاركاً العزو والتخريج غالباً اختصاراً أو إحالة على الكتاب المذكور. وأرتبه على قسمين :

### القسم الأول، في مبهمات الرجال والنساء وغيرها :

الأول: فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جني أو منى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو « من » أو « الذي » إذا لم يرد به العموم قوله تعالى : ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفَةً﴾ هو آدم وزوجته حواء بالمد لأنها خلقت من حيي ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ اسمه عاميل ﴿وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ هو النبي ﷺ ﴿ووصى بها إبراهيمُ بنيه﴾ هم إسماعيل وإسحاق ومان وزمران وسرح ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورح ولوطان وناقش.

الأسباط : أولاد يعقوب اثنا عشر رجلاً : يوسف وروبير وشمعون ولاوي ويهوذا وداني وتفتاني بقاء ومثناة وكاد ويأشير وايشاجر ورايلون وبنيامين .

﴿ومن الناس من يُعجبك قوله﴾ هو الأخنس بن شريق ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ هو صهيب ﴿إذ قالوا لني لهم﴾ هو شمویل، وقيل شمعون، وقيل يوشع منهم من كلم الله. قال مجاهد : موسى .

﴿ورفع بعضهم درجات﴾ قال محمد : الذي حاج إبراهيم في ربه نمروذ بن كنعان .

﴿أو كالذي مرّ على قرية﴾ عزيز، وقيل أرمياء، وقيل حزقيل .

﴿امرأة عمران﴾ حنة بنت فاقود .

﴿وامراتي عاقر﴾ وهي أشيع أو أشيع بنت فاووذ .

﴿منادياً ينادي للإيمان﴾ هو محمد ﷺ .

الطاغوت: قال ابن عباس: هو كعب بن الأشرف أخرجه أحمد .

﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ هو عبدالله بن أبي .

﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ هو عامر بن الأضبط الأشجعي، وقيل مرداس، والقائل ذلك نفر من المسلمين منهم أبو قتادة ومحم بن جثامة، وقيل إن الذي باشر القول محم، وقيل إنه الذي باشر قتله أيضاً، وقيل قتله المقداد بن الأسود، وقيل أسامة بن زيد .

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت﴾ هو ضمرة ابن جندب، وقيل ابن العيص ورجل من خزاعة، وقيل أبو ضمرة بن العيص، وقيل اسمه سبرة، وقيل هو خالد بن حزام وهو غريب جداً .

﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ هم شموع بن زكور من سبط روبيل، وشوقط بن حورى من سبط شمعون، وكالب بن يوقنا من سبط يهوذا، وبعورك ابن يوسف من سبط ايشاجره، ويوشع بن نون من سبط إفرايم بن يوسف، وبلطي بن روفو من سبط بنيامين، وكرابيل بن سوري من سبط زبالون، ولد بن سوساس من سبط منشا بن يوسف، وعماييل بن كسل من سبط دان، وستور بن منحائيل من سبط أشير، ويوحنا بن وقوسي من سبط نفتال، وال بن موخا من سبط كاذ .

﴿لو قال رجلان﴾ هما يوشع وكالب .

﴿نبأ ابني آدم﴾ هما قابيل وهابيل وهو المقتول .

﴿الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها﴾ بلعم، ويقال: بلعام بن أبر، ويقال باعر، ويقال باعور، وقيل هو أمية بن أبي الصلت، وقيل صيفي بن الراهب، وقيل فرعون وهو أغربها.

﴿وإني جار لكم﴾ عني سراقه بن جعشم.

﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ قال قتادة: هم أبو سفيان وأبو جهل وأمие بن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة.

﴿إذ يقول لصاحبه﴾ هو أبو بكر.

﴿وفيكم سمعون لهم﴾ قال مجاهد: هم عبدالله بن أبي بن سلول ورفاعة بن الثابت وأوس بن قيطي.

﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ هو الجد بن قيس.

﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ هو ذو الخويصرة.

﴿إن يعف عن طائفة منكم﴾ هو مخشى بن حمير.

﴿ومنهم من عاهد الله﴾ هو ثعلبة بن حاطب.

﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ قال ابن عباس: هم سبعة: أبو لبابة وأصحابه. وقال قتادة: سبعة من الأنصار: أبو لبابة وجد بن قيس وحرام وأوس وكردم ومرداس.

﴿وآخرون مرجون﴾ هم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك، وهم الثلاثة الذين خلفوا.

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ قال ابن اسحاق: اثنا عشر من الأنصار: حزام بن خالد وثعلبة بن حاطب وهزال بن أمية ومعتب بن قشير وأبو حبيبة

ابن الأزعر أو عباد بن حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث  
وبحرج وبجاد بن عيمان ووديعه بن ثابت .

﴿ لمن حارب الله ورسوله ﴾ هو أبو عامر الراهب .

﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ وهو محمد ﷺ .

﴿ ويتلوه شاهد منه ﴾ هو جبريل ، وقيل القرآن ، وقيل أبو بكر ، وقيل علي .

﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ اسمه كنعان ، وقيل يام .

﴿ وامراته قائمة ﴾ اسمها سارة .

﴿ بنات لوط ﴾ ريثا ورغوتا .

﴿ ليوسف وأخوه ﴾ بنيامين شقيقه .

﴿ قال قائل منهم ﴾ هو روبيل ، وقيل يهوذا ، وقيل شمعون .

﴿ فأرسلوا واردهم ﴾ هو مالك ابن دعر .

﴿ وقال الذي اشتراه ﴾ هو قطفير أو أطفير .

﴿ لامراته ﴾ هي راعيل ، وقيل زليخا .

﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ هما محلث وبنوء وهو الساقى ، وقيل راشان  
ومرطيش ، وقيل بسرهم وسرهم .

﴿ الذي ظن أنه ناج ﴾ هو الساقى .

﴿ عند ربك ﴾ هو الملك ريان بن الوليد .

﴿ بأخ لكم ﴾ هو بنيامين وهو المتكرر في السورة ﴿ فقد سرق أخ له ﴾ عنوا

يوسف .



﴿ قال كبيرهم ﴾ هو شمعون ، وقيل روبيل .

﴿ آوى إليه أبويه ﴾ هما أبوه وخالته ليا ، وقيل امه واسمها راحيل .

﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ هو عبدالله بن سلام وقيل جبريل ﴿ أسكنت من ذريتي ﴾ هو إسماعيل ﴿ ولوالدي ﴾ اسم أبيه تارح ، وقيل آزر ، وقيل يازر ، واسم أمه ثاني ، وقيل نوبا ، وقيل ليوثا .

﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال سعيد بن جبير : هم خمسة : الوليد بن المغيرة العاصي بن وائل وأبو زمعة والحارث بن قيس والأسود بن عبد يغوث .

﴿ رجلين ﴾ أحدهما أبكم هو أسيد بن أبي العيص .

﴿ ومن يأمر بالعدل ﴾ عثمان بن عفان .

﴿ كالتى نقضت غزلها ﴾ ريطة بنت سعيد بن زيد مناة بن تيم .

﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ عنوا عبد بن الحضرمي واسمه مقيس ، وقيل عبد بن له يسار وجبر ، وقيل عنوا قيناً بمكة اسمه بلعام ، وقيل سلمان الفارسي .

﴿ أصحاب الكهف ﴾ تملیخا وهو رئيسهم ، والقائل ﴿ فأووا إلى الكهف ﴾ والقائل ﴿ ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ وتكسلينا وهو القائل .

﴿ كم لبثتم ﴾ ومرطوش ویرافش وأیونس وأویسطانس وشلططيوس .

﴿ فابعثوا أحدم بورقكم ﴾ هو تملیكا .

﴿ من أغفلنا قلبه ﴾ هو عینة بن حصن .

﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ هما تملیخا وهو الخیر ، وفطرس وهما المذكوران

في سورة الصافات .

- ﴿ قال موسى لفتاه ﴾ هو يوشع ابن نون، وقيل أخوه يثري .
- ﴿ فوجدا عبداً ﴾ هو الخضر واسمه بليا .
- ﴿ لقياً غلاماً ﴾ اسمه جيسون بالجيم وقيل بالحاء .
- ﴿ وراءهم ملك ﴾ هو هدد بن بدد .
- ﴿ وأما الغلام فكان أبواه ﴾ اسم الأب كازيرا والأم سهوا .
- ﴿ لغلامين يتيمين ﴾ هما أصرم وصرم .
- ﴿ فناداها من تحتها ﴾ قيل عيسى، وقيل جبريل .
- ﴿ ويقول الإنسان ﴾ هو أبي بن خلف وقيل أمية بن خلف، وقيل الوليد بن المغيرة ﴿ أفرايت الذي كفر ﴾ هو العاصي بن وائل ﴿ وقتلت منهم نفساً ﴾ هو القبطي واسمه قانون .
- ﴿ السامري ﴾ اسمه موسى بن ظفر .
- ﴿ من أثر الرسول ﴾ هو جبريل .
- ﴿ ومن الناس من يجادل ﴾ هو النضر بن الحارث .
- ﴿ هذان خصمان ﴾ أخرج الشيخان عن أبي ذر قال : نزلت هذه الآية في حمر وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة .
- ﴿ ومن يرد فيه يالحاد ﴾ قال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن أنيس .
- ﴿ الذين جاءوا بالإفك ﴾ هم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحننة بنت جحش وعبد الله بن أبيّ، وهو الذي تولى كبره .
- ﴿ ويوم يعصّ الظالم ﴾ هو عقبة بن أبي معيط ﴿ لم اتخذ فلاناً ﴾ هو أمية بن خلف، وقيل أبيّ بن خلف ﴿ وكان الكافر ﴾ قال الشعبي : هو أبو جهل .

﴿ امرأة تملكهم ﴾ هي بلقيس بنت شراحيل - فلما جاء سليمان - اسم الجائي منذر - قال: عفريت من الجن - اسمه كوزن.

﴿ الذي عنده علم ﴾ هو آصف بن برخيا كاتبه، وقيل رجل يقال له ذو النور، وقيل اسطوم، وقيل تملیخا، وقيل بلخ، وقيل هو ضبة أبو القبيلة، وقيل جبريل، وقيل ملك آخر، وقيل الخضر.

﴿ تسعة رهط ﴾ هم رعمى ورعمى وهرمى وهريم وداءب وصواب ورب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة.

﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ اسم الملتقط طايوس.

﴿ امرأة فرعون ﴾ آسية بنت مزاحم.

﴿ أم موسى ﴾ يوحانذ بنت يصهر بن لاوي، وقيل يوخا، وقيل اباذخت.

﴿ وقالت لأخته ﴾ اسمها مريم، وقيل كلثوم.

﴿ هذا من شيعته ﴾ هو السامري.

﴿ هذا من عدوه ﴾ اسمه فاتون.

﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ هو مؤمن آل فرعون واسمه سمعان، وقيل شمعون، وقيل جبر، وقيل حبيب، وقيل حزقيل.

﴿ امرأتين تزدودان ﴾ هما ليا وصفوريا وهي التي نكحها وأبوها شعيب، وقيل بثرون ابن أخي شعيب.

﴿ قال لقمان لابنه ﴾ اسمه باران بالموحدة، وقيل داران، وقيل انعم، وقيل مشكم.

﴿ملك الموت﴾ اشتهر على الألسنة أن اسمه عزرائيل، ورواه أبو الشيخ ابن حبان عن وهب.

﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ نزلت في عليّ بن أبي طالب والوليد ابن عقبة.

﴿ويستأذن فريقٌ منهم النبي﴾ قال السدي: هما رجلان من بني حارثة أبو عوانة بن أوس أو أوس بن قبيطى.

﴿قل لأزواجك﴾ قال عكرمة: كان تحته يومئذ تسع نسوة: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة وزينب بنت جحش وجويرية، وبناته فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم.

﴿أهل البيت﴾ قال عليه السلام: هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

﴿للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ هو زيد بن حارثة.

﴿أسك عليك زوجك﴾ هي زينب بنت جحش.

﴿وحملها الإنسان﴾ قال ابن عباس: هو آدم.

﴿ارسلنا إليهم اثنين﴾ هما شمعون ويوحنا. الثالث: بولس، وقيل هم صادق وصدوق وشلوم.

﴿وجاء رجل﴾ هو حبيب النجار.

﴿أو لم ير الإنسان﴾ هو العاصي بن وائل: وقيل أيّ بن خلف، وقيل أمية ابن خلف.

﴿فبشرناه بغلام﴾ هو إسماعيل أو إسحاق قولان شهيران.

﴿نبأ الخصم﴾ هما ملكان قيل إنها جبريل وميكائيل .  
﴿جسداً﴾ هو شيطان يقال له أسيد ، وقيل صخر ، وقيل حقيق .  
﴿مسي الشيطان﴾ قال نوف : الشيطان الذي مسه يقال له مسعط .  
﴿والذي جاء بالصدق﴾ محمد ، وقيل جبريل وصدق به محمد ﷺ ، وقيل أبو بكر .

﴿للذين أضلانا﴾ إبليس وقابيل .  
﴿رجل من القريتين﴾ عنوا الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمر الثقفي ، وقيل عروة بن مسعود من الطائف .  
﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ الضارب له عبدالله بن الزبيرى .  
﴿طعام الأثيم﴾ قال ابن جبير : هو أبو جهل .  
﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ هو عبدالله بن سلام .  
﴿أولوا العزم من الرسل﴾ أصح الأقوال أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ .

﴿ينادي المنادي﴾ هو إسرائيل .  
﴿ضيف إبراهيم المكرمين﴾ قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة : جبريل ومكائيل وإسرافيل ورفاييل .  
﴿وبشروه بغلام﴾ قال الكرمانى : أجمع المفسرون على أنه إسحاق ، إلا مجاهداً فإنه قال : هو إسماعيل .  
﴿شديد القوى﴾ جبريل .

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ هو العاصي بن وائل وقيل الوليد بن المغيرة.

﴿يَدْعُ الدَّاعِيَ﴾ هو إسرافيل.

﴿قَوْلِ الَّتِي تَجَادَلُكَ﴾ هي خولة بنت ثعلبة.

﴿فِي زَوْجِهَا﴾ هو أوس بن الصامت.

﴿لَمْ تَحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ هي سريته مارية.

﴿أَسْرَ النَّبِيِّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حفصة.

﴿نَبَاتٌ بِهِ﴾ أخبرت عائشة.

﴿أَنْ تَتَوْبَا﴾ ﴿وَأَنْ تَظَاهِرَا﴾ هما عائشة وحفصة.

﴿وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هما أبو بكر وعمر، أخرجه الطبراني في الأوسط.

﴿امْرَأَةَ نُوحٍ﴾ والعة.

﴿وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ والهة، وقيل واعلة.

﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ﴾ نزلت في الأسود بن عبد يغوث، وقيل الأخنس

ابن شريق، وقيل الوليد بن المغيرة.

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ هو النضر بن الحارث.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ اسم أبيه ملك بن متوشلغ، واسم أمه سمحا بنت

أنوش.

﴿سَفِينَا﴾ هو إبليس.

﴿دَرَزِينِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هو الوليد بن المغيرة.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ الآيات، نزلت في أبي جهل.

﴿هَلَى أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ هو آدم.

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ قيل هو إبليس.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ هو عبد الله بن أم مكتوم.

﴿أما من استغنى﴾ هو أمية بن خلف، وقيل هو عتبة بن ربيعة.

﴿لقول رسول كريم﴾ قيل جبريل، وقيل محمد ﷺ.

﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه﴾ الآيات نزلت في أمية بن خلف.

﴿ووالد﴾ هو آدم.

﴿فقال لهم رسول الله﴾ هو صالح.

﴿الأشقى﴾ هو أمية بن خلف.

﴿الأتقى﴾ هو أبو بكر الصديق.

﴿الذي ينهي عبداً﴾ هو أبو جهل، والعبد هو النبي ﷺ.

﴿إن شئت﴾ هو العاصي بن وائل، وقيل أبو جهل، وقيل عقبة بن أبي

معيط، وقيل أبو لهب، وقيل كعب بن الأشرف. امرأة أبي لهب: أم جميل

العوراء بنت حرب بن أمية.

### القسم الثاني، في مبهمات الجموع الذين عرف أسماء بعضهم:

﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله﴾ سمي منهم رافع بن حرملة.

﴿سيقول السفهاء﴾ سمي منهم رفاع بن قيس وقردوم بن عمرو وكعب بن

الأشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق.

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا﴾ الآية، سمي منهم رافع ومالك بن عوف.

﴿يسألونك عن الأهلة﴾ سمي منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم.

﴿ويستلونك ماذا يُنفقون﴾ سمي منهم عمرو بن الجموح.

﴿يسألونك عن الخمر﴾ سمي منهم عمرو ومعاذ وحزمة.

﴿ويستلونك عن اليتامى﴾ سمي منهم عبدالله بن رواحة.

﴿ويستلونك عن المحيض﴾ سمي منهم ثابت بن الدحداح وعباد بن بشر وأسيد بن الحضير مصغراً.

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ سمي منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد.

﴿الحواريون﴾ سمي منهم فطرس ويعقوبس ونهمس واندرانيس وفيلس ودرنابوطا وسرجس وهو الذي ألقى عليه شبهه.

﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا﴾ هم اثنا عشر من اليهود. سمي منهم عبدالله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عمرو.

﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ قال عكرمة: نزلت في اثني عشر رجلاً: منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامح ووحوح بن الأسلت. زاد بن عسكر: وطيعيمة بن أبيرق.

﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ سمي من القائلين عبدالله بن أبي.

﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا﴾ سمي من القائلين عبدالله بن أبي ومعتب بن قشير.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا﴾ القائل ذلك عبدالله والد جابر بن عبدالله



الأنصاري ، والمقول لهم عبدالله بن أبي وأصحابه .

﴿الذين استجابوا لله﴾ هم سبعون منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح .

﴿الذين قال لهم النَّاسُ﴾ سُمي من القائلين نعيم بن مسعود الأشجعي .

﴿الذين قالوا إنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ﴾ قال ذلك فنحاص ، وقيل حيي بن أخطب ، وقيل كعب بن الأشرف .

﴿وإنَّ من أهلِ الكِتَابِ لِمَن يُؤْمِنُ بالله﴾ نزلت في النجاشي ، وقيل في عبدالله بن سلام وأصحابه .

﴿وَبِئْسَ مِنْهَا رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ قال ابن إسحاق: أولاد آدم لصلبه أربعون في عشرين بطناً ، كل بطن ذكر وأنثى ، وسمى من بنيه قابيل وهابيل وإياد وشبوة وهند وصرانيس وفخور وسند وبارق وشيث وعبد المغيث وعبد الحارث وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، ومن بناته إقلميا وأشوف وجزوزة وعزورا وأمة المغيث .

﴿ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ قال عكرمة: نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت وكردم بن زيد وأسامة بن حبيب ورافع بن أبي رافع وبحري بن عمرو وحيي بن أخطب .

﴿ألم ترَ إلى الذين يَزْعَمُونَ أَنهم آمنوا﴾ نزلت في الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ فِي هَلَالِ بْنِ عَوِيمِرِ الْأَسْلَمِيِّ وَسَرَّاقَةَ بْنِ مَالِكِ الْمَدَلْجِيِّ فِي بَنِي خَزِيمَةَ ابْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ .

﴿ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ : نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودِ الْأَشْجَعِيِّ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ سَمِيَ عِكْرَمَةَ مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أُمِيَّةِ ابْنِ خَلْفٍ وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ وَأَبَا قَيْسِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَأَبَا الْعَاصِيِ ابْنَ مِنْبِهِ ابْنَ الْحِجَّاجِ وَأَبَا قَيْسِ بْنِ الْفَاكِهِ .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأُمُّهُ أُمُّ الْفَضْلِ لِبَانَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ وَسَلْمَةُ بْنُ هِشَامٍ .

﴿ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ بَنِي أَبِي رِقِّ بَشْرٍ وَبَشِيرٍ وَمُبَشَّرٍ .

﴿ لَهْمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يَضْلُوكَ ﴾ هُمُ أُسَيْدُ بْنُ عُرْوَةَ وَأَصْحَابُهُ .

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ سَمِيَ مِنَ الْمُسْتَفْتَيْنِ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ ابْنُ عَسْكَرٍ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَفَنْحَاصًا .

﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلُوبَ اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ الْحَطْمُ بْنُ هِنْدِ الْبَكْرِيِّ .

﴿يسألونك ماذا أحلّ لهم﴾ سمي منهم عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وعاصي بن عدي وسعد بن خثمة وعويمر بن ساعدة.

﴿إذ هم قوم أن يبسطوا﴾ سمي منهم كعب بن الأشرف وحبي بن أخطب.  
﴿ولتجدنّ أقربهم مودة﴾ الآيات، نزلت في الوفد الذين جاءوا من عند النجاشي وهم اثنا عشر، وقيل ثلاثون، وقيل سبعون، وسمي منهم إدريس وإبراهيم والأشرف وتميم وتمام ودريد.

﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ سمي منهم زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث بن كلدة وأبي بن خلف والعاصي بن وائل.

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ سمي منهم صهيب وبلال وعمار وخباب وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وسلمان الفارسي.

﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ سمي منهم فنحاص ومالك بن الصيف.

﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله﴾ سمي منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة.

﴿يسألونك عن الساعة﴾ سمي منهم حسل بن أبي قشير وشمويل بن زيد.

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ سمي منهم سعد بن أبي وقاص.

﴿وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ سمي منهم أبو أيوب الأنصاري، ومن الذين لم يكرهوا المقداد.

﴿إن تستفتحوا﴾ سمي منهم أبو جهل.

﴿وإذ يمكركم بك الذين كفروا﴾ هم أهل دار الندوة سمي منهم عتبة وشيبة

ابنا ربيعة وأبو سفيان وأبو جهل وجبير بن مطعم وطعيمة بن عدي والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأمّية بن خلف.

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا الآية، سمي منهم أبو جهل والنضر بن الحارث.﴾

﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض عرّ هؤلاء دينهم﴾ سمي منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة والعاصي ابن منبه.

﴿قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ كانوا سبعين منهم العباس وعقيل ونوفل ابن الحارث وسهل بن بيضاء.

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ سمي منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف.

﴿الذين يلمزون المطوعين﴾ سمي منهم من المطوعين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي.

﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ أبو عقيل ورفاعة بن سعد.

﴿ولا على الذين إذا ما أتوك﴾ سمي منهم العرباض بن سارية وعبدالله بن مغفل المزني وعمرو المزني وعبدالله بن الأزرق الأنصاري وأبو ليلى الأنصاري.

﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ سمي منهم عويم بن ساعدة.

﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ نزلت في جماعة منهم عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة.

﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾ هم طالوت وأصحابه.

﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ قال ابن عباس: نزلت في رجال من قريش منهم أبو جهل وأمية بن خلف.

﴿وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تفجر لنا﴾ سمي ابن عباس من قائل ذلك عبدالله بن أبي أمية.

﴿وذريته﴾ سمي من أولاد إبليس شبر والأعور وزلنبور ومسوط وداسم.

﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾ سمي منهم الحارث بن عامر بن نوفل.

﴿أحسب الناس أن يُترَكوا﴾ منهم المؤذون على الإسلام بمكة منهم عمار بن ياسر.

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ سمي منهم الوليد بن المغيرة.

﴿ومن الناس من يشترى لَهوَ الحَدِيثِ﴾ سمي منهم النضر بن الحارث.

﴿فمنهم من قضى نَحْبَهُ﴾ سمي منهم أنس بن النضر.

﴿قالوا الحق﴾ أول من يقول جبريل فيتبعونه.

﴿وانطلق الملائ﴾ سمي منه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن يغوث.

﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً﴾ سمي من القائلين أبو جهل ومن الرجال عمار وبلال.

﴿نفراً من الجن﴾ سمي منهم زوبعة وحسي ومسي وشاصر وماصر ومنشيء وناشيء والأحقب وعمرو بن جابر وسرق ووردان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ  
وَالزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَعَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَنْتَمِ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَفِيلٍ مِنَ  
الْمُنَافِقِينَ.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ نَزَلَتْ فِي قَتِيلَةَ أُمِّ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي  
بَكْرٍ.

﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ أُمُّ كَلْثُومُ بِنْتُ عَقِيْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ  
وَأُمِيْمَةُ بِنْتُ بَشْرٍ.

﴿يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا﴾ ﴿يَقُولُونَ لَيْسَ رَجَعْنَا﴾ سَمِيَ مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي.  
﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ الْآيَةُ، سَمِيَ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِسْرَافِيلُ وَلِبْنَانُ  
وَرُوقِيْلُ.

﴿أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ ذُو نَوَاشٍ وَزُرْعَةُ بْنُ أَسَدِ الْحَمِيْرِيِّ وَأَصْحَابِهِ.  
﴿أَصْحَابُ الْفِيلِ﴾ هُمُ الْحَبْشَةُ قَائِدُهُمْ أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ وَدَلِيْلُهُمْ أَبُو رِغَالٍ.  
﴿عَلَّ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيْرَةِ وَالْعَاصِيِ بْنِ وَائِلٍ  
وَالْأَمْوُدِ بْنِ الْمَطْلَبِ وَأُمِيْمَةَ بْنِ خَلْفٍ.

﴿النَّفَاثَاتُ﴾ بَنَاتُ لَبِيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ.  
(وَأَمَّا مَبْهَاتُ الْأَقْوَامِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْأَمْكَنَةِ وَالْأَزْمَنَةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ) فَقَدْ  
اسْتَوْفَيْتَ الْكَلَامَ عَلَيْهَا فِي تَأْلِيْفِنَا الْمَشَارِ إِلَيْهِ.

## النوع الحادي والسبعون: في أسماء من نزل فيهم القرآن

رأيت فيهم تأليفاً مفرداً لبعض القدماء لكنه غير محرّر، وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن الحسين بن زيد الطحان، أنبأنا إسحاق بن منصور، أنبأنا قيس عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله قال: قال عليّ: ما في قریش أحد إلا وقد نزلت في آية، قيل له: فما نزل فيك، قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

ومن أمثله ما أخرجه أحمد والبخاري في الأدب عن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت في أربع آيات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وآية تحريم الخمر، وآية الميراث.

وأخرج ابن أبي حاتم عن رفاعة القرظي قال: نزلت ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ في عشرة أنا أحدهم. وأخرج الطبراني عن أبي جمعة جنيد بن سبغ وقيل جيب بن سباع قال: فينا نزلت ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين.

## النوع الثاني والسبعون: في فضائل القرآن

أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون، وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة وفي بعض السور على التعيين، ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة، ولذلك صنفت كتاباً سميته [حائل الزهر في فضائل السور] حررت فيه ما ليس بموضوع، وأنا أورد في هذا النوع فصلين.

### الفصل الأول: فيما ورد في فضله عن الجملة :

#### فضل القرآن:

أخرج الترمذي والدارمي وغيرهما من طريق الحارث الأعور عن علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.»



## القرآن احب إلى الله :

وأخرج الدارمي من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً « القرآن أحبّ إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن ». وأخرج أحمد والترمذي من حديث شداد ابن أوس، « ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكلّ الله به ملكاً يحفظه ، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهبّ متى هبّ » .

وأخرج الحاكم وغيره من حديث عبدالله بن عمرو : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من يجد ولا يجهل مع من يجهل وفي جوفه كلام الله » .

## بيت قارئ القرآن :

وأخرج البزار من حديث أنس أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره . وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر « ثلاثة لا يهولهم الفرع الأكبر ولا ينالهم الحساب ، هم على كتيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأمّ به قوماً وهم راضون » الحديث .

وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة « القرآن غنى لا فقر بعده ، ولا غنى دونه » .

## لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار :

وأخرج أحمد وغيره من حديث عقبة بن عامر « لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار » . وقال أبو عبيد : أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن .

وقال غيره: معناه أن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شرّ من الخنزير. وقال ابن الأنباري: معناه أن النار لا تبطله ولا تقله من الأسباع التي وعته والأفهام التي حصلت، كقوله في الحديث الآخر « وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء » أي لا يبطله ولا يقله من أوعيته الطيبة ومواضعه، لأنه وإن غسله الماء في الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب. وعند الطبراني من حديث عصمة بن مالك « لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقته النار » وعنده من حديث سهل بن سعد « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار ».

### ثواب من قرأ القرآن:

وأخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس « من قرأ القرآن يقوم به آناه الليل والنهار يجلّ حلاله ويحرم حرامه حرّم الله لحمه ودمه على النار، وجعله مع السفارة الكرام البررة، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له ».

وأخرج أبو عبيدة عن أنس مرفوعاً « القرآن شافع مشفع، وماجد مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ».

وأخرج الطبراني من حديث أنس « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ». وأخرج النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ».

وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أوجب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم، قال: ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات سمان ».

### خير الحديث كتاب الله:

وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله « خير الحديث كتاب الله ».

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس « من قرأ القرآن في سبيل الله كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

### من قرأ القرآن وعمل به :

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة « ما من رجل يعلم ولده القرآن إلا تَوَجَّ يوم القيامة بتاج في الجنة » . وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس « من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والده تاجاً يوم القيامة، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كان فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا » .

وأخرج الترمذي وابن ماجة وأحمد من حديث عليّ « من قرأ القرآن فاستظهره فأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » .

### من تعلم القرآن :

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة « من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه » .

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة « الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث جابر « من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة، إن شاء عجلها في الدنيا، وإن شاء أذخرها له في الآخرة » .

### مثل قارئ القرآن :

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي موسى « مثل المؤمن الذي يقرأ

القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظللة طعمها مرّ ولا ريح لها» .

### أفضل المسلمين:

وأخرج الشيخان من حديث عثمان « خيركم » وفي لفظ « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » زاد البيهقي في الأسماء « وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه » .

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » .

وأخرج ابن ماجة من حديث أبي ذر « لأن تغدو فتتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أت تصلي مائة ركعة » . وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس « من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب » .

### القرآن صلة بين المسلم وربه:

وأخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي شريح الخزاعي « إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً » .

### حملة القرآن يوم القيامة:

وأخرج الديلمي من حديث عليّ « حملة القرآن في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلا

ظله». وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا ربّ حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده يا رب ارض عنه فيرضى عنه، ويقال له اقرأ وارق، ويزاد له بكل آية حسنة».

وأخرج من حديث عبدالله بن عمر «الصيام والقرآن يشفعان للعبد». وأخرج من حديث أبي ذرّ «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعني القرآن.

### الفصل الثاني: فيما ورد في فضل سور بعينها :

ما ورد في الفاتحة: أخرج الترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي بن كعب مرفوعاً «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أمّ القرآن وهي السبع المثاني». وأخرج أحمد وغيره من حديث عبدالله بن جابر «أخيرة سورة في القرآن: الحمد لله ربّ العالمين». وللبیهقي في الشعب والحاكم من حديث أنس «أفضل القرآن: الحمد لله رب العالمين».

وللبخاري من حديث أبي سعيد ابن المعلی «أعظم سورة في القرآن: الحمد لله رب العالمين». وأخرج عبدالله في مسنده من حديث ابن عباس «فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن».

(ما ورد في البقرة وآل عمران) أخرج أبو عبيد من حديث أنس «أن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه» وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن مغفل.

وأخرج مسلم والترمذي من حديث النواس بن سمعان «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، وضرب لها رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: كأنها غمامتان أو غيابتان أو

ظلتان سوداوان بينهما شرف، أو كأنها فرقان من طير صوافّ يحاجان عن صاحبها» .

وأخرج أحمد من حديث بريدة: « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنها الزهراوان، تظلان صاحبها يوم القيامة كأنها غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف» .

وأخرج ابن حبان وغيره من حديث سهل بن سعد « إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام، ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخلها الشيطان ثلاث ليال» .

وأخرج البيهقي في الشعب من طريق الصلصال « من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة» . وأخرج أبو عبيد عن عمر بن الخطاب موقوفاً « من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كتب من القانتين» . وأخرج البيهقي من مرسل مكحول « من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل» .

### فصل: ما ورد في آية الكرسي:

أخرج مسلم من حديث أبي بن كعب « أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي» . وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة « إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي» .

وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن الحسن مرسلًا « أفضل القرآن سورة البقرة، وأعظم آية فيها آية الكرسي» .

وأخرج ابن حبان والنسائي من حديث أبي أمامة « من قرأ آية الكرسي دبر

كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». وأخرج أحمد من حديث أنس «آية الكرسي ربع القرآن».

(ما ورد في خواتيم البقرة) أخرجه الأئمة الستة من حديث أبي مسعود «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». وأخرج الحاكم من حديث النعمان بن بشير «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال».

(ما ورد في آخر آل عمران) أخرج البيهقي من حديث عثمان بن عفان «من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة».

(ما ورد في الأنعام) أخرج الدارمي وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفاً «الأنعام من نواجب القرآن».

(ما ورد في السبع الطوال) أخرج أحمد والحاكم من حديث عائشة «من أخذ السبع الطوال فهو حبر».

(ما ورد في هود) أخرج الطبراني في الأوسط بسند واهٍ من حديث علي «لا يحفظ منافق سوراً: براءة وهود ويس والدخان وعم يتساءلون».

(ما ورد في آخر الإسراء) أخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس: «آية العزّ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾ إلى آخر السورة».

(ما ورد في الكهف) أخرج الحاكم من حديث أبي سعيد «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين».

وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء «من حفظ عشر آيات من أول سورة -

الكهف عصم من فتنة الدجال» .

وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض والسماء» .

وأخرج البزار من حديث عمرو « من قرأ في ليلة ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ الآية، كان له نور من عدن إلى مكة حشوه الملائكة» .

( ما ورد في ألم السجدة) أخرج أبو عبيد من مرسل المسيب بن رافع « تحيي ألم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها تقول: لا سبيل عليك، لا سبيل عليك» وأخرج عن ابن عمر موقوفاً قال: « في تنزيل السجدة وتبارك الملك فضل ستين درجة على غيرها من سور القرآن» .

( ما ورد في يس) أخرج أبو داود والنسائي وابن حبان وغيرهم من حديث معقل بن يسار « يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرأوها على موتاكم» .

وأخرج الترمذي والدارمي من حديث أنس « إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها القرآن عشر مرات» .

وأخرج الدارمي والطبراني من حديث أبي هريرة « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له» وأخرج الطبراني من حديث أنس « من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيداً» .

( ما ورد في الحواميم). أخرج أبو عبيد عن ابن عباس موقوفاً « إن لكل شيء لباباً، ولباب القرآن الحواميم، وأخرج الحاكم عن ابن مسعود موقوفاً « الحواميم ديباج القرآن» .



(ما ورد في الدخان) أخرج الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » .

(ما ورد في الفصل) أخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفاً « إن لكل شيء لباباً، وإن لباب القرآن الفصل » .

(الرحمن) أخرج البيهقي من حديث علي مرفوعاً « لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن » .

(المسبحات) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن عرباض بن سارية « أن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد ويقول: فيهن آية خير من ألف آية » قال ابن كثير في تفسيره الآية المشار إليها قوله: ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ .

وأخرج ابن السني عن أنس « أن النبي ﷺ أوصى رجلاً إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال: إن مت مت شهيداً » .

وأخرج الترمذي من حديث معقل بن يسار « من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » .

وأخرج البيهقي من حديث أبي أمامة « من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة » .

(تبارك) أخرج الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة « من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك » .

وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس « هي المانعة هي المنجية تنجي من عذاب القبر » .

وأخرج الحاكم من حديثه « وددت أنها في قلب كل مؤمن : تبارك الذي بيده الملك » .

وأخرج النسائي من حديث ابن مسعود « من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر » .

(الأعلى) أخرج أبو عبيد عن أبي تميم قال : قال رسول الله ﷺ « إني نسيت أفضل المسبحات ، فقال أبي بن كعب فلعلها : سبح اسم ربك الأعلى ؟ قال : نعم » .

(القيامة) أخرج أبو نعيم في الصحابة من حديث إسماعيل بن أبي حكيم المزني الصحابي مرفوعاً « إن الله ليسمع قراءة ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ فيقول : أبشر عبدي فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى » .

(الزلزلة) أخرج الترمذي من حديث أنس « من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » .

(العاديات) أخرج أبو عبيد من مرسل الحسن « إذا زلزلت تعدل بنصف القرآن ، والعاديات تعدل بنصف القرآن » .

(أهلام) أخرج الحاكم من حديث ابن عمر مرفوعاً « لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم ، قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية ؟ قال : أما يستطيع أحدكم أن يقرأ أهلام التكاثر » .

(الكافرون) أخرج الترمذي من حديث أنس « قل يا أيها الكافرون ربع القرآن » وأخرج أبو عبيد من حديث ابن عباس « قل يا أيها الكافرون تعدل بربع القرآن » .

وأخرج أحمد والحاكم من حديث نوفل بن معاوية « اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك » .

وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عباس « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراف بالله؟ تقرأون ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ عند منامكم » .

(النصر) أخرج الترمذي من حديث أنس « إذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن » .

(الإخلاص) أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وفي الباب عن جماعة من الصحابة .

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن الشخير « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة .

وأخرج الترمذي من حديث أنس « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتي مرة مُحي عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عليه دين، ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب: يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة » .

وأخرج الطبراني من حديث ابن الديلمي « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار » .

وأخرج في الأوسط من حديث أبي هريرة « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بُني له قصر في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بُني له قصران، ومن قرأها ثلاثين مرة بُني له ثلاث » .

وأخرج في الصغير من حديثه « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى ». «

(المعوذتان) أخرج أحمد من حديث عقبة « أن النبي ﷺ قال له: ألا أعلمك سوراً ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها؟ قلت: بلى، قال: هل هو الله أحد، وقل أعوذ بربّ الفلق، وقل أعوذ بربّ الناس ». «

وأخرج أيضاً من حديث ابن عامر « أن النبي ﷺ قال له: ألا أخبرك بأفضل ما تتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى، قال: قل أعوذ بربّ الفلق، وقل أعوذ بربّ الناس ». «

وأخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ « اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمشي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء ». «

وأخرج ابن السني من حديث عائشة « من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ بربّ الفلق وقل أعوذ بربّ الناس سبع مرات أعاده الله من سوء إلى الجمعة الأخرى » وبقيت أحاديث من هذا الفصل آخرتها إلى نوع الخواص .

### بعض الأحاديث في فضائل القرآن موضوعة:

(فصل) أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة فإنه موضوع، كما أخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة الجامع: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند

أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبه .

وروى ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدي قال : قلت لميسرة ابن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث ؟ من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغبُ الناس فيها . وروينا عن المؤمل بن إسماعيل قال : حدثني شيخ بحديث أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة فقال : حدثني رجل بالمدائن وهو حيّ فصرت إليه فقلت له : من حدثك ؟ قال : حدثني شيخ بواسطة وهو حيّ ، فصرت إليه فقلت له : من حدثك ؟ قال : حدثني شيخ بالبصرة ، فصرت إليه فقلت له : من حدثك ؟ فقال : حدثني شيخ بعبادان ، فصرت إليه فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً فإذا فيه من المتصوفة وبينهم شيخ فقال : هذا الشيخ حدثني ، فقلت : يا شيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثني أحد ، ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن . قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم .

## النوع الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفضائله

لا فضل لشيء من القرآن على شيء آخر:

اختلف الناس: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟ فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن حبان إلى المنع، لأن الجميع كلام الله، ولثلاث يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وروى هذا القول عن مالك.

قال يحيى بن يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ، ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها.

وقال ابن حبان في حديث أبي بن كعب « ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن » إن الله لا يعطي لقارىء التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطي لقارىء أم القرآن، إذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاهما من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه. قال: وقوله أعظم سورة أراد به في الأجر، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض.

وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث، منهم إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي والغزالي. وقال القرطبي: إنه الحق، ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين.

## قيل القرآن تتفاوت سورته وآياته:

وقال الغزالي في جواهر القرآن: لعلك أن تقول قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يتفاوت بعضها بعضاً وكيف يكون بعضها أشرف من بعض؟ فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الإخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة ﷺ، فهو الذي أنزل عليه القرآن. وقال يس قلب القرآن، وفتحة الكتاب أفضل سور القرآن، وآية الكرسي سيدة آي القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن. والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى اهـ.

## نصوص تدل على التفضيل:

وقال ابن الحصار: العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب.

وقال الخويبي: كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين. وهل يجوز أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض الكلام؟ جوزة قوم لقصور نظرهم، وينبغي أن تعلم أن معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا؟ أن هذا في موضعه له حسن ولطف، وذاك في موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه. فإن من قال: إن قل هو الله أحد أبلغ من تبت يدا أبي لهب يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب وبين التوحيد والدعاء على الكافر، وذلك غير صحيح، بل ينبغي أن يقال تبت يدا أبي لهب دعاء عليه بالخسران، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه؟ وكذلك في قل هو الله أحد لا توجد

عبارة تدل على الوجدانية أبلغ منها، فالعالم إذا نظر إلى تبت يدا أبي لهب في باب الدعاء بالخسران ونظر إلى قل هو الله أحد في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول أحدهما أبلغ من الآخر اهـ.

### من أدلة التفضيل عظم الأجر على تلاوة بعض السور:

وقال غيره: اختلف القائلون فقال بعضهم: الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انتقالات النفس وخشيتها وتدبرها وتكفرها عند ورود أوصاف العلي. وقيل بل يرجع لذات اللفظ، وأن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وإلهم إله واحد﴾ الآية وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في تبت يدا أبي لهب وما كان مثلها، فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها.

### التفضيل يرجع إلى أشياء :

وقال الحلبي ونقله عنه البيهقي: معنى التفضيل يرجع إلى أشياء .

أحدها: أن يكون العمل بأية أولى من العمل بأخرى وأعود على الناس، وعلى هذا يقال: آية الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من آيات القصص، لأنها إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والإنذار والتبشير، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور، وقد يستغنون عن القصص فكان ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجري مجرى الأصول خيراً لهم مما يجعل تبعاً لما لا بد منه .

والثاني: أن يقال: الآيات التي تشتمل على تعدد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل، بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجل قدراً .

الثالث: أن يقال: سورة خير من سورة أو آية خير من آية، بمعنى أن القارىء يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل، ويتأذى منه بتلاوتها عبادة



كقراءة آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين، فإن قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى والاعتصام بالله ويتأدى بتلاوتها عبادة الله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى فضل ذلك الذكر وبركته. فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم وإنما يقع بها علم. ثم لو قيل في الجملة إن القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها، أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث وتلك الكتب لم تكن حجة ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها، وكان ذلك أيضاً نظير ما مضى.

وقد يقال: إن سورة أفضل من سورة لأن الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها، وإن كان المعنى الذي لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا، كما يقال إن يوماً أفضل من يوم وشهراً أفضل من شهر، بمعنى العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره والذنب فيه أعظم من غيره، وكما يقال إن الحرم أفضل من الحل لأنه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيرها اهـ كلام الحلبي.

### معنى الأفضلية:

وقال ابن التين في حديث البخاري « لأعلمنك سورة هي أعظم السور » معناه أن ثوابها أعظم من غيرها ..

وقال غيره: إنما كانت أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سميت أم القرآن. وقال الحسن البصري: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير

جميع الكتب المنزلة. أخرجه البيهقي، وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري باشتغالها على الثناء على الله تعالى بما هو أهله، وعلى التعبد والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور.

### أسباب تفضيل الفاتحة:

وقال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى. فقوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يدل على الإلهيات، وقوله ﴿مالك يوم الدين﴾ يدل على المعاد، وقوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يدل على نفي الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات. فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذا السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن.

### من أسباب تفضيل الفاتحة أيضاً:

وقال البيضاوي: هي مشتملة على الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء. وقال الطيبي: هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين.

أحدها: علم الأصول ومعاقدة معرفة الله تعالى وصفاته، وإليها الإشارة بقوله ﴿الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم﴾ ومعرفة النبوة وهي المراد بقوله ﴿أنعمت عليهم﴾ ومعرفة المعاد وهو المسمى إليه بقوله ﴿مالك يوم الدين﴾.

وثانيها: علم الفروع، وأسه العبادات وهو المراد بقوله ﴿إياك نعبد﴾.

وثالثها: علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية والالتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله ﴿وإياك نستعين﴾ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ .  
 ورابعها: علم القصص والإخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

### من أسباب أفضلية الفاتحة أيضاً:

وقال الغزالي: مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة ممتدة. الأولى: تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة كما أشير إليه بـ ﴿مالك يوم الدين﴾ والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أشير إليه بقوله ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ وحكاية أقوال الجاحدين، وقد أشير إليها بالمغضوب عليهم ولا الضالين، وتعريف منازل الطريق كما أشير إليه بقوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ اهـ. ولا ينافي هذا وصفها في الحديث الآخر بكونها ثلثي القرآن، لأن بعضهم وجهه بأن دلالات القرآن العظيم إما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمن أو بالالتزام دون المطابقة، وهذه السورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالتضمن والالتزام دون المطابقة، والاثنان من الثلاثة ثلثان، ذكره الزركشي في شرح التنبيه.

### ومن الأسباب أيضاً:

وناصر الدين بن الميلى قال: وأيضاً الحقوق ثلاثة: حق الله على عباده، وحق العباد على الله، وحق بعض العباد على بعض، وقد اشتملت الفاتحة صريحاً على

الحقن الأولين فناسب كونها بصريهما ثلثين. وحديث « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » شاهد لذلك .

### مقارنة بين الفاتحة والبقرة:

قلت : ولا تنافي أيضاً بين كون الفاتحة أعظم السور وبين الحديث الآخر أن البقرة أعظم السور، لأن المراد به ما عدا الفاتحة من السور التي فصلت فيها الأحكام وضربت الأمثال وأقيمت الحجج، إذ لم تشمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن .

قال ابن العربي في أحكامه : سمعت بعض أشياخي يقول فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام ابن عمر ثمانين سنين على تعليمها، أخرجه مالك في الموطأ .

### مقارنة بين آية الكرسي وسورة الإخلاص وسواها:

قال ابن العربي أيضاً، وإنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته، وهي في آي القرآن كسورة الإخلاص في سوره، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين. أحدهما: أنها سورة وهذه آية والسورة أعظم لأنه وقع التحدي بها في أفضل من الآية التي لم يتحد بها. والثاني: أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفاً وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفاً، فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين حرفاً ثم يعبر عنه بخمسة عشر، وذلك بيان لعظيم القدرة والانفراد بالوحدانية .

وقال ابن المنير: اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله تعالى، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في

بعضها ومستكنا في بعض، وهي الله هو الحي القيوم، ضمير لا تأخذه وله وعنده وياذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤوده، ضمير حفظها المستر الذي هو فاعل المصدر وهو العليّ العظيم. وإن عدت الضائر المتحملة في الحيّ القيوم العليّ العظيم، والضمير المقدر قبل الحيّ على أحد الأعراب صارت اثنين وعشرين.

وقال الغزالي: إنما كانت آية الكرسي سيدة الآيات لأنها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك، ومعرفة ذلك هي المقصود الأقصى في العلوم وما عداه تابع له، والسيد اسم للمتبوع المقدم.

فقوله ﴿الله﴾ إشارة إلى الذات. ﴿لا إله إلا هو﴾ إشارة إلى توحيد الذات ﴿الحيّ القيوم﴾ إشارة إلى صفة الذات وجلاله، فإن معنى القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره وذلك غاية الجلال والعظمة ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ تنزيهه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ إشارة إلى الأفعال كلها وأن جميعها منه وإليه ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر، وإن من يملك الشفاعة إنما يملكها بتشريفه إياه والإذن فيها، وهذا نفي الشركة عنه في الحكم والأمر ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ إلى قوله ﴿شاء﴾ إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره إلا ما أعطاه ووهبه على قدر مشيئته وإرادته ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته ﴿ولا يؤوده حفظها﴾ إشارة إلى صفة القدرة وكماها وتنزيها عن الضعف والنقصان ﴿وهو العليّ العظيم﴾ إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات. فإذا تأملت هذه المعاني ثم تأملت هذه المعاني ثم تلوت جميع آي القرآن لم تجد جللتها مجموعة في آية واحدة، فإن ﴿شهد الله﴾ ليس فيها إلا التوحيد، وسورة الإخلاص ليس

فيها إلا التوحيد والتقديس، و﴿قل اللهم مالك الملك﴾ ليس فيها إلا الأفعال، والفاحة فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة، والثلاثة مجموعة مشروحة في آية الكرسي، والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر وأول الحديد ولكنها آيات لا آية واحدة، فإذا قابلت آية الكرسي بإحدى تلك الآيات وجدتها أجمع للمقاصد فلذلك استحقت السيادة على الآي، كيف وفيها الحي القيوم وهو الاسم الأعظم كما ورد به الخبر اهـ كلام الغزالي.

### مقارنة بين الفاتحة وآية الكرسي:

ثم قال: إنما قال ﷺ في الفاتحة أفضل، وفي آية الكرسي سيدة لسر، وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى أفضل، فإن الفضل هو الزيادة والأفضل هو الأزيد. وأما السؤدد فهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستبعا وإياى التبعية.

والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت أفضل، وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المقصودة المتبوعة التي تتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها أليق.

### سورة يس قلب القرآن:

ثم قال في حديث «قلب القرآن يس» إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه فجعلت قلب القرآن لذلك، واستحسنه الإمام فخر الدين.

وقال النسفي: يمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، وهو القدر الذي يتعلق بالقلب والجنان. وأما الذي باللسان والأركان ففي غير هذه السورة، فلما كان فيها أعمال القلب

لا غير سماها قلباً، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه ويشدّد تصديقه بالأصول الثلاثة اهـ.

### سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن:

واختلف الناس في معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، فقيل كأنه ﷺ سمع شخصاً يكرّرها تكرر من يقرأ ثلث القرآن فخرج الجواب على هذا، وفيه بعد عن ظاهر الحديث وسائر طرق الحديث ترده. وقيل لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وسورة الإخلاص كلها صفات فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار.

وقال الغزالي في الجواهر: معارف القرآن المهمة ثلاثة: معرفة التوحيد، والصراط المستقيم، والآخرة، وهي مشتملة على الأول فكانت ثلثاً.

وقال أيضاً فيما نقله عنه الرازي: القرآن يشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحديته وصفاته: إما صفات الحقيقة، وإما صفات الفعل، وإما صفات الحكم، فهذه أمور ثلاثة، وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة فهي ثلث.

وقال الخويبي: المطالب التي في القرآن معظمها الأصول الثلاثة التي بها يصح الإسلام ويحصل الإيمان، وهي معرفة الله، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى، فإن من عرف أن الله واحد وأن النبي صادق وأن الدين واقع صار مؤمناً حقاً، ومن أنكر شيئاً منها كفر قطعاً، وهذه السورة تفيد الأصل الأول فهي ثلث القرآن من هذا الوجه.

وقال غيره: القرآن قسمان: خبر، وإنشاء. والخبر قسمان، وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث. وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي بهذا الاعتبار ثلث.

وقيل تعدل في الثواب وهو الذي يشهد له ظاهر الحديث والأحاديث الواردة في سورة الزلزلة والنصر والكافرون، لكن ضعف ابن عقيل ذلك وقال: لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن لقوله «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنة».

وقال ابن عبد البر: السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور، قلت لأحمد بن حنبل قوله صلى الله عليه وسلم «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» ما وجهه؟ فلم يقم لي فيها على أمر.

وقال لي إسحاق بن راهويه: معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضاً فضلاً في الثواب لمن قرأه تحريضاً على تعليمه، لا أن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة. وقال ابن عبد البر: فهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة.

### سورة الزلزلة نصف القرآن وفي رواية ربع القرآن:

وقال ابن الملق في حديث: إن الزلزلة نصف القرآن، لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالاً، وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وتحديث الأخبار.

وأما تسميتها في الحديث الآخر ربعاً فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذي «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله



إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» فاقضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دعا إليه القرآن.

### ألهام تعدل الف آية:

وقال أيضاً في سرّ كون ألهام تعدل ألف آية: إن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وكسر، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن، فإنها فيما ذكره الغزالي ستة: ثلاث مهمة، وثلاث متممة وتقدمت، وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس.

### سورة الكافرون ربع القرآن:

وقال أيضاً في سرّ كون سورة الكافرون ربعاً وسورة الإخلاص ثلثاً مع أن كلاً منهما يسمى الإخلاص: إن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله على ما لم تشتمل عليه الكافرون، وأيضاً فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه ونفي إلهية ما سواه، وقد صرحت الإخلاص بالإثبات والتقديس ولوحت إلى نفي عبادة غيره: والكافرون صرحت بالنفي ولوحت بالإثبات والتقديس، فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والرابع اهـ.

[تذنيب] ذكر كثيرون في أثر أن الله جمع علوم الأولين والآخرين في الكتب الأربعة، وعلومها في القرآن، وعلومه في الفاتحة، فزادوا: وعلوم الفاتحة في البسملة، وعلوم البسملة في بائها، ووجه بأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب، وهذه الباء باء الإلصاق فهي تلصق العبد بجناب الرب وذلك كمال المقصود، ذكره الإمام الرازي وابن النقيب في تفسيرهما.

## النوع الرابع والسبعون: في مفردات القرآن

### عالم في القرآن:

أخرج السلفي في المختار من الطيوريات عن الشعبي قال: لقي عمر بن الخطاب ركباً في سفر فيهم ابن مسعود، وأمر رجلاً يناديهم من أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم لعالمًا، وأمر رجلاً أن يناديهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبدالله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال: نادهم أي القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ قال: نادهم أي لقرآن أجمع؟ فقال ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ فقال: نادهم أي القرآن أحزن؟ فقال ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ فقال: نادهم أي القرآن أرجى؟ فقال ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية، فقال: أفياكم ابن مسعود؟ قالوا: نعم، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره بنحوه.

### أعدل آية وأحكم آية وأجمع آية:

وأخرج عبد الرزاق أيضاً عن ابن مسعود قال: أعدل آية في القرآن ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وأحكم آية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ إلى آخرها. وأخرج الحاكم عنه قال: إن أجمع آية في القرآن للخير والشر ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وأخرج الطبراني عنه قال: ما في القرآن آية أعظم فرحاً من

آية في سورة الغرف ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية، وما في القرآن آية أكثر تفويضاً من آية في سورة النساء القصرى ﴿ومن يتوكَّل على الله فهو حسبه﴾ الآية.

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق ابن يعمر عن ابن عمر عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أعظم آية في القرآن ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وأعدل آية في القرآن ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ إلى آخرها، وأخوف آية في القرآن ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وأرجى آية في القرآن ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ إلى آخرها .

### أرجى آية في القرآن:

وقد اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً: أحدها: آية الزمر .

والثاني ﴿أو لم تؤمن قال بلى﴾ أخرجه الحاكم في المستدرک .

وأبو عبيد عن صفوان بن سليم قال: التقى ابن عباس وابن عمر وقال ابن عباس: أي آية في كتاب الله أرجى؟ فقال عبدالله بن عمر ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية، فقال ابن عباس: لكن قول الله ﴿وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ قال فرضي منه بقوله بلى، قال: فهذا لما يعترض في الصدر مما يوسوس به الشيطان .

الثالث: ما أخرجه أبو نعيم في الحلية على علي بن أبي طالب أنه قال: إنكم يا معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾

الآية، لكننا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله ﴿ولسوف يُعطيك ربُّكَ فترضى﴾ وهي الشفاعة.

الرابع: ما أخرجه الواحدي عن علي بن الحسين قال: أشد آية على أهل النار ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد ﴿إنَّ الله لا يغفرُ أن يُشركَ به﴾ الآية. وأخرج الترمذي وحسنه عن علي قال: أحب آية إليّ في القرآن ﴿إن الله لا يغفرُ أن يُشركَ به﴾ الآية.

الخامس: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن المبارك أن أرجى آية في القرآن قوله تعالى ﴿ولا يأتلِ أولوا الفضلِ منكم والسعة﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفرَ اللهُ لكم﴾.

السادس: ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن أبي عثمان الهندي قال: ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الأمة من قوله ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾

السابع، والثامن: قال أبو جعفر النحاس في قوله: ﴿فهل يهلكُ إلا القومُ الفاسِقون﴾ إن هذه الآية عندي أرجى آية في القرآن، إلا أن ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن ﴿وإن ربُّكَ لذو مغفرةٍ للناسِ على ظلمهم﴾ وكذا حكاه عنه مكِّي ولم يقل على إحسانهم.

التاسع: روى الهروي في مناقب للشافعي عن ابن عبد الحكم قال: سألت الشافعي أي آية أرجى؟ قال: قوله ﴿يتبأ ذاً مقربةٍ أو مسكيناً ذاً متربةٍ﴾ قال: وسألته عن أرجى حديث للمؤمن قال «إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه».

العاشر: ﴿قل كلِّ يعملُ على شاكِلته﴾ ..

الحادي عشر ﴿هل يُجازى إلا الكفور﴾ .

الثاني عشر ﴿إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذَّب وتولَّى﴾ حكاة الكرماني في العجائب .

الثالث عشر ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ حكى هذه الأقوال الأربعة النووي في رؤوس المسائل، والأخير ثابت عن عليّ، ففي مسند أحمد عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ ﴿وما أصابكم من مُصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ وسأفسرها لك يا عليّ: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني العقوبة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحكم من أن يعود بعد عفوه .

الرابع عشر ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ قال الشبلي: إذا كان الله أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها .

الخامس عشر: آية الدين، ووجهه أن الله أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والحقير، فمقتضى ذلك يرجى عفوه عنهم لظهور العناية العظيمة بهم .

قلت: ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود أنه ذكر عنده بنو إسرائيل وما فضلهم الله به . فقال: كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه . وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم، والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الآية .

## قال ابن عباس آيات ثمانٍ حوت الرجاء كله:

وما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن ابن عباس قال: ثمانٍ آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت: أولهن ﴿يريدُ اللهُ لِيبينَ لكم ويهديكم سُننَ الذينَ من قبلكم ويتوبَ عليكم﴾. والثانية ﴿والله يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذينَ يتبعونَ الشهواتِ﴾. والثالثة: ﴿يريدُ اللهُ أن يخففَ عنكم﴾ الآية. والرابعة ﴿إن تجتنبوا كبائرَ ما تنهونَ عنه﴾ الآية. والخامسة ﴿إن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرةٍ﴾ الآية. والسادسة ﴿ومن يعملُ سوءاً أو يظلمَ نفسه ثم يستغفرِ اللهُ﴾ الآية. والسابعة ﴿إن الله لا يَغفرُ أن يُشركَ به﴾ الآية. والثامنة ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بينَ أحدٍ منهم﴾ الآية.

وما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سئل ابن عباس أي آية أرجى في كتاب الله؟ قال: قوله ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله.

### أشد آية:

أشد آية: أخرج ابن راهويه في مسنده، أنبأنا أبو عمرو العقدي، أنبأنا عبد الجليل بن عطية عن محمد بن المنتشر قال رجل لعمر بن الخطاب: إني لأعرف أشد آية في كتاب الله تعالى، فأهوى عمر فضربه بالدرّة وقال: مالك نقبت عنها حتى علمتها، ما هي؟ قال: ﴿من يعملُ سوءاً يُجْزَ به﴾ فما منا أحد يعملُ سوءاً إلا جزى به، فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص ﴿ومن يعملُ سوءاً أو يظلمَ نفسه ثم يستغفرِ اللهُ يجدُ اللهُ غُفُوراً رَحِيماً﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في

كتاب الله تعالى على أهل النار، فقال: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾. وفي صحيح البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد عليّ من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوَارَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

### أشد آية توبيخاً:

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: ما في القرآن أشدّ توبيخاً من هذه الآية: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتَ﴾ الآية. وأخرج ابن المبارك في كتاب الزهد عن الضحاک بن مزاحم قرأ قول الله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتَ﴾ قال والله ما في القرآن آية أخوف عندي منها.

### أشد آية على النبي:

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: ما أنزلت على النبي ﷺ آية كانت أشدّ عليه من قوله: ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الآية.

### أخوف آية:

وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين: لم يكن شيء عندهم أخوف من هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وعن أبي حنيفة: أخوف آية في القرآن: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقال غيره: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ ولهذا قال بعضهم: لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أتم.

### أشد آية على أهل الأهواء:

وفي النوادر لابن أبي زيد قال مالك: أشد آية على أهل الأهواء قوله: ﴿يَوْمَ

تَبِيضٌ وَجُوهٌ وَتَسْوَدٌ وَجُوهٌ ﴿١﴾ . الآية ، فتأولها على أهل الأهواء انتهى .

### أشد آية على أهل الجدل :

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال : آيتان في كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه : ﴿ ما يجادلُ في آياتِ اللهِ إلا الذينَ كفروا ﴾ ﴿ وإنَّ الذينَ اختلفوا في الكتابِ لفي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ .

### سورة الحج من أعجب السور :

وقال السعدي : سورة الحج من أعاجيب القرآن ، فيها مكي ومدني وحضري وسفري وليلي ونهاري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ .

فالمكي من رأس الثلاثين إلى آخرها ، والمدني من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين ، والليلي خمس آيات من أولها ، والنهاري من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشرة ، والحضري إلى رأس العشرين . قلت : والسفري أولها .

والناسخ ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ ﴾ الآية . والمنسوخ : ﴿ اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ الآية ، نسختها آية السيف . وقوله : ﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ الآية . نسختها ﴿ سَنُقَرِّبُكَ فلا تَنسَى ﴾ .

### أشكل آية حكماً ومعنى :

وقال الكرمانى : ذكر المفسرون أن قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ الآية ، جمعت أصول أحكام الشريعة كلها : الأمر والنهي والإباحة والخبر .

### من الآيات العجيبة :

وقال الكرمانى في العجائب في قوله تعالى : ﴿ نحنُ نَقُصُّ عليكَ أحسنَ



القَصَص ﴿ قيل هو قصة يوسف، وسماها أحسن القصص لاشتغالها على ذكر حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس وإطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق.

### أعرب ما في القرآن:

وقال: ذكر أبو عبيدة عن رؤبة: ما في القرآن أعرب من قوله: ﴿ فاصدغ بما تُؤمّر ﴾.

وقال ابن خالويه في كتاب: ليس في كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية إلا حرف واحد في القرآن جمع اللغات الثلاث وهو قوله: ﴿ ما هنّ أمهاتهم ﴾ قرأ الجمهور بالنصب وقرأ بعضهم بالرفع وقرأ ابن مسعود: ﴿ ما هن بأمهاتهم ﴾ بالباء. قال: وليس في القرآن لفظ على افعول إلا في قراء ابن عباس، إلا أنهم يشنون صدورهم.

### أطول سورة وأقصرها:

وقال بعضهم: أطول سورة في القرآن البقرة وأقصرها الكوثر، وأطول آية الدين وأقصر آية فيه والضحى والفجر، وأطول كلمة فيه رسماً ﴿ فأسقيناكموه ﴾.

### آيتان جمعت حروف المعجم:

وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة ﴾ الآية ﴿ محمد رسول الله ﴾ الآية.

## حروف هجاء تواليت:

وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا في موضعين ﴿عقدة النكاح حتى﴾  
﴿لا أبرح حتى﴾ ولا كافان كذلك ﴿إلا مناسككم﴾ ﴿ما سلككم﴾ ولا  
غينان كذلك إلا ﴿ومن يتبع غير الإسلام﴾.

ولا آية فيها ثلاث وعشرون كافاً إلا آية الدين.

ولا آيتان فيها ثلاثة عشر وقفاً إلا آية المواريث.

ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا والعصر إلى آخرها.

ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها اثنان وخمسون وقفاً إلا سورة الرحمن.

ذكر أكثر ذلك ابن خالويه.

وقال أبو عبد الله الخبازي المقرئ: أول ما وردت على السلطان محمود بن  
ملكشاه سألتني عن آية أولها غين، فقلت ثلاثة: ﴿غافر الذنب﴾ وآيتان بخلف  
﴿غلبت الروم﴾ ﴿غير المغضوب عليهم﴾ ونقلت من خط شيخ الإسلام بن  
حجر في القرآن أربع شذات متوالية قوله: ﴿نسياً﴾ ﴿رب السموات﴾ ﴿في  
بحر لحي يغشاه موج﴾ ﴿قولاً من رب رحيم﴾ ﴿ولقد زينا السماء﴾.

## النوع الخامس والسبعون: في خواص القرآن

أفردته بالتأليف جماعة منهم التميمي وحجة الإسلام الغزالي، ومن المتأخرين الياضي، وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين، وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك في الحديث ثم ألتقط عيوناً مما ذكر السلف والصالحون. وأخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود «عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن».

### التداوي بالقرآن:

وأخرج أيضاً من حديث عليّ «خير الدواء القرآن». وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال: كان يقال: إذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة.

وأخرج البيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع «أن رجلاً شكاً إلى النبي ﷺ وجع حلقه، قال: عليك بقراءة القرآن».

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أشتكى صدري، قال: اقرأ القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾».

### الرقية بالفاتحة:

وأخرج البيهقي وغيره من حديث عبدالله بن جابر «في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء». وأخرج الخليلي في فوائده من حديث جابر بن عبد الله «فاتحة

الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام» والسام: الموت.

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري « فاتحة الكتاب شفاء من السم ». وأخرج البخاري من حديثه أيضاً قال: « كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحيّ سليم فهل معكم راق؟ فقام معها رجل فرقاه بأمر القرآن فبرىء، فذكر للنبي ﷺ فقال: وما كان يدرية أنها رقية ».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن السائب بن يزيد قال، عوذني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفلأ. وأخرج البزار من حديث أنس « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت ».

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة « إن البيت الذي تُقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان ».

### رقية النبي للأعرابي:

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند حسن عن أبي بن كعب قال: « كنت عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله إن لي أخاً وبه وجع، قال: ما وجعه؟ قال: به لم، قال: فائتني به، فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وآية من الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ ﴾ وآخر سورة المؤمنين: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ وآية من سورة الجن: ﴿ وَإِنَّ تَعَالَى جَدَّ رَبِّنَا ﴾ وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل

هو الله أحد والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشك قط .»

### آية الكرسي:

وأخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفاً: من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آية الكرسي وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة في قصة الصدقة « أن الجني قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: أما أنه صدقك وهو كذوب .»

وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال: قال رجل: « يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني الله به، قال: اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك .»

وأخرج الدينوري في المجالسة عن الحسن أن النبي ﷺ قال: « إن جبريل أتاني فقال: إن عفريتاً من الجن يكيذك، فإذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي .» وفي الفردوس من حديث أبي قتادة « من قرأ آية الكرسي عند الكرب أغاثه الله .»

### سورة البقرة:

وأخرج الدارمي عن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد الله قال: من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن، أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث من آخرها .

وأخرج الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعاً « آيتان هما قرآن وهما يشفيان

وهما مما يجبهها الله تعالى، الآيتان من آخر سورة البقرة.

### دعاء لمن عليه دين:

وأخرج الطبراني عن معاذ « أن النبي ﷺ قال له: ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل ثبير أذاه الله عنك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ إلى قوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطي من تشاء منها وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغني بها عن رحمة من سواك.

وأخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عباس: إذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموساً فليقرأ هذه الآية في أذنيها: ﴿أَفْقِيرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

### ما يقرأ على العليل:

وأخرج البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علي موقوفاً: سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلا شفاه الله تعالى.

### ما يقرأ على الحامل:

وأخرج ابن السني عن فاطمة « أن رسول الله ﷺ لما دنا ولادتها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرأ عندها آية الكرسي: ﴿وَإِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ الآية، ويعوذها بالمعوذتين».

### ما يقرأ المسافر في البحر:

وأخرج ابن السني أيضاً من حديث الحسين بن علي « أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا أن يقرأوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْساها إِنْ زَبِي لَغْفُورٌ رَحِيمٌ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية.

## الشفاء من السحر:

وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث قال: بلغني أن هذه الآيات شفاء من السحر  
تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور، الآية التي في سورة يونس:  
﴿ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ﴾ إلى قوله ﴿ المجرمون ﴾ وقوله  
﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يَعْمَلُونَ ﴾ الخ أربع آيات. وقوله: ﴿ إنما صَنَعُوا  
كَيْدُ سَاحِرٍ ﴾ الآية.

## عند الكرب:

وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة « ما كربني أمر إلا تمثل لي  
جبريل فقال: يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت، ﴿ والحمد لله الذي  
لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ  
تَكْبِيراً ﴾ ».

## أمان من السرقة:

وأخرج الصابوني في المائتين من حديث ابن عباس مرفوعاً: هذه الآية أمان  
من السرقة: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ إلى آخر السورة.

## دوام النعمة:

وأخرج البيهقي في الدعوات من حديث أنس: « ما أنعم الله على عبد نعمة  
في أهل ولا مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون  
الموت ».

## ساعة الاستيقاظ:

وأخرج الدارمي وغيره من طريق عبدة بن أبي لبابة عن زرّ بن حبيش قال:

من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها . قال عبده :  
فجرّبناه فوجدناه كذلك .

### دعاء المكروب :

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص : دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : ﴿ لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له . وعند ابن السني : إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرّج عنه ، كلمة أخي يونس ﴿ فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

### عند الابتلاء :

وأخرج البيهقي وابن السني وأبو عبيد عن ابن مسعود « أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق ، فقال رسول الله ﷺ : ما قرأت في أذنيه ؟ قال : ﴿ أَفْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ إلى آخر السورة ، فقال : لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال . »

### سورة يس :

وأخرج الديلمي وأبو الشيخ ابن حبان في فضائله من حديث أبي ذرّ « ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه . »

وأخرج المحاملي في أماليه من حديث عبد الله بن الزبير « من جعل يس أمام حاجة قضيت له » وله شاهد مرسل عند الدارمي .

وفي المستدرک عن أبي جعفر محمد بن علي قال : من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس في جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه .



وأخرج ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرىء .

وأخرج أيضاً عن يحيى بن أبي كثير قال: من قرأ يس إذا أصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها إذا أمسى لم يزل في فرح حتى يصبح. أخبرنا من جرتب ذلك.

### سورة الدخان:

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة « من قرأ الدخان كلها وأول غافر إلى ﴿إليه المصير﴾ وآية الكرسي حين يمسي حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسي » ورواه الدارمي بلفظ « لم ير شيئاً يكرهه » .

### سورة الواقعة:

وأخرج البيهقي والحرث بن أبي أسامة وأبو عبيد عن ابن مسعود مرفوعاً « من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً » .

### عند تعسر الولادة:

وأخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عباس موقوفاً في المرأة تعسر عليها ولادتها قال: يكتب في قرطاس ثم تسقى: بسم الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهارٍ بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ .

### عند الوسوسة:

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: إذا وجدت في نفسك شيئاً: يعني

الوسوسة فقل: ﴿ هو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

### عند لدغ العقرب:

وأخرج الطبراني عن عليّ قال: « لدغت النبيّ ﷺ عقرب ، فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ﴿ وقل أعوذُ برب الفلق ﴾ ﴿ وقل أعوذُ برب الناس ﴾ .

### الرقية بالمعوذات:

وأخرج أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود: « أن النبي ﷺ كان يكره الرقي إلا بالمعوذات . » وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجن وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها . فهذا ما وقفت عليه في الخواص من الأحاديث التي لم تصل إلى حدّ الوضع ، ومن الموقوفات على الصحابة والتابعين . وأما ما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيراً جداً ، الله أعلم بصحته .

### دعاء على مؤذ:

(ومن لطيف ما حكاه ابن الجوزي) عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقول البغدادية قالت: آذانا جار لنا ، فصليت ركعتين وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن وقلت: اللهم اكفنا أمره ، ثم نمت وفتحت عيني وإذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه فسقط ومات .

### جواز التطيب والرقية بالقرآن:

[ تنبيه ] قال ابن التين: الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطبّ الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى ، فلما

عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجشائي.

قلت: ويشير إلى هذا قوله ﷺ « لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال ».

وقال القرطبي: تجوز الرقية بكلام الله تعالى وأسمائه، فإن كان مأثوراً استحب.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى.

وقال ابن بطال: في المعوذات سرّ ليس في غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التي تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشرّ الشيطان ووسوسته وغير ذلك، ولهذا كان ﷺ يكتفي بها.

### الرقية بالفاتحة خاضة:

وقال ابن القيم في حديث الرقية بالفاتحة: إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع، فما الظن بكلام ربّ العالمين ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها؟ لتضمنها جميع معاني الكتاب، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها وإثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار إلى الربّ في طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم إلى منعم عليه لمعرفة بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته، وضالّ بعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وتركية النفس وإصلاح القلب والردّ على جميع أهل البدع، وحقيق لسورة هذا

بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء اهـ.

### التداوي بالماء الذي غسلت فيه الآيات:

[مسألة] قال النووي في شرح المهذب: لو كتب القرآن في إناء ثم غسل وسقاه المريض فقال الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي، لا بأس به، وكرهه النخعي، قال: ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به، فقد قال القاضي حسين والبلغوي وغيرهما: لو كتب قرآناً على حلوى وطعام فلا بأس بأكله اهـ. قال الزركشي، ومن صرح بالجواز في مسألة الإناء العمد النبهي مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية، لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضاً لأنه يلاقيه نجاسة الباطن، وفيه نظر.

## النوع السادس والسبعون: في مرسوم الخط وآداب كتابته

أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الداني، وألف في توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشي كتاباً سماه [عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل] بين فيه أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، وسأشير هنا إلى مقاصد ذلك إن شاء الله تعالى.

أخرج ابن أشته في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأحبار قال: أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة، كتبها في الطين ثم طبخه، فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه، فكان إسماعيل بن إبراهيم أصاب كتاب العرب.

ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل، وضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتاباً واحداً مثل الموصول حتى فرق بينه ولده: يعني أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق هكذا بسم الله الرحمن الرحيم، ثم فرقه من بنيهم هميسع وقيدر.

ثم أخرج من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد.

وقال ابن فارس: الذي نقوله إن الخط توقيفي لقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وقال ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وإن هذه الحروف

داخلة في الأسماء التي علم الله آدم، وقد ورد أمر أبي جاد ومبتدأ الكتابة أخباره كثيرة ليس هذا محلها، وقد بسطتها في تأليف مفرد.

### القاعدة العربية في الكتابة:

(فصل) القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه، وقد مهد النحاة أصولاً وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف خط المصحف الإمام.

### المحافظة على طريقة الكتابة الأولى:

وقال أشهب: سئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتابة الأولى. رواه الداني في المقنع ثم قال: ولا يخالف له من علماء الأمة.

وقال في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك؟ قال: لا. قال أبو عمرو: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو: ﴿أولوا﴾.

وقال الإمام أحمد: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك.

وقال البيهقي في شعب الإيمان: من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم.

## قواعد الكتابة القرآنية:

قلت: وينحصر أمر الرسم في ستة قواعد: الحذف والزيادة والهمزة والبدل والوصل والفصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداها.

(القاعدة الأولى: في الحذف) تحذف الألف من ياء النداء نحو: يا أيها الناس، ويا آدم، يا ربّ، يا عبّادي.

وهاء التنبيه نحو: هؤلاء، ها أنتم.

ونا مع ضمير نحو أنجيناكم، آتيناه. ومن ذلك، وأولئك، ولكن، وتبارك. وفروع الأربعة: والله، وإله كيف وقع، والرحمن، وسبحان كيف وقع، إلا قل سبحان ربي.

وبعد لام نحو: خلائف، خلاف رسول الله، سلام، غلام، ايلاف، يلاقوا.

وبين لامين نحو: الكلالة، الضلالة، خلال الديار، للذي ببكة.

ومن كل عَلم زائد على ثلاثة: كإبراهيم، وصالح، وميكال، إلا جالوت وهامان ويأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه، وإسرائيل لحذف يائه. واختلف في هاروت وماروت وقارون.

ومن كل مثنى اسم أو فعل إن لم يتطرف نحو: رجلان يعلمان، أضلانا، إن هذان، إلا بما قدمت يداك.

ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث نحو: اللاعنون، ملاقوا ربهم، إلا طاغون في الذاريات والطور، وكراماً كاتبين، وإلا روضات في شوري وآيات للسائلين ومكر في آياتنا وآياتنا بينات في يونس، وإلا إن تلاها همزة نحو: الصائمين والصائمات، أو تشديد نحو: الضالين والصافات، فإن كان في الكلمة

ألف ثانية حذفت أيضاً إلا سبع سموات في فصلت .

ومن كل جمع على مفاعل أو شبهة نحو: المساجد، ومساكن، واليتامى،  
والنصارى، والمساكين، والخبائث، والملائكة، والثانية من خطايا كيف وقع .

ومن كل عدد كثلاث، وثلاث، وساحر، إلا في آخر الذاريات، فإن ثني  
فألفاه، والقيامة، وشيطان، وسلطان، وتعالى، واللاقي، واللائي، وخلاق، وعالم،  
وبقادر، والأصحاب، والأنهار والكتابة .

ومنكر الثلاثة إلا أربعة مواضع: لكل أجل كتاب، كتاب معلوم، كتاب  
ربك في الكهف وكتاب مبین في النمل .

ومن البسملة بسم الله مجراها، ومن أول الأمر من سأل .  
ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة نحو: آدم، آخر، أشفقتم، أنذرتم،  
غشاء .

ومن وراء كيف وقع، إلا ما رأى، ولقد رأى في النجم، وإلا نأى، والآن،  
إلا فمن يستمع الآن، والألفان من الأيكة، إلا في الحجر وق .

### حذف الياء :

وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعاً وجراً نحو: ﴿باغٍ ولا عادٍ﴾  
والمضاف لها إذا نودي إلا ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾، ﴿يا عبادي الذين  
آمنوا﴾ في العنكبوت، أو لم يناد . إلا ﴿قل لعبادي﴾، ﴿أسر بعبادي﴾ في طه  
وحم، ﴿فادخلي في عبادي﴾ ﴿وادخلي جنتي﴾ . ومع مثلها نحو: ولي،  
والحواريين، ومتكئين، إلا عليين، وبهيء وهيء، ومكر السيء وسيئة، والسيئة،  
أفعيننا، ويحيي مع ضمير لا مفرداً . وحيث وقع أطيعون، اتقون، خافون،  
ارهبون، فأرسلون، واعبدون، إلا في يس واخشون، إلا في البقرة وكيدون،  
إلا فكيدوني جميعاً، واتبعون، إلا في آل عمران وطه، ولا تنظرون، ولا



تستعجلون، ولا تكفرون، ولا تقربون، ولا تحزون، ولا تفضحون، ويهدين،  
وسيهدين، وكذبون، يقتلون، إن يكذبون، ووعيدي، والجوار، وبالوادي،  
والمهتدي، إلا في الأعراف.

### حذف الواو:

وتحذف الواو مع أخرى نحو: لا يستون، فأووا، وإذا المؤودة، يؤوساً.

### حذف اللام:

وتحذف اللام مدغمة في مثلها نحو: الليل، والذي، إلا الله، واللهم، واللعنة  
وفروعه، واللهم، واللغو، واللؤلؤ، واللات، واللمم، واللهم، واللطيف،  
واللومة.

[ فرع ] في الحذف الذي لم يدخل تحت القاعدة حذف الألف من مالك  
الملك، ذرية ضعافاً، مراغماً، خادعهم، أكالون للسحت، بالغ، ليجادلوكم،  
وباطل ما كانوا، في الأعراف وهود، الميعاد في الأنفال، تراباً في الرعد والنمل  
وعم، جذاذاً، يسارعون، آية المؤمنون، آية الساحر، آية الثقلان، أم موسى،  
فارغاً، وهل يجازى من هو كاذب، للقاسية في الزمر، إثارة، عاهد عليه الله،  
ولا كذاباً.

وحذف الياء من إبراهيم في البقرة، والداع، إذا دعان، ومن اتبعن، وسوف  
يؤت الله، وقد هدان، ننج المؤمنين، فلا تسئلن ما، يوم يأت، لا تكلم حتى  
تؤتون موثقاً، تفندون، المتعال، متاب، مآب، عقاب في الرعد وغافر، وفيها  
عذاب، أشركتمون من قبل، وتقبل دعاء، لئن أخرتن، إن يهدين، إن ترن،  
إن يؤتين، إن تعلمن، نبغ الخمسة في الكهف، أن لا تتبعن في طه، والباد، وإن  
الله هاد، أن يحضرون، رب أرجعون، ولا تثلمون، يسقين، يشفين، يحيين، واد

النمل، أتمدونن. فما آتان، تشهدون، بهاد العمى، كالجواب، إن يردن الرحمن، لا ينقذون، واسمعون، لتردين، صال الجحيم، التلاق، التناد، ترجون، فاعتزلون، يناد المنادي، ليعبدون، يطعمون، تغن، الداع مرتين في القمر، يسر، أكرمن، ولي دين.

وحذفت الواو من: ويدع الإنسان، ويمح الله في شورى، يوم يدع الداع، سندع الزبانية. قال المراكشي: والسرّ في حذفها من هذه الأربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود، وأما ﴿ويدع الإنسان﴾ فيدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع في الخير، بل إثبات الشرّ إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير. وأما ﴿ويمحُ الله الباطل﴾ فللإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله. وأما ﴿يدع الداع﴾ فللإشارة إلى السرعة الدعاء، وسرعة إجابة الداعين. وأما الأخيرة فللإشارة إلى السرعة الفعل، وإجابة الزبانية وقوة البطش.

(القاعدة الثانية: في الزيادة) زيدت ألف بعد الواو وآخر اسم مجموع نحو: بنو إسرائيل، ملاقوا ربهم، أولوا الألباب، بخلاف المفرد لذو علم، إلا الربا، وإن امرؤ هلك وآخر فعل مفرد أو جمع مرفوع أو منصوب إلا جاءوا وباءوا حيث وقع، وعَتَوُا عَتُوًّا، فإن فاءوا، والذين تبوءوا الدار، عسى الله أن يعفو عنهم في النساء، سعوا في آياتنا في سبأ.

وبعد الهمزة المرسومة واواً نحو: تفتؤا، وفي مائة ومائتين، والظنوننا، والرسولنا، والسبيلا، ولا تقولن لشيء، ولأذبحنه، ولأوضعوا، ولا إلى الله، ولا إلى الجحيم، ولا تياسوا إنه لا يياس، أفلم يياس.

وبين الباء والجيم في جاي في الزمر والفجر، وكنبأ بالهمزة مطلقاً.

وزيدت ياء في نبا المرسلين وملائه وملائهم، ومن آناي الليل في طه، من تلقاي نفسي، من وراي حجاب في شوري، وإيتاء ذي القربى في النحل، ولقاي الآخرة في الروم، بأيكم المفتون، بنيناها باييد، أفائن مات، أفائن مت.

وزيدت واو في أولوا وفروعه وسأريكم. قال المراكشي: وإنما زيدت هذه الأحرف في هذه الكلمات نحو جاي ويناوي ونحوها للتسهيل والتفخيم والتهديد والوعيد، كما زيدت في باييد تعظيم لقوة الله تعالى التي بنى بها السماء التي لا تشابهها قوة.

وقال الكرمانى في العجائب: كانت صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي ألفاً، وصورة الضمة واواً، وصورة الكسرة ياء، فكتبت لا أوضعوا ونحو بالألف مكان الفتحة وإيتاي ذي القربى بالياء مكان الكسرة، وأولئك ونحو بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول.

(القاعدة الثالثة: في الهمز) يكتب الساكن بحرف حركة ما قبله أولاً أو وسطاً أو آخراً نحو: إيذن وأوتمن، والباساء، واقرا، وجيناك، وهيي، والموتون، وتسووهم، إلا فادارأم، ورءيا، والرياء، وشطئه، فحذف فيها. وكذا أول الأمر بعد فاء نحو: فأتوا، أو واو نحو: وأتمروا.

والمتحرك إن كان أولاً أو اتصل به حرف زائد بالألف مطلقاً: أي سواء كان فتحاً أو ضمّاً أو كسراً نحو: أيوب، إذا أولوا، سأصرف، فبأي، سأنزل، إلا مواضع، أئنكم، لتكفرون، ائنا لمخرجون في النمل، ائنا لتاركوا آهتنا، أئن لنا في الشعراء، أئذا متنا، أئن ذكرتم، أئفكا، أئمة، لئلا، لئن، يومئذ (ح) فيكتب فيها بالياء قل أؤنبئكم، وهؤلاء فكتب بالواو.

وإن كان وسطاً فبحرف حركته نحو: سأل، سئل، نقرؤه، إلا جزاؤه، الثلاثة في يوسف. ولأملأن، وامتلأت، واشمأزت، واطمأنوا، فحذف فيها. وإلا

إن فتح وكسر أو ضم ما قبله أو ضم وكسر ما قبله فبحرفه نحو: الخاطئة، فؤادك، سنقرئك. وإن كان ما قبله ساكناً حذف هو نحو: يستل، لا تجثروا، إلا النشأة، وموثلاً في الكهف.

فإن كان ألفاً وهو مفتوح فقد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها، إذ الهمز (ح) بصورتها نحو أبناءنا. وحذف معها أيضاً في قرآنا في يوسف والزخرف، وإن ضم أو كسر فلا نحو: آباؤكم، آبائهم، إلا قال أولياؤهم، إلى أوليائهم في الأنعام، إن أولياؤه في الأنفال نحن أولياؤكم في فصلت.

وإن كان بعده حرف يجانسه فقد سبق أيضاً أنه يحذف نحو: شأن، خاسئين، يستهزئون.

وإن كان آخرأ فبحرف حركة ما قبله نحو: سبأ، شاطيء، لؤلؤا، إلا مواضع، تفتؤ، تفتيؤا، توكاؤا، لا تظمؤا، ما يعبؤا، ينشؤا، يذرؤا، نبؤا، قال الملؤا الأول في قد أفلح، والثلاثة في النمل إلا في خمسة مواضع. اثنان في المائدة، وفي الزمر، وشورى، والحشر، شركاؤا في الأنعام، وشورى، يأتيهم أنبؤا في الأنعام والشعراء، علماؤا فيه، من عباده العلماؤا، والضعفاؤا في إبراهيم وغافر، في أموالنا ما نشاؤا، وما دعاؤا في غافر، شفعاؤا في الروم، إن هذا هو البلاؤا المبين في الدخان، برآؤا منكم تكتب في الكل بالواو.

فإن سكن ما قبله حذف هو نحو: ملء الأرض، دفاء، شيء، الخبء، ماء، إلا لتنؤا وإن تبوؤا، السوء كذا استثناه القراء. قلت: وعندي أن هذه الثلاثة لا تستثنى لأن الألف التي بعد الواو ليست صورة الهمزة بل هي المزيدة بعد واو الفعل.

(القاعدة الرابعة: في البدل) تكتب بالواو وللتفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا غير مضافات، والغداء ومشكاة والنجاة ومناة.

وبالياء كل ألف منقلبة عنها نحو: ويتوفيكُم في اسم أو فعل اتصل به ضمير  
أم لا، لقي ساكناً أو لا، ومنه: يا حسرتا، يا أسفاً، إلا تترا، وكلتا، وهداني،  
ومن عصاني، والأقصى، وأقصا المدينة، وطغا الماء، وسياهم. وإلا ما قبلها ياء  
كالدنيا والحوايا، إلا يجي اسماً وفعلاً.

ويكتب بها إلى وعلى وأنى بمعنى كيف ومتى وبلى وحتى ولدى إلا لدا الباب.  
ويكتب بالألف الثلاثي الواوي اسماً أو فعلاً نحو: الصفا وشفأ وعفا الأضحى  
كيف وقع، وما زكى منكم ودحاها وتلاها وطحاها وسجا.

وتكتب بالألف نون التوكيد الخفيفة وإذا وبالنون كائن وبالهاء هاء التأنيث.  
إلا رحمت في البقرة والأعراف وهود ومريم والروم والزخرف. ونعمت في البقرة  
وآل عمران والمائدة وإبراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور. وسنت في الأنفال  
وفاطر وثاني غافر. وامرات مع زوجها، وتمت كلمة ربك الحسنى، فنجعل  
لعنت الله، والخامسة أن لعنت الله. ومعصيت في قد سمع، إن شجرت الزقوم،  
قرت عين، وجنت نعيم، بقيت الله، ويا أبت، واللالت، ومرضات، وهيهات،  
وذات، وأنبت، وفطرت.

(القاعدة الخامسة: في الوصل والفصل) توصل إلا بالفتح إلا عشرة: أن لا  
أقول، أن لا تقولوا في الأعراف، أن لا ملجأ، وفي هود أن لا إله، أن  
لا تعبدوا إلا الله، إني أخاف أن لا تشرك في الحج، أن لا تعبدوا في يس، أن  
لا تعلقوا في الدخان، أن لا يشركن في الممتحنة، أن لا يدخلنها في ن.

ومما إلا من ما ملكت في النساء والروم، ومن ما رزقناكم في المنافقين. ومن  
مطلقاً وعماً، إلا عن ما نهوا عنه.

وإما بالكسر، إلا وإما نرينك في الرعد. وإما بالفتح مطلقاً.

وعمن، إلا ويصرفه عن ما يشاء في النور عن من تولى في النجم.  
وأمن، إلا أم من يكون في النساء، أم من أسس، أم من خلقنا في الصفات،  
أم من يأتي آمناً.

وإلم بالكسر، إلا فإن لم يستجيبوا لك في القصص.  
وفما، إلا أحد عشر في ما فعلن الثاني في البقرة ليلوكم في ما في المائدة  
والأنعام. قل لا أجد في ما اشتهدت في الأنبياء، في ما أفضتم، في ماها هنا في  
الشعراء، في ما رزقناكم في الروم، في ما هم فيه، في ما كانوا فيه كلاهما في  
الزمر، وتنشئكم في ما لا تعلمون.

وإنما، إلا أن ما توعدون لآت في الأنعام. وإنما بالفتح، إلا أن ما يوعدون  
في الحج ولقمان.

وكلما، إلا كل ما ردوا إلى الفتنة، من كل ما سألتموه.  
وبئسما، إلا مع اللام. ونعما ومهما وربما وكأنما.  
ويكأن وتقطع حيثما وإن لم بالفتح وإن لن، إلا في الكهف والقيامة.  
وأين ما، إلا فأينما تولوا، أينما يوجهه. واختلف في أينما تكونوا يدرككم،  
أينما كنتم تعبدون في الشعراء، أينما ثقفوا في الأحزاب.

ولكي لا، إلا في آل عمران والحج والحديد. والثاني في الأحزاب ويوم هم،  
ونحو: فمال، ولات حين، وابن أم، إلا في طه فكتبت همزة حينئذ واواً  
وحذفت همزة ابن فصارت هكذا يبنؤم.

(القاعدة السادسة: فيما فيه قراءتان) فكتبت على إحداها ومرادنا غير الشاذ  
من ذلك: مالك يوم الدين، يخادعون، وواعدنا، والصاعقة، والرياح،

وتفادوهم، وتظاهرون، ولا تقاتلوهم ونحوها، ولولا دفاع، فرهان، طائراً في آل عمران والمائدة مضاعفة، ونحوه: عاقدت أيمانكم، الأوليان، لامستم، قاسية، قياماً للناس، خطئاتكم في الأعراف، طائفة، حاشا الله، وسيعلم الكافر، تزاور، زاكية، فلا تصاحبني، لاتخذت مهاداً، وحرام على قرية، إن الله يدافع، سكارى وما هم بسكارى، المضغة عظماً، فكسونا العظام، سراجاً، بل أدراك، ولا تصاعر، ربنا باعد، أساورة بلا ألف في الكل، وقد قرئت بها وبجذفها. وغيابت الجب، وأنزل عليه آية في العنكبوت، وثمرت من أكامها في فصلت، وجالات فهم على بينت، وهم في الغرفات آمنون بالثناء، وقد قرئت بالجمع والإفراد. وتقيه بالياء، ولأهب بالألف، ويقض الحق بلا ياء، وآتوني زبر الحديد بألف فقط، ننجي من نشاء، ننج المؤمنين بنون واحدة، والصراط كيف وقع، وبصطة في الأعراف، والمصيطنون ومصيطر بالصاد لا غير، وقد تكتب الكلمة سالحة للقراءتين نحو فكهون بلا ألف، وهي قراءة، وعلى قراءتها هي محذوفة رسماً لأنه جمع تصحيح.

[ فرع ] فيما كتب موافقاً لقراءة شاذة من ذلك: إن البقر تشابه علينا، أو كلما عاهدوا، ما بقي من الربو، وقرىء بضم الباء وسكون الواو، وفلقاتلوكم، إنما طائركم، طائره في عنقه، تساقط، سامر، وفصاله في عامين، عليهم ثياب سندس خضر، ختامه مسك، فادخلي في عبادي.

[ فرع ] وأما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها نحو: أوصى، ووصى، وتجري تحتها، ومن تحتها، وسيقولون الله، والله، وما عملت أيديهم، وما علمته فكتابتها على نحو قراءته، وكل ذلك وجد في مصاحف الإمام.

[ فائدة ] كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة

النطق بها اكتفاء بشهرتها وقطعت حم عسق دون المص وكهيعص طرداً للأولى  
بأخواتها الستة .

## فصل: في آداب كتابته

### كتابة القرآن بخط كبير واضح:

يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون  
مشقة وتعليقه فيكره وكذا كتابته في الشيء الصغير .

أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر أنه وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم  
دقيق فكره ذلك وضربه وقال: عظموا كتاب الله تعالى . وكان عمر إذا رأى  
مصحفاً عظيماً سرّ به . وأخرج عبد الرزاق عن عليّ أنه كان يكره أن تتخذ  
المصاحف صغاراً . وأخرج أبو عبيد عنه أنه كره أن يكتب القرآن في الشيء  
الصغير .

وأخرج هو والبيهقي في الشعب عن أبي حكيم العبدي قال: مر بي عليّ وأنا  
أكتب مصحفاً فقال: أجل قلمك، فقضمت من قلمي قزمة ثم جعلت أكتب،  
فقال: نعم هكذا نوره كما نوره الله .

### تجويد كتابة القرآن:

وأخرج البيهقي عن عليّ موقوفاً قال: تنوق رجل في بسم الله الرحمن الرحيم  
فغفر له . وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان وابن أشتة في المصاحف من طريق  
أبان عن أنس مرفوعاً « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم بجودة غفر الله له » .

وأخرج ابن أشتة عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله: إذا كتب  
أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ الرحمن . وأخرج عن زيد بن ثابت أنه كان



يكره أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، ليس لها سين .

وأخرج عن يزيد بن أبي حبيب أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر ، فكتب بسم الله ولم يكتب لها سيناً ، فضربه عمر ، فقيل له : فيم ضربك أمير المؤمنين ؟ قال : ضربني في سين .

وأخرج عن ابن سيرين أنه كان يكره أن تمدّ الباء إلى الميم حتى نكتب السين .  
وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن ابن سيرين أنه كره أن يكتب المصحف مشقاً ، قيل : لم ؟ قال : لأن فيه نقصاً .

### كتابة القرآن بالذهب :

وتحرم كتابته بشيء نجس ، وأما بالذهب فهو حسن كما قاله الغزالي .  
وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس وأبي ذرّ وأبي الدرداء أنهم كرهوا ذلك .  
وأخرج عن ابن مسعود أنه مرّ عليه بمصحف زين بالذهب فقال : إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق .

### لا يكتب على الحيطان وعلى الأرض :

قال أصحابنا : وتكره كتابته على الحيطان والجدران ، وعلى السقوف أشد كراهة لأنه يوطأ .

وأخرج أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز قال : لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ .

### لا يكتب بغير العربية :

وهل تجوز كتابته بقلم غير العربي ؟ قال الزركشي : لم أر فيه كلاماً لأحد من العلماء . قال : ويحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية ، والأقرب المنع ، كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلماً غير العربي ، وقد قال الله تعالى : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ اهـ .

[ فائدة ] أخرج ابن أبي داود عن إبراهيم التيمي قال : قال عبد الله : لا يكتب المصاحف إلا مضريّ . قال ابن أبي داود : هذا من أجل اللغات .

### نقط المصحف وشكله :

[ مسألة ] اختلف في نقط المصحف وشكله ، ويقال أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي بأمر عبد الملك بن مروان ، وقيل الحسن البصري ويحيى بن يعمر ، وقيل نصر بن عاصم الليثي .

وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام الخليل . وقال قتادة : بدأوا فنقطوا ثم خسوا ثم عشروا .

وقال غيره : أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم الفواتح والخواتم .

وقال يحيى بن أبي كثير : ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف إلا النقط الثلاث على رؤوس الآي . أخرجه ابن أبي داود .

وقد أخرج أبو عبيد وغيره عن ابن مسعود قال : جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء .

### كره بعضهم نقط المصاحف :

وأخرج عن النخعي أنه كره نقط المصاحف . وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم . وعن ابن مسعود ومجاهد أنها كرها التعشير . وأخرج ابن أبي داود عن النخعي أنه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف ، وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا .

وأخرج عنه أنه أتى بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية ، فقال : امح هذا فإن ابن مسعود كان يكرهه .

وأخرج عن أبي العالية أنه كان يكره الجمل في المصحف وفتحة سورة كذا

وخاتمة سورة كذا، وقال مالك: لا بأس بالنقط في المصاحف التي تتعلم فيها العلماء، أما الأمهات فلا.

وقال الحلبي: تكره كتابة الأعراس والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقوله: جردوا القرآن. وأما النقط فيجوز له لأنه ليس له صورة فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً. وإنما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها.

### من آداب كتابة القرآن:

وقال البيهقي: من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجاً بأحسن خط، فلا يصغر ولا يقرمط حروفه، ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات والسجديات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني الآيات.

وقد أخرج ابن أبي داود عن الحسن وابن سيرين أنها قالا: لا بأس بنقط المصاحف. وأخرج عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: لا بأس بشكله.

وقال النووي: نقط المصحف وشكله مستحب لأنه صيانة له من اللحن والتحريف. وقال ابن مجاهد: ينبغي أن لا يُشكَّل إلا ما يُشكِّل.

### لا تجمع قراءات في مصحف واحد:

وقال الداني: لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم، ولا أستجيز جمع قراءات شتى في مصحف واحد بألوان مختلفة لأنه من أعظم التخليط والتغيير للمرسوم، وأرى أن يكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمزة والهمزات بالصفرة. وقال الجرجاني من أصحابنا في الشافي: من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره.

## تطور الشكل:

[فائدة] كان الشكل في الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضممة على آخره، والكسرة تحت أوله، وعليه مشى الداني. والذي اشتهر الآن بالضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذي أخرجه الخليل وهو أكثر وأوضح وعليه العمل. فالفتح شكله مستطيلة فوق الحرف والكسر كذلك تحته، والضم واو صغرى فوقه. والتنوين زيادة مثلها، فإن كان مظهراً وذلك قبل حرف حلق ركبت فوقها وإلا جعلت بينها. وتكتب الألف المحذوفة، والمبدل منها في محلها حمراء، والمهزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضاً، وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الإقلاب حمراء، وقبل الحلق سكون، وتعرى عند الإدغام والإخفاء، ويسكن كل مسكن ويعرى المدغم ويشدد ما بعده، إلا الطاء قبل التاء فيكتب عليه السكون نحو فرطت، ومطة المددود لا تجاوزه.

## تجريد القرآن:

[فائدة] قال الحرابي في غريب الحديث: قول ابن مسعود: جردوا القرآن، يحتمل وجهين: أحدهما جردوه في التلاوة ولا تخلطوا به غيره. والثاني جردوه في الخط من النقط والتعشير. وقال البيهقي: الأبين أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب، لأن ما خلا القرآن من كتب الله إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمؤمنين عليها.

## حكم بيع المصاحف وشرائها:

[فرع] أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن ابن عباس أنه كره أخذ الأجرة على كتابة المصحف وأخرج مثله عن أيوب السخيتاني. وأخرج عن عمر

وابن مسعود أنها كرها بيع المصاحف وشراءها .

وأخرج عن محمد بن سيرين أنه كره بيع المصاحف وشراءها وأن يستأجر على كتابتها . وأخرج عن مجاهد وابن المسيب والحسن أنهم قالوا : لا بأس بالثلاثة .

وأخرج عن سعيد بن جبير أنه سئل عن بيع المصاحف فقال : لا بأس ، إنما يأخذون أجور أيديهم . وأخرج عن ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصحف قال : لا بأس ، إنما تبيع الورق .

وأخرج عن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يشددون في بيع المصاحف .

وأخرج عن النخعي قال : المصحف لا يباع ولا يورث .

وأخرج عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف . وقال : أعين أخاك بالكتاب أوهب له .

وأخرج عن عطاء عن ابن عباس قال : اشتر المصاحف ولا تبعها . وأخرج عن مجاهد أنه نهى عن بيع المصاحف ورخص في شرائها .

وقد حصل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف . ثالثها كراهة البيع دون الشراء ، وهو أصح الأوجه عندنا كما صححه في شرح المذهب ونقله في زوائد الروضة عن نص الشافعي .

قال الرافعي : وقد قيل إن الثمن متوجه إلى الدفتين لأن كلام الله لا يباع . وقيل إنه بدل من أجره النسخ اهـ . وقد تقدم إسناد القولين إلى ابن الحنفية وابن جبير . وفيه قول ثالث أنه بدل منها معاً .

أخرج ابن أبي داود عن الشعبي قال : لا بأس ببيع المصاحف ، إنما يبيع الورق وعمل يديه .

## حكم القيام للمصحف:

[ فرع ] قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في القواعد : القيام للمصحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول ، والصواب ما قاله النووي في التبيان من استحباب ذلك لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به .

## تقبيل المصحف:

[ فرع ] يستحب تقبيل المصحف لأن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يفعله ، وبالقياس على تقبيل الحجر ذكره بعضهم ، ولأنه هدية من الله تعالى فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير .

وعن أحد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقف . وإن كان فيه رفعة وإكرام لأنه لا يدخله قياس : ولهذا قال عمر في الحجر : لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

## تطيب المصحف وتعليقه:

[ فرع ] يستحب تطيب المصحف وجعله على كرسي ، ويجرم توسده لأن فيه إذلالاً وامتهاناً . قال الزركشي : وكذا مدّ الرجلين إليه .

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن سفيان أنه كره أن تعلق المصاحف وأخرج عن الضحاك قال : لا تتخذوا للحديث كراسي ككراسي المصاحف .

## تذهيب المصحف وتفضيحه:

[ فرع ] يجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح . أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيخ المصاحف فأخرج إلينا مصحفاً فقال : حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان ، وأنهم فضضوا

المصاحف على هذا ونحوه. وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل،  
وخصّ بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه، والأظهر  
التسوية...

### تعطيل أوراق المصحف لسبب ضروري:

[ فرع ] إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز  
وضعها في شق أو غيره لأنه قد يسقط ويوطأ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع  
الحروف وتفرقة الكلم، وفي ذلك إضرار بالمكتوب، كذا قاله الحلبي. قال: وله  
غسلها بالماء.

وإن أحرقتها بالنار فلا بأس، أحرقت عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراءات  
منسوخة ولم ينكر عليه. وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل لأن الغسالة قد  
تقع على الأرض، وجزم القاضي حسين في تعليقه بامتناع الإحراق لأنه خلاف  
الاحترام، والنووي بالكراهة.

وفي بعض كتب الحنفية أن المصحف إذا بلي لا يحرق، بل يحفر له في  
الأرض ويدفن، وفيه وقفة لتعرضه للوطء بالأقدام.

### لا يجوز تصغير كلمة مصحف:

[ فرع ] روى ابن أبي داود عن ابن المسيب قال: لا يقول أحدكم مصيحف  
ولا مسيجد، ما كان لله تعالى فهو عظيم.

### حكم من المصحف:

[ فرع ] مذهبتنا ومذهب جمهور العلماء تحريم مسّ المصحف للمحدث سواء

كان أصغر أم أكبر لقوله تعالى: ﴿ لا يمسّهُ إلا المطهرون ﴾ وحديث الترمذي وغيره « لا يمس القرآن إلا طاهر ».

### المصحف صدقة جارية:

[ خاتمة ] روى ابن ماجة وغيره عن أنس مرفوعاً « سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره: من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ترك ولداً يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفاً ».



## النوع السابع والسبعون: في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه

### التفسير والتأويل لغة:

التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف. ويقال هو مقلوب السفر. تقول أسفر الصبح: إذا أضاء. وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وقيل من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه.

واختلف في التفسير والتأويل. فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى، وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتمدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي: التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على

الله أنه عنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح ، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهية عنه . والتأويل : ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

### الفرق بين التفسير والتأويل :

وقال أبو طالب الثعلبي : التفسير : بيان وضع اللفظ ، إما حقيقة أو مجازاً ، كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر . والتأويل : تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر ، فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد ، لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ تفسيره : أنه من الرصد ، يقال رصدته : رقبته ، والمرصاد مفعال منه . وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه . وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

### التفسير :

وقال الأصهباني في تفسيره : اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن ، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتأويل أكثره في الجمل . والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة ، أو في وجيز تبين الشرح نحو : ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ وقوله ﴿ وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ .

## التأويل:

وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في الجحود الباري عز وجل خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى. وأما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود.

## تعريف آخر للتفسير والتأويل:

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية. والتأويل يتعلق بالدراية.

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسمع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل.

وقال قوم: ما وقع مبيناً في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعدّاه.

والتأويل: ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم.

وقال قوم منهم البغوي والكواشي: التأويل: صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدتها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها.

## تعريف مفصل للتفسير:

وقال أبو حيان: التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك. قال: فقولنا علم جنس، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة، وقولنا ومدلولاتها: أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع، وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دللته بالحقيقة وما دللته بالمجاز، فإن التركيب وقد يقتضي بظاهره شيئاً ويصدّ عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا وتتمت لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أهتم في القرآن ونحو ذلك. وقال الزركشي: التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

## الحاجة إلى علم التفسير:

(فصل) وأما وجه الحاجة إليه فقال بعضهم: اعلم أن من المعلوم أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه أنزل كتابه على لغتهم. وإنما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية،

ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدلّ على المراد من شرح غيره له .  
وثانيها : إغفاله بعض تيمات المسألة أو شروط لها اعتماداً على وضوحها ، أو  
لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

وثالثها : احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج  
الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه .

وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط ، أو تكرار  
الشيء أو حذف المبهم وغير ذلك ، فيحتاج الشارع للتنبيه على ذلك . إذ تقرر  
هذا فنقول :

### دقائق القرآن لا تظهر إلا بالتفسير :

إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون  
ظواهره وأحكامه . أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع  
سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر ، كسؤالهم لما نزل قوله : ﴿ ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾  
فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ، ففسره النبي ﷺ بالشرك ، واستدل عليه بقوله :  
﴿ إن الشرك لظلمٌ عظيمٌ ﴾ وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال : ذلك  
العرض . وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا  
عن آحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم  
يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ،  
فنحن أشدّ الناس احتياجاً إلى التفسير . ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قبل  
الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها : وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على  
بعض اهـ .

## التفسير علم عسير يسير:

وقال الخويبي: علم التفسير عسر يسير، أما عسره فظاهر من وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس إلى مراده بالسماع منه ولا إمكان الوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها فإن الانسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه. وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

## شرف علم التفسير:

(فصل) وأما شرفه فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثالها.

## الحكمة هي القرآن:

وأخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: القرآن. قال ابن عباس: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البرّ والفاجر. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: قراءة القرآن والفكرة فيه.

## لا يعقل القرآن إلا العالمون:

وأخرج ابن جرير مثله عن مجاهد وأبي العالية وقتادة وقال تعالى: ﴿وتلك

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴿١﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مرت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأنني سمعت الله يقول: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾. وأخرج أبو عبيدة عن الحسن قال: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها.

### فهم القرآن واجب:

وأخرج أبو ذرّ الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر هذاً.

وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً «أعربوا القرآن والتمسوا غرائب». وأخرج ابن الأنباري عن أبي بكر الصديق قال: لأن أعرب آية من القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية. وأخرج أيضاً عن عبدالله بن بريدة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت.

وأخرج أيضاً من طريق الشعبي قال: قال عمر: من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد. قلت: معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير، لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث، ولأنه كان في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه. ثم رأيت ابن النقيب جرح إلى ما ذكرته وقال: ويجوز أن يكون المراد الإعراب الصناعي وفيه بعد، وقد يستدل له بما أخرجه السلفي في الطيوريات من حديث ابن عمر مرفوعاً «اعربوا القرآن يدلکم على تأويله».

### علم التفسير من فروض الكفاية:

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجلّ العلوم الثلاثة الشرعية.

## التفسير أشرف صناعة:

وقال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن. بيان ذلك أن شرف الصناعة: إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فإنها أشرف من الدباغة، لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة.

وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب، فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح.

وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه، فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات.

إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث.

أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى.

وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.



## النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه

يطلب تفسير القرآن من القرآن أولاً ثم من السنة:

قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أجل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه. وقد ألف ابن الجوزي كتاباً فيما أجل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه، وأشرت إلى أمثلة منه في نوع المجمل، فإن أعياء ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

وقد قال الشافعي رضي الله عنه: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ في آيات أخر.

وقال ﷺ: ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه: يعني السنة، فإن لم يجده من السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اقتصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وقد روى الحاكم في المستدرک أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزل له حكم المرفوع.

### أول شروط المفسر صحة الاعتقاد:

وقال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره [القول في آداب المفسر]

اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً لزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤمن على الدنيا فكيف على الدين؟ ثم لا يؤمن في الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى؟ ولأنه لا يؤمن إن كان متهاً بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغترّ الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإن كان متهاً بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه كلها يوافق بدعته كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح الساكن ليصدّهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى.

### ثانياً اعتماده على النقل:

ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات، وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل، نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم، وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد فيدخل منها ما يدخل في الجمع، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء، فطريق السنة وطريق النبي ﷺ وطريق أبي بكر وعمر، فأَيّ هذه الأقوال أفرده كان محسناً.

### ثالثاً الاستدلال:

وإن تعارضت ردّ الأمر إلى ما ثبت فيه السمع، فإن لم يجد سمعاً وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوي الاستدلال فيه كاختلافهم في معنى حروف الهجاء يرجح قول من قال إنها قسم. وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله تعالى ولا يتهمج على تعيينه وينزله منزلة المجل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه.

### صحة المقصد ضرورية في المفسر:

ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقي التسديد، فقد قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصدده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله .

### معرفة اللغة العربية وأسرارها:

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتكناً من عدّة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إما حقيقة أو مجازاً فتأويله تعطيله، وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى: ﴿قَلْبِ اللَّهِ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ أنه ملازمة قول الله، ولم يدر الغبيّ أن هذه جملة حذف منها الخبر، والتقدير: الله أنزله اهـ كلام أبي طالب .

### الرسول علم أصحابه معاني القرآن:

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا. وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

### تدبر القرآن دون فهم معانيه لا يمكن:

وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا. رواه أحمد في مسنده وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين. أخرجه في الموطأ، وذلك أن الله قال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

القرآن ﴿ وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن .

### شرح القرآن واجب؛

وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم وديناهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم .

### التابعون تلقوا التفسير من الصحابة:

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال .

### أسباب الخلاف في التفسير بين السلف:

والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان .

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى، كتفسيرهم الصراط المستقيم: بعض بالقرآن: أي اتباعه، وبعض بالاسلام، فالقولان متفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر، كما أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث، وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة، وقول من قال هو طريق العبودية، وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وأمثال ذلك، فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها .

الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل،

وتنبية المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثاله ما نقل في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ الآية، فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات. فالمقتصدون أصحاب اليمين، والسابقون السابقون أولئك هم المقربون، ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصرار. أو يقول السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط، والظالم مانع الزكاة. قال: وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هو الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف.

### ومن أسباب خلاف السلف في التفسير:

ومن التنازع الموجود منهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين: إما لكونه مشتركاً في اللغة كلفظ القسورة الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد، ولفظ عسعس الذي يراد به إقبال الليل وإدباره، وإما لكونه متواطئاً في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضائر في قوله ﴿ثم دنى فتدلى﴾ الآية، وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر وأشبه ذلك، فمثل ذلك قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك. فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معناه، وإما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً إذا لم يكن لمخصمه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني.

## ومن أسباب الخلاف اختلاف التعبير:

ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، كما إذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم بترتهن، لأن كلاً منها قريب من الآخر.

## الاختلاف في التفسير على نوعين:

ثم قال: فصل: والاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك.

والمنقول إما عن المعصوم أو غيره. ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره. ومنه ما لا يمكن ذلك. وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته، وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه، وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ قبل، وما لا بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» وكذا ما نقل عن بعض التابعين. وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض.

وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم.

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير والله الحمد ،  
وإن قال الإمام أحد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازي ، وذلك  
لأن الغالب عليها المراسيل .

### التفسير بالاستدلال يقع فيه الخطأ :

وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين . حدثنا  
بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فإن التفاسير التي يذكر فيها  
كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد  
الرزاق والفريابي ووكيع وعبد وإسحاق وأمثالهم .

أحدها : قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حل ألفاظ القرآن عليها .

والثاني : قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين  
بلغته العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به .

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما يستحقه ألفاظ القرآن  
من الدلالة والبيان ، والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يراد به العربي من  
غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام .

ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في  
ذلك الذين قبلهم ، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا  
به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون ، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق  
ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق .

والأولون صنفان : تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به ، وتارة  
يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به ، وفي كلا الأمرين قد يكونوا ما قصدوا  
فيه أو إثباته من المعنى باطلاً فيكون خطأهم في الدليل والمدلول ، وقد يكون

حقاً فيكون خطوهم في الدليل لا في المدلول.

### أهل البدع تأولوا القرآن على رأيهم:

فالذين أخطأوا فيها مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وقد صنّفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم والجبائي وعبد الجبار الرماني والزخشري وأمثالهم.

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدسّ البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه حتى أنه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة.

وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجه لكان أحسن، فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرّروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه، فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا.

### من عدل عن مذاهب الصحابة كان مبتدعاً:

وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف



ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله. وأما الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها لكن القرآن لا يدل عليها، مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق، فإن كان فيما ذكره معان باطلة دخل في القسم الأول اهـ كلام ابن تيمية ملخصاً، وهو نفيس جداً.

### مصادر التفسير أربعة:

وقال الزركشي في البرهان: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة: أمهاتها أربعة.

### أولاً النقل:

الأول: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير، ولهذا قال أحمد: ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير.

قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض، والقوة بالرمي في قوله: ﴿وَأَعَدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾.

قلت: الذي صح من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه في غاية القلة، وسأسردها كلها آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

### ثانياً: أقوال الصحابة:

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي

صلى الله عليه وسلم كما قاله الحاكم في مستدركه .

وقال أبو الخطاب من الحنابلة: يحتمل إن لا يرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة، والصواب الأول لأنه من باب الرواية لا الرأي. قلت: ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين، لأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي فيه. ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة .

وأما من يقول أن تفسير الصحابة مسند فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك فاعتمد الأول، والله أعلم.

ثم قال الزركشي: وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم لأن غالبها تلقوها من الصحابة، وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن من لا فهم عنده أن ذلك اختلاف محقق فيحكيه أقوالاً وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآية لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، فإن لم يمكن الجمع فالتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدم.

### ثالثاً: مفهوم اللغة:

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربيّ، وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل بيت من الشعر فقال: ما يعجبني، فقيل ظاهره المنع.

ولهذا قال بعضهم في جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد .  
وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة  
يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون  
المتبادر خلافها .

وروي البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب  
يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً .

#### رابعاً: التفسير بالمقتضى بما يوافق روح الشرع:

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، وهذا  
هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس حيث قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه  
التأويل، والذي عناه عليّ بقوله: إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن. ومن هنا  
اختلف الصحابة في معنى الآية: فأخذ كل برأيه على منتهى نظره .

#### لا يجوز التفسير بمجرد الرأي:

ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل قال تعالى:  
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾  
وقال: ﴿لَتَبِينَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أضاف البيان إليه .

وقال ﷺ: « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » أخرجه أبو داود  
والترمذي والنسائي .

وقال « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه أبو داود .  
قال البيهقي في الحديث الأول: إن صح أراد الله أعلم الرأي الذي يغلب من غير  
دليل قام عليه، وأما الذي يشده برهان فالقول به جائز. وقال في المدخل: في  
هذا الحديث نظر، وإن صح فإنما من قال به والله أعلم فقد أخطأ الطريق،

فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من بعده ، وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد .

قال : وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه ، فيكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محودة .

### المتورعون امتنعوا عن استنباط المعاني :

وقال الماوردي : قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث عن ظاهره ، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ولم يعارض شواهدا نص صريح ، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ﴿ ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء بالاستنباط ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً ، وإن صح الحديث فتأويله أن من تكلم من القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وإصابته اتفاق ، إذ الغرض أنه مجرد رأي لا شاهد له .

### حمل القرآن على أحسن الوجوه :

وفي الحديث : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس ، فقوله ذلول يحتمل معنيين : أحدهما أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم . والثاني أنه موضح لمعانيه حتى لا يقصر عنه أفهام

المجتهدين. وقوله ذو وجوه يحتمل معنيين: أحدهما أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل. والثاني قد جمع وجوهاً من الأوامر والنوامي والترغيب والترهيب والتحريم.

وقوله فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل معنيين: أحدهما الحمل على أحسن معانيه. والثاني أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى اهـ.

### لا يجوز ان يفسر القرآن من لا يعرف لغة العرب:

وقال أبو الليث: النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجب التفسير لم تكن الحجة بالغة، فإذا كان كذلك لجاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره. وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير، ولو أنه يعلم التفسير وأراد أن يستخرج من الآية حكماً أو دليل الحكم فلا بأس. ولو قال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل، هو الذي نهى عنه.

### حكم التفسير بالرأي:

وقال ابن الأنباري: في الحديث الأول حمله بعض أهل العلم على أن الرأي معني به الهوى. فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.

وقال في الحديث الثاني: له معنيان: أحدهما من قال في مشكل القرآن بما لا

يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرّض لسخط الله تعالى .  
والآخر وهو الأصح: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده  
من النار .

وقال البغوي والكواشي وغيرهما: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما  
قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير  
محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى: ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ قيل شباباً  
وشيوخاً، وقيل أغنياء وفقراء، وقيل عزاباً ومتأهلين، وقيل نشاطاً وغير نشاط،  
وقيل أصحاء ومرضى، وكل ذلك سائغ والآية تحتمله. وأما التأويل المخالف  
للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض، قوله تعالى:  
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ إنها عليّ وفاطمة ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ﴾  
يعني الحسن والحسين .

### لا يجوز لكل واحد أن يتعاطى التفسير:

وقال بعضهم: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض  
فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً  
أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن  
ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك .

### المفسر يجب أن يجيد خمسة عشر علماً:

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها  
وهي خمسة عشر علماً .

أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب  
الوضع . قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله

إذا لم يكن عالماً بلغات العرب. وتقدم قول الإمام مالك في ذلك، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

**الثاني:** النحو، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره. أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتبس بها حسن النطق ويقيم بها قراءته، فقال: حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيب بوجهها فيهلك فيها.

**الثالث:** التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم، لأن وجد مثلاً كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها. وقال الزمخشري: من بدع التفسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ جمع أم، وإن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط أوجب جهله بالتصريف، فإن أمّا لا تجمع على إمام.

**الرابع:** الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافها كالسيح هل هو من السياحة أو المسح.

**الخامس والسادس، والسابع:** المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

وقال السكاكي: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه،

كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا التمرن على علمي المعاني والبيان.

وقال ابن الحديد: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيقي والأرشقي من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة، والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، ولا يدري سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليقه، وهكذا الكلام.

نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه وملاحظتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة. وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقهاء يكون من أهل الذوق ومن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة، فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.

وقال الزمخشري: من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد ببقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح.

وقال غيره: معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة. **الثامن**: علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. **التاسع**: أصول الدين بما في القرآن من الآية الدالة بظواهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز. **العاشر**: أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على



الأحكام والاستنباط. **الحادي عشر**: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه. **الثاني عشر**: النسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره، **الثالث عشر**: الفقه.

**الرابع عشر**: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

**الخامس عشر**: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بمحدث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ».

قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبطه منه بحر لا ساحل له. قال: فهذه العلوم التي هي كالألة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. قال: والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكْتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ.

قلت: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

### صاحب البدعة والذنب لا يوفق إلى تفسير القرآن:

وقال في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسرارها وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حبّ الدنيا أو وهو مصرّ على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض. قلت: وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ قال سفيان بن عيينة: يقول أنزع عنهم فهم القرآن. أخرجه ابن أبي حاتم.

## التفسير أربعة أوجه:

وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس قال: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى. ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ « أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب » قال الزركشي في البرهان في قول ابن عباس: هذا تقسيم صحيح.

**فأما الذي تعرفه العرب** فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك اللغة والإعراب، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها، ولا يلزم ذلك القارئ، ثم إن كان ما يتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين. وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهد من الشعر.

وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه ليوصل المفسر إلى معرفة الحكم ويسلم القارئ من اللحن.

وإن لم يكن محيلاً للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر لوصوله إلى المقصود بدونه.

**وأما ما لا يعذر أحد بجهله** فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً يعلم أنه مراد الله تعالى، فهذا القسم لا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وأنه لا شريك له في الإلهية، وإن لم يعلم أن لا موضوعة في اللغة للنفي وإلا للإثبات، وأن

مقتضى هذه الكلمة الحصر ، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه طلب إيجاب الأمور به ، وإن لم يعلم أن صيغة أفعل للوجوب ، فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة .

وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة لقيام الساعة وتفسير الروح والحروف المقطعة ، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق ، فلا مساع للاجتهاد في تفسيره ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله .

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل ، وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم .

وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي .

فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي .

وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية ، فالحمل على الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية كما في ﴿ وصلّ عليهم ﴾ ﴿ إن صلاتك سكن لهم ﴾ .

ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى وإن اتفقا في ذلك أيضاً .

فإن تنافى اجتماعها ولم يمكن إرادتها باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد في المراد منها بالأمارت الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه

وإن لم يظهر له شيء ، فهل يتخير في الحمل على أيهما شاء ويأخذ بالأغلظ حكماً  
أو بالأخف؟ أقوال .

وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في  
الإعجاز والفصاحة ، إلا إن دلّ دليل على ارادة أحدهما .

إذا عرف ذلك فينزل حديث « من تكلم بالقرآن برأيه » على قسمين من  
هذه الأربعة .

أحدهما تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له إلى التبحر في معرفة لسان العرب .

والثاني حمل اللفظ المحتمل على أحد معنيه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع  
من العلوم التبحر في العربية واللغة .

ومن الأصول ما يدرك به حدود الاشياء وصيغ الأمر والنهي والخبر والمجمل  
والمبين والعموم والخصوص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه والظاهر والمؤول  
والحقيقة والمجاز والصريح والكناية . ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط ، هذا  
أقل ما يحتاج إليه ، ومع ذلك فهو على خطر فعليه أن يقول يحتمل كذا ولا يجزم  
إلا في حكم اضطر إلى الفتوى به فأذى اجتهاده إليه فيجزم مع تجويز خلافه  
اهـ .

### معنى حديث التفسير بالرأي :

وقال ابن النقيب : جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة  
أقوال . أحدهما : التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير . الثاني :  
تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله . والثالث : التفسير المقرر للمذهب الفاسد  
بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيرد إليه بأيّ طريق أمكن وإن كان  
ضعيفاً . الرابع : التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل . الخامس

التفسير بالاستحسان والهوى .

### علوم القرآن ثلاثة أقسام:

ثم قال: واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام. الأول: علم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعاً.

الثاني: ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له.

قال: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل من القسم الأول.

الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها.

### ما لا يجوز الكلام فيه إلا سماعاً:

وهذا ينقسم إلى قسمين: منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد.

### ما يؤخذ بطريق النظر:

ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ وهو قسمان:

قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات.

وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية، لأن مبنائها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم

والإرشادات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية انتهى ملخصاً.

### علم التفسير لا بد له من النقل:

وقال أبو حيان: ذهب بعض من عاصرناه إلى أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تركيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم، وإن فهم الآيات يتوقف على ذلك. قال: وليس كذلك.

وقال الزركشي بعد حكاية ذلك: الحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل، ومنه ما لا يتوقف ويكنى في تحصيله الثقة على الوجه المعتبر. قال: وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحيل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط.

قال: واعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد، والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده، أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة: فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي ﷺ بشره بذلك حيث قال: اللهم علمه التأويل. وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لحديث «أفرضكم زيد.»

وأما ما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك وإلا وجب الاجتهاد.

وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق. وهذا يعتني به

الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيماً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتضاه السياق اهـ .

قلت: وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف، وقد تم والله الحمد في أربع مجلدات وسميته [ترجمان القرآن] ورأيت وأنا في أثناء تصنيفه النبي ﷺ في المنام في قصة طويلة تحتوي على بشارة حسنة .

### تفاسير الصحابة تكون حسب القراءة:

[تنبيه] من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة، وذلك أنه قد يرد عنهم تفسيران في الآية الواحدة مختلفان فيظن اختلافاً وليس باختلاف، وإنما كل تفسير على قراءة، وقد تعرض السلف لذلك. فأخرج ابن جرير في قوله تعالى ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرْتُ أَبْصَارُنَا﴾ من طرق عن ابن عباس وغيره أن سكرت بمعنى سدت، ومن طرق أنها بمعنى أخذت. ثم أخرج عن قتادة قال: من قرأ سكرت مشددة فإنما يعني سدت، ومن قرأ سكرت مخففة فإنه يعني سحرت، وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع .

ومثله قوله تعالى ﴿سرابيلهم من قطرانٍ﴾ أخرج ابن جرير عن الحسن أنه الذي تهنأ به الإبل. وأخرج من طرق عنه وعن غيره أنه النحاس المذاب، وليس بقولين وإنما الثاني تفسير لقراءة ﴿من قطرانٍ﴾ بتنوين قطر وهو النحاس، وأن شديد الحر كما أخرجه ابن أبي حاتم هكذا عن سعيد بن جبير .

وأمثلة هذا النوع كثيرة، والكافل بيانها كتابنا أسرار التنزيل، وقد خرجت على هذا قديماً الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره في تفسير آية ﴿أولامستم﴾ هل هو الجماع أو الجس باليد. فالأول تفسير لقراءة لامستم. والثاني

لقراءة لمستم ولا اختلاف .

### تفسير المتشابه يكون بالسنة:

[فائدة] قال الشافعي رضي الله عنه في مختصر البويطي: لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ أو خبر عن أحد من أصحابه أو إجماع العلماء، هذا نصه .

### تفسير الصوفية لا يعتمد عليه:

(فصل) وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير . قال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر .

قال ابن الصلاح: وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسير أو لا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس .

وقال النسفي في عقائده: النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد .

قال التفتازاني في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية . قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان .



وسئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني عن رجل قال في قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ أن معناه: من ذل: أي من الذل، ذي إشارة إلى النفس، يشف من الشفاء، جواب من ع أمر من الوعي، فأفتى بأنه ملحد، وقد قال تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾ قال ابن عباس: هو أن يضع الكلام على غير موضعه. أخرجه ابن أبي حاتم.

### دليل من قال إن للقرآن ظاهراً وباطناً:

فإن قلت: فقد قال الفريابي: حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ « لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ ولكل حدّ مطلع ». وأخرج الديلمي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً « القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد ». وأخرج الطبراني وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفاً. إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حدّ. ولكل حدّ مطلع.

### معنى الظهر والبطن:

قلت: أما الظهر والبطن ففي معناه أوجه.

أحدها: أنك إذا بحثت عن باطنها وقستة على ظاهرها وقفت على معناها.

والثاني: أن ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها كما قاله ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم.

الثالث: أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها.

الرابع: قال أبو عبيد: وهو أشبهها بالصواب أن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين إنما هو حديث

حدث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم فيحل بهم مثل ما حلّ بهم.

وحكى ابن النقيب قولاً خامساً: أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق.

### معنى (لكل حرف حد):

ومعنى قوله « ولكل حرف حدّ » أي منتهى فيما أراد الله من معناه. وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

ومعنى قوله « ولكل حدّ مطلع » لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلا معرفته ويوقف على المراد به. وقيل كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة.

وقال بعضهم: الظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحدّ أحكام الحلال والحرام، والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد.

قلت: يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطن، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى: أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء.

### من أراد علم الاولين والآخرين فعليه بالقرآن:

وقال ابن سريج في شفاء الصدور:  
ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً.

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن، وهذا الذي قاله لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر.

### لا يجوز التهاون في حفظ الظاهر:

وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسمع لا بد منه في ظاهر التفسير لينتفي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه أولاً، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب اهـ.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان، وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: « لكل آية ظهر وبطن » فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم وأن يقول لك ذو جدل معارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرؤون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم.

### على المفسر أن يتحرى:

(فصل) قال العلماء: يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسر،

وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لتلقيق بالغرض، ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه.

وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية.

وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارة.

### كيف يبدأ المفسر:

وقال الزركشي في أوائل البرهان: قد جرت عادة المفسرين أن يبدووا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه أيما أولى بالبداءة به لتقدم السبب على المسبب أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول. قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة. وقال في موضع آخر: جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها، إلا الزمخشري فإنه يذكرها في أواخرها.

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرساني: سألت الزمخشري عن العلة في ذلك فقال: لأنها صفات لها، والصفة تستدعي تقديم الموصوف، وكثيراً ما يقع في كتب التفسير: حكى الله كذا فينبغي تجنبه. قال الإمام أبو النصر القشيري في المرشد: قال معظم أئمتنا: لا يقال كلام الله محكي ولا يقال حكى الله، لأن

الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل. وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار، وكثيراً ما يقع في كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف، وقد مرّ في نوع الإعراب.

### يتجنب المفسر ادعاء التكرار:

وعلى المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه. قال بعضهم: بما يدفع توهم التكرار في عطف المترادفين نحو: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ ﴿صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وأشبه ذلك أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الألفاظ اهـ.

### يجب مراعاة نظم الكلام:

وقال الزركشي في البرهان: ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوّز. وقال في موضع آخر: على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الألفاظ التي يظن بها الترادف والقطع بعدم الترادف ما أمكن، فإن للتركيب معنى غير معنى الأفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب وإن اتفقوا على جوازه في الأفراد اهـ.

وقال أبو حيان: كثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعراب بعلة النحو ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه، وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر

هذا في علم التفسير .

### علم التفسير واسع جامع ومثال ذلك الفاتحة:

[ فائدة ] قال ابن أبي جرّة عن علي رضي الله عنه أنه قال: لو شئت أن أقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن لفعلت. وبيان ذلك أنه إذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج تبين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله وما يليق به من التنزيه .

ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم: أربعائة في البرّ وستائة في البحر فيحتاج إلى بيان ذلك كله. فإذا قال الرحمن الرحيم يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرها .

فإذا قال مالك يوم الدين يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقره. فإذا قال: ﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وأدائها على جميع أنواعها والعابد في صفته والاستعانة وأدائها وكيفيتها .

فإذا قال ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هي والصراط المستقيم وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع، وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله عليّ من هذا القبيل .

## النوع التاسع والسبعون: في غرائب التفسير

### تفاسير يجب التحذير منها:

ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتاباً في مجلدين سماه [العجائب والغرائب] ضمنه أقوالاً ذكرت في معاني الآيات بنكرة لا يحلّ الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها. من ذلك قول من قال في «جمعسق» إن الحاء حرب عليّ ومعاوية، والميم ولاية مروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفينانية، والقاف قدوة مهدي، حكاها أبو مسلم. ثم قال: أردت بذلك أن يعلم أن فيمن يدعي العلم حقى.

### أمثلة على ذلك:

ومن ذلك قول من قال في «آلم» معنى ألف: ألف الله محمداً فبعثه نبياً، ومعنى لام: لأمه الجاحدون وأنكروه، ومعنى ميم: ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو الرسام.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب﴾ أنه قصص القرآن، واستدل بقراءة أبي الجوزاء: ولكن في القصص، وهو بعيد، بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة، وذلك من وجوه إعجاز القرآن كما بينته في أسرار التنزيل.

ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ إن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه: أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه

المشاهدة إذ رآها عياناً. قال الكرمانى: وهذا بعيد جداً.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ أنه الحبّ والعشق، وقد حكاه الكواشي في تفسيره.

ومن ذلك قول من قال في: ﴿وَمَنْ شَرٌّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ إنه الذكر إذا انتصب. ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ يعني إبراهيم ﴿نَاراً﴾ أي نوراً وهو محمد ﷺ: ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ تقتبسون الدين.



## النوع الثامنون: في طبقات المفسرين

### الصحابة المفسرون:

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزره جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة.

### من أشهرهم علي:

وأما عليّ فروي عنه الكثير، وقد روى معمر عن وهب بن عبدالله عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن. وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحسي عن أبيه عن عليّ قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت؟ إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سئولاً.

### وابن مسعود :

وأما ابن مسعود فروي عنه أكثر مما روي عن عليّ، وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته.

وأخرج أبو نعيم عن أبي البحتري قال: قالوا لعليّ: أخبرنا عن ابن مسعود، قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً.

### وابن عباس :

وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال له أيضاً « اللهم آتة الحكمة » وفي رواية: « اللهم علمه الحكمة ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال: « دعا رسول الله ﷺ لعبدالله ابن عباس فقال: اللهم بارك فيه وانشر منه ». وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبدالله بن بريدة عن ابن عباس قال: « انتهيت إلى النبي ﷺ وعنده جبريل، فقال جبريل: إنه كائن خبر هذه الأمة فاستوص به خيراً ».

### ابن عباس ترجمان القرآن :

وأخرج من طريق عبدالله بن حراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله ﷺ: « نعم ترجمان القرآن أنت ». وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال: نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس. وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه.

وأخرج عن ابن الحنفية قال: كان ابن عباس حبر هذه الأمة.

وأخرج عن الحسن قال: إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل كان عمر يقول: ذاك فتى الكهول، إن له لساناً سئولاً وقلباً عقولاً.

### عمر بن الخطاب يثني على علم ابن عباس:

وأخرج من طريق عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن: ﴿السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ فقال: اذهب إلى ابن عباس فأسأله ثم تعال فأخبرني، فذهب فسأله فقال: كانت السموات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات، فرجع إلى ابن عمر فأخبره فقال: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً.

### ابن عباس يفوق شيوخ الصحابة:

وأخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول.

وأخرج أيضاً من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: قال عمر بن

الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ : فيمن ترون هذه الآية نزلت : ﴿أبوءُ  
أحدكم أن تكون له جنة من نخيلٍ وأعنابٍ﴾ قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر  
فقال : قولوا نعم أو لا نعم ، فقال ابن عباس في نفسي منها شيء ، فقال : يا ابن  
أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل ، فقال عمر : أي  
عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله ، ثم بعث له الشيطان فعمل  
بالمعاصي حتى أغرق أعماله .

### ابن عباس يتحدث عن ليلة القدر في رهط من المهاجرين :

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس أن عمر بن  
الخطاب جلس في رهط من المهاجرين من الصحابة فذكروا ليلة القدر ، فتكلم  
كل بما عنده ، فقال عمر : مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم ؟ تكلم ولا تمنعك  
الحدائث ، قال ابن عباس : فقلت يا أمير المؤمنين إن الله وتر يحب الوتر ، فجعل  
أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وخلق الإنسان من سبع ،  
وخلق فوقنا سموات سبعاً ، وخلق تحتنا أرضين سبعاً ، وأعطي من المثاني سبعاً ،  
ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسم الميراث في كتابه على سبع ،  
ونقع في السجود من أجسادنا على سبع ، فطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سبعاً ،  
وبين الصفا والمروة سبعاً ، ورمي الجمار بسبع ، فأراها في السبع الأواخر من شهر  
رمضان ، فتعجب عمر فقال : ما وافقني فيها أحد إلا هذا الغلام الذي لم تستو  
شؤون رأسه ، ثم قال : يا هؤلاء من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس .

### ورد عن ابن عباس الكثير من التفسير :

وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق  
مختلفة ، فمن جيدها طريق عليّ بن أبي طلحة الهاشمي عنه قال أحمد بن حنبل :  
بمصر صحيفة في تفسير رواها عليّ بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر

قاصداً ما كان كثيراً. أسنده أبو جعفر النحاس في ناسخه.

قال ابن حجر: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس.

وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً بوسائط بينهم وبين أبي صالح. وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير. قال ابن حجر: بعد أن عرفت الوساطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك.

### شك بعضهم في نسبة ما وصلنا من تفسير ابن عباس:

وقال الخليلي في الإرشاد: تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث عن معاوية، وأجمع الحفاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس. قال: وهذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل، كتفسير جوير عن الضحاک عن ابن عباس، وعن ابن جريج في التفسير جماعة رووا عنه، وأطولها ما يرويه بكر بن سهل الدميّاطي عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج، وفيه نظر.

### تفسير ابن عباس قبله الأكثرون:

وروى محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار، وذلك صححه. وروى الحجاج بن محمد عن ابن جريج نحو جزء، وذلك صحيح متفق عليه. وتفسير شبل بن عباد المكي عن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس قريب إلى الصحة. وتفسير عطاء بن دينار يكتب ويحتج به. وتفسير أبي روق نحو جزء

صححوه. وتفسير إسماعيل السدي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس .  
وروى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه  
أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي .  
فأما ابن جريج فإنه لم يقصد الصحة، وإنما روى ما ذكر في كل آية من الصحيح  
والسقيم. وتفسير مقاتل بن سليمان، فمقاتل في نفسه ضعفوه، وقد أدرك الكبار  
من التابعين، والشافعي أشار إلى أن تفسيره صالح. انتهى كلام الإرشاد .

وتفسير السدي أشار إليه يورد منه ابن جرير كثيراً من طريق السدي عن أبي  
مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من  
الصحابة هكذا، ولم يورد منه ابن أبي حاتم شيئاً لأنه التزم أن يخرج أصح ما  
ورد. والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه، لكن من طريق مرة عن  
ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الأول.

### طرق تفسير ابن عباس بعضها صحيح وبعضها ضعيف:

وقد قال ابن كثير: إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة. ومن  
جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير  
عنه، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين.

وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه. ومن ذلك طريق ابن  
إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن  
جبير عنه هكذا بالترديد، وهي طريق جيدة وإسنادها حسن.

وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً. وفي معجم الطبراني الكبير  
منها أشياء .

وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي.

لكن قال ابن عديّ في الكامل: للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشعب، وبعده مقاتل بن سليمان، إلا أن الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الرديّة. وطريق الضحّاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإن الضحّاك لم يلقه، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه فضعيفة لضعف بشر. وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبي حاتم، وإن كان من رواية جوير عن الضحّاك فأشدّ ضعفاً، لأن جويراً شديد الضعف متروك.

ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئاً، وإنما خرجها ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان. وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، والعوفي ضعيف ليس بواهٍ، وربما حسن له الترمذي.

ورأيت عن فضائل الإمام الشافعي لأبي عبد الله بن أحمد بن شاعر القطان أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث.

### من مفسري الصحابة أبي بن كعب:

وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه، وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً، وكذا الحاكم في مستدرّكه وأحمد في مسنده.

## جماعة من الصحابة عرفوا بالتفسير:

وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير كأنس وأبي هريرة وابن عمر وجابر وأبي موسى الأشعري.

وورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون ما تحمله عن أهل الكتاب كالذي ورد عنه في قوله تعالى: ﴿ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ وكتابنا الذي أشرنا إليه جامع لجميع ما ورد عن الصحابة من ذلك طبقة التابعين.

## أعلم الناس بالتفسير في عهد التابعين:

قال ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس اهـ.

## من مبرزي التابعين ( مجاهد ):

فمن المبرزين منهم مجاهد. قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وعنه أيضاً قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيما نزلت وكيف كانت.

وقال خفيف: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد. وقال النووي: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

قال ابن تيمية: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم. قلت: وغالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه، وما أورده فيه عن ابن



عباس أو غيره قليل جداً.

### سعيد بن جبير:

ومنهم سعيد بن جبير. قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك.

وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلل والحرام.

### عكرمة مولى ابن عباس:

ومنهم عكرمة مولى ابن عباس. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وقال سماك بن حرب. سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين.

وقال عكرمة: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن. وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك قال: قال عكرمة: كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس.

### ومن مفسري التابعين أيضاً:

ومنهم الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي وأبو العالية والضحاك بن مزاحم وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم ومرة الهمداني وأبو مالك، ويليهم الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في آخرين، فهؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة.

## بعد طبقة التابعين ألفت التفاسير:

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وهبذ الرزاق وآدم بن أبي إياس وإسحاق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد بن حميد وسعيد وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين.

## تفسير الطبري تفوق على سواه:

وبعدهم ابن جرير الطبري وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم وابن ماجة والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

## كثرت التفاسير بعد ذلك:

ثم ألفت في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسبح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير، حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين.

## تفاسير غلب عليها فن من فنون العلم:

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه. فالنحوي تراه ليس له همّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر. والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفائها والإخبار عن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبي.

والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي.

وصاحب العلوم العقلية خصوصاً الإمام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية.

## تفسير الرازي:

قال أبو حيان في البحر: جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير. ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير. والمبتدع ليس له قصد إلا تعريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه.

## تفسير الكشاف:

قال البلقيني: استخرجت من الكشاف اعتزلاً بالمناقش من قوله تعالى في تفسير ﴿فمن زُحِرَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ وأي فوز أعظم من

دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية. والملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله كقول بعضهم في ﴿إن هي الا فتنتك﴾ ما على العباد أضرّ من ربهم. وكقوله في سحرة موسى ما قال، وقول الرافضة: أمركم أن تذبحوا بقرة ما قالوا. وعلى هذا وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبي ﷺ قال « إن في أمي قوماً يقرأون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله »

### تفسير الطبري:

فإن قلت: فأى التفاسير ترشد إليه وتأمّر الناظر أن يعول عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله. قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله.

### تفسير السيوطي:

وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة والأقوال المقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك، بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، وسميته بـ [ مجمع البحرين ومطلع البدرين ] وهو الذي جعلت هذا الكتاب مقدمة له، والله أسأل أن يعين على إكماله بمحمد وآله.

وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب، فلنختمه بما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصرّح برفعها إليه غير ما ورد من أسباب النزول لتستفاد فإنها من المهمات.

(الفاتحة) أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن عدي

ابن حبان قال: قال رسول الله ﷺ « إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين النصارى » وأخرج ابن مردويه عن أبي ذرّ « سألت النبي ﷺ عن المغضوب عليهم قال: اليهود، قلت: الضالين، قال: النصارى ».

(البقرة) أخرج ابن مردويه في مستدركه وصححه من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ قال: من الحيض والغائط والنخامة والبزاق.

قال ابن كثير: في تفسيره في إسناده الربيعي قال فيه ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. قال في تصحيح الحاكم: له نظر، ثم رأيت في تاريخه قال: إنه حديث حسن. وأخرج ابن جرير بسند رجاله ثقات عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام أحسن عليه الشاء قال « قيل يا رسول الله ما العدل؟ قال: العدل الفدية » مرسل جيد عضده إسناد متصل عن ابن عباس موقوفاً.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « قيل لبني إسرائيل ﴿ ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة » فيه تفسير قوله ﴿ قولاً غير الذي قيل لهم ﴾.

وأخرج الترمذي وغيره بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره »

وأخرج أحمد بهذا السند عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة ». وأخرج الخطيب في الرواية بسند فيه مجاهيل عن مالك عن نافع عن ابن عمر « عن النبي ﷺ في قوله ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه ».

وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن علي بن أبي طالب « عن النبي ﷺ في قوله ﴿ لا ينال عهدى الظالمين ﴾ قال: لا طاعة إلا في المعروف » له شاهد أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً بلفظ « ليس لظالم عليك عهد أن تطيعه في معصية الله »

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصحاحه عن أبي سعيد الخدري « عن النبي ﷺ في قوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ قال: عدلاً » .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فذلك قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ قال: والوسط العدل « فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ويشهد عليكم » قوله والوسط العدل مرفوع غير مدرج، نبه عليه ابن حجر في شرح البخاري .

وأخرج أبو الشيخ والديلمي في مسند الفردوس من طريق جبير عن الضحاک عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ يقول: اذكروني يا معشر العباد بطاعتي أذكركم بمغفرتي » .

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة قال: « انقطع قبال النبي ﷺ فاسترجع، فقالوا: مصيبة يا رسول الله، فقال: ما أصاب المؤمن مما يكرهه فهو مصيبة » له شواهد كثيرة .

وأخرج ابن ماجة وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال: « كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال: إن الكافر يضرب ضربة بين عينيه فيسمعها كل دابة غير الثقلين، فتلمنه كل دابة سمعت صوته » فذلك قول الله: ﴿ ويلعنهم اللاعنون ﴾

يعني دواب الأرض.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة قال: « قال ﷺ في الحج أشهر معلومات » قال: شوال وذو القعدة وذو الحجة .»

وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحج﴾ قال: الرفث التعرض للنساء بالجماع، والفسوق المعاصي، والجدال جدال الرجل صاحبه .»

وأخرج أبو داود عن عطاء أنه سئل عن اللغو في اليمين فقال: قالت عائشة: « إن رسول الله ﷺ قال: هو كلام الرجل في بيته: كلا والله، وبلى والله » أخرجه البخاري موقوفاً عليها.

وأخرج أحمد وغيره عن أبي رزین الأسدي قال: « قال رجل: يا رسول الله أرأيت قول الله: ﴿الطلاق مرتان﴾ فأين الثالثة؟ قال: التسريح بإحسان الثالثة .»

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة؟ قال: ﴿فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ﴾ .»

وأخرج الطبراني بسند لا بأس به من طريق أبي لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: « الذي بيده عقدة النكاح الزوج .»

وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلاة الوسطى صلاة العصر » وأخرج أحمد والترمذي وصححه عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة الوسطى صلاة العصر .» وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلاة الوسطى صلاة

العصر». وأخرج أيضاً عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلاة الوسطى صلاة العصر » وله طرق أخرى وشواهد.

وأخرج الطبراني عن عليّ عن رسول الله ﷺ قال: « السكينة ريح خجوج ». وأخرج ابن مروديه من طريق جويبر عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: القرآن. قال ابن عباس: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البرّ والفاجر.

(آل عمران) أخرج أحمد وغيره عن أبي أمامة: « عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قال: هم الخوارج وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: هم الخوارج.

وأخرج الطبراني وغيره عن أبي الدرداء: « أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال: من برّت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعفّ بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم ».

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس قال: « سئل رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَالْقَنَايِرِ الْمَقْنَطَرَةِ﴾ قال: القنطار ألف أوقية ».

وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « القنطار اثنا عشر ألف أوقية ».

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ قال: أما من السموات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرهاً فمن أتى به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون.



وأخرج الحاكم وصححه عن أنس: « أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى: ﴿ من استطاعَ إليه سبيلاً ﴾ ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة، وأخرج الترمذي مثله من حديث ابن عمر وحسنه.

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن نفيح قال: « قال رسول الله ﷺ: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاعَ إليه سبيلاً، ومن كفرَ فإن الله غني عن العالمين ﴾ فقام رجل من هذيل فقال: يا رسول الله من تركه فقد كفر، قال: من تركه لا يخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه » نفيح تابعي، والإسناد مرسل وله شاهد موقوف على ابن عباس.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: « قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى. »

وأخرج ابن مردويه عن أبي جعفر الباقر قال: « قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ ثم قال: الخير اتباع القرآن وسنتي » معضل.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف عن ابن عمر: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ﴾ قال: تبيضّ وجوه أهل السنة، وتسودّ وجوه أهل البدع. »

وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ مسومين ﴾ قال: معلمين » وكانت سبأ الملائكة يوم بدر عائم سوداً ويوم أحد عائم حمراً.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ

بلهزمتيه: يعني شذقيه يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ الآية .

(النساء) أخرج ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عائشة: «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ذلك أدنى أن لا تعولوا﴾ قال: أن لا تجوروا» قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث خطأ، والصحيح عن عائشة موقوف .

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر: قال قرىء عند عمر: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾ فقال معاذ: عندي تفسيرها، تبدل في ساعة مائة مرة، فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله ﷺ .

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة: «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾ قال: إن جزاه» .

وأخرج الطبراني وغيره بسند ضعيف عن ابن مسعود قال: «قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فيوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا» .

وأخرج أبو داود في المراسيل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله، فسأله عن الكلالة، فقال: أما سمعت الآية التي أنزلت في الصيف: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ فمن لا يترك ولدأ ولا والدأ فورثته كلاله» مرسل . وأخرج أبو الشيخ في كتاب الفرائض عن البراء: «سألت رسول الله عن الكلالة فقال: ما خلا الولد والوالد» .

(المائدة) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري: «عن رسول الله ﷺ قال: كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكاً» له شاهد من مرسل زيد بن أسلم عند ابن جرير .

وأخرج الحاكم وصححه عن عياض الأشعري قال: « لما نزلت: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: هم قوم هذا ». وأخرج الطبراني عن عائشة « عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ أو كسوتهم ﴾ قال: عباءة لكل مسكين ».

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي أمية السفياني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم ﴾ قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ قال: « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ». وأخرج أحمد والطبراني وغيرهما عن أبي عامر الأشعري قال: « سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: لا يضركم من ضلَّ من الكفار إذا اهتديتم ».

(الأنعام) أخرج ابن مردويه وأبو الشيخ من طريق نهشل عن الضحاک عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « مع كل إنسان ملك إذا نام يأخذ نفسه، فإن أذن الله في قبض روحه قبضه وإلا رده إليه، فذلك قوله: ﴿ يتوفاكم بالليل ﴾ » نهشل كذاب.

وأخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال: « لما نزلت هذه الآية: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ إنما هو الشرك ».

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري: « عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ قال: لو أن الجن

والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبداً» .

وأخرج الفريابي وغيره من طريق عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال: « سئل النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ قالوا: كيف يشرح صدره؟ قال: نور يقذف به فينشرح له وينفسح، قالوا: فهل لذلك من أمانة يعرف بها؟ قال: الإثابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت» مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها إلى درجة الصحة أو الحسن .

وأخرج ابن مردويه والنحاس في ناسخه عن أبي سعيد الخدري: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: ما سقط من السنبل» .

وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: « ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلِفُ نَفْساً إِلَّا وَسْعَهَا﴾ فقال: من أربى على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيها لم يؤاخذ، وذلك تأويل وسعها» .

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد: « عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا﴾ قال: يوم طلوع الشمس من مغربها» له طرق كثيرة في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره .

وأخرج الطبراني وغيره بسند جيد عن عمر بن الخطاب: « أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾ هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء» . وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أهل البدع والأهواء في هذه الأمة» .

(الأعراف) أخرج ابن مردويه وغيره بسند ضعيف عن أنس « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ خذوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ قال: صلوا في نعالكم » له شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي الشيخ.

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن البراء بن عازب: « أن رسول الله ﷺ ذكر العبد الكافر إذا قبضت روحه قال: فيصعدون بها فلا يميرون على ملائكة من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحاً، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سَحِيقٍ ﴾.

وأخرج ابن مردويه عن جابر عن عبد الله قال: « سئل رسول الله ﷺ عن استوت حسناته وسيئاته، فقال: أولئك أصحاب الأعراف » له شواهد.

وأخرج الطبراني والبيهقي وسعيد بن منصور وغيرهم عن عبدالرحمن المزني قال: « سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم أناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله » له شاهد من حديث أبي هريرة عند البيهقي ومن حديث أبي سعيد عند الطبراني.

وأخرج البيهقي بسند ضعيف عن أنس مرفوعاً: إنهم مؤمنو الجن.

وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ « الطوفان الموت ». وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصحاحه عن أنس: « أن النبي ﷺ قرأ ﴿ فلما تجل ربه للجبل جعله دكاً ﴾ قال: هكذا، وأشار بطرف إبهامه على أمثلة أصبعه

اليمنى فساخ الجبل: ﴿وخرَّ موسى صعقاً﴾. وأخرجه أبو الشيخ بلفظ: «وأشار بالخنصر فمن نوره جعله دكاً».

وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة، كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً».

وأخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم فقال: أأستبربكم؟ قالوا بلى».

وأخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ في هذه الآية أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: أأستبربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة شهدنا».

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه الحاكم وصححه عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك وحي الشيطان وأمره».

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي قال: «لما أنزل الله ﴿خذ العفو﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: ما هذا يا جبريل؟ قال: لا أدري - حتى أسأل العالم، فذهب ثم رجع قال: إن الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك» مرسل.

(الأنفال) أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس: «عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس﴾»

قيل يا رسول الله ومن الناس؟ قال: أهل فارس.

وأخرج الترمذي وضعفه عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله عليّ أمانين لأمتي: ﴿وما كانَ اللهُ ليعذبَهُمْ وأنتَ فِيهِمْ﴾ ﴿وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وهم يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة».

وأخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ ألا وإن القوّة الرمي» فمعناه والله أعلم أن معظم القوّة وأنكأها للعدوّ الرمي.

وأخرج أبو الشيخ من طريق أبي المهدي عن أبيه عن حدثه «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وآخرينَ من دُونِهِمْ لا تعلمُونَهُمْ﴾ قال: هم الجن». وأخرج الطبراني مثله من حديث يزيد بن عبدالله بن غريب عن أبيه عن جده مرفوعاً.

(براءة) أخرج الترمذي عن عليّ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: يوم النحر» وله شاهد عن ابن عمر عند ابن جرير. أخرج ابن أبي حاتم عن المسور بن مخرمة: «أن رسول الله ﷺ قال يوم عرفة: هذا يوم الحج الأكبر».

وأخرج أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله: ﴿إنما يَعمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مِن آمنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ﴾».

وأخرج ابن المبارك في الزهد والطبراني والبيهقي في البعث عن عمران بن الحصين وأبي هريرة قالوا: «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ومساكنَ طيبةٍ في جَنّاتِ عَدْنٍ﴾ قال: قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سرير على

كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع» .

وأخرج مسلم وغيره عن أبي سعيد قال: «اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: هو مسجدي» .

وأخرج أحمد مثله من حديث سهل بن سعد وأبي بن كعب. وأخرج أحمد وابن ماجه وابن خزيمة عن عويم بن ساعدة الأنصاري: «أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: إن الله قد أحسن عليكم الشاء في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور؟ قالوا: ما نعلم شيئاً إلا أنا نستنجي بالماء، قال: هو ذاك فعليكموه» .

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «السائحون هم الصائمون» .

(يونس) أخرج مسلم عن صهيب أن النبي ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنَى: الجنة، والزيادة: النظر إلى ربهم، وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري وكعب بن عجرة وأنس وأبي هريرة. وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر: «عن رسول الله ﷺ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله - الحسنَى - الجنة وزيادة النظر إلى الله تعالى» .

وأخرج أبو الشيخ وغيره عن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ قال: القرآن ﴿وبرحمته﴾ أن جعلكم من أهله» .



وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أشتكى، قال: اقرأ القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ » وله شاهد من حديث واثلة بن الأسقع أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

وأخرج أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من عباد الله ناساً يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يجزنون إذا حزنوا، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ». وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: « سئل النبي ﷺ عن قول الله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال: الذين يتحابون في الله تعالى. وورد مثله من حديث جابر بن عبد الله أخرجه ابن مردويه.

وأخرج أحمد وسعيد بن منصور والترمذي وغيرهم عن أبي الدرداء: « أنه سئل عن هذه الآية: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ قال: ما سألتني عنها أحد منذ سألت النبي ﷺ، فقال: ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، فهي بشرى في الحياة الدنيا وبشرى في الآخرة الجنة » له طرق كثيرة. وأخرج ابن مردويه عن عائشة: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ قال: دعوا ».

(هود) أخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال: « تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ليلوكم أيكم أحسن عقلاً﴾ فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله » قال: أيكم أحسن عقلاً، وأحسنكم عقلاً أورعكم عن محارم الله تعالى وأعملكم بطاعة الله تعالى ».

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه لسيئة قديمة: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾».

وأخرج أحمد عن أبي ذرّ قال: «قلت يا رسول الله أوصني، قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها، قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: هي أفضل الحسنات». وأخرج الطبراني وأبو الشيخ عن جرير بن عبد الله قال: «لما نزلت: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ قال رسول الله ﷺ: وأهلها ينصف بعضهم بعضاً».

(يوسف) أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله قال: «جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها، فلم يجبه بشيء حتى أتاه جبريل فأخبره، فأرسل إلى اليهودي فقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتك بها؟ قال: نعم، فقال: خرثان وطارق والذيال وذو الكيعان وذو الفرع ووثاب وعمودان وقابس والصروح والمصبح والفليق والضياء والنور، فقال اليهودي: أي والله إنها لأسماؤها: ﴿والشمس والقمر﴾ يعني أباه وأمه رآها في أفق السماء ساجدة له، فلما قص رؤياه على أبيه قال: أرى أمراً متشتماً يجمعه الله».

وأخرج ابن مردويه عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لما قال يوسف ﴿ذلك ليعلم أنني لم أكنه بالغيب﴾ قال له جبريل: يا يوسف اذكر همك، قال: وما أبرئ نفسي».

(الرعد) أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي هريرة: «عن النبي ﷺ في قوله ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال: الدقل والفارسي والحلو والحامض».

وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن ابن عباس قال: «أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله، قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: صوته. وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن نجاد الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الرعد ملك يزجر السحاب، والبرق طرف ملك يقال له روفيل».

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكاً موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الرابية في يده مخراق. فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت».

وأخرج أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام».

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ﴾ إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت». وأخرج ابن مردويه عن جابر عن عبد الله بن رثاب «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ﴾ قال: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ سئل عن قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ﴾ قال: ذلك كله ليلة القدر يرفع ويجبر ويرزق، غير الحياة والموت والشقاء والسعادة، فإن ذلك لا يبدل».

وأخرج ابن مردويه: «عن عليّ أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: لأقرن عينك بتفسيرها، ولأقرن عين أمتي من بعدي بتفسيرها: الصدقة على

وجها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف تحوّل الشقاء سعادة وتزيد في العمر .

(إبراهيم) أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطى الشكر لم يجرم الزيادة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ .

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي أمامة: «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرعه﴾ قال: يقرب إليه فيتكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماءً حمياً فقطع أمعاءهم﴾ وقال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن كعب بن مالك: «رفعه إلى النبي ﷺ فيما أحسب في قوله تعالى: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ قال: يقول أهل النار هلموا فلنصبر، فيصبرون خمسمائة عام، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: هلموا فلنجزع، فيبكون خمسمائة عام، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ .

وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان وغيرهم عن أنس: «عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾ قال: هي الحنظل .»

وأخرج أحمد وابن مردويه بسند جيد عن ابن عمر: «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كشجرة طيبة﴾ قال: هي التي لا ينقص ورقها هي النخلة .»

وأخرج الأئمة الستة عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿﴾ .

وأخرج مسلم عن ثوبان قال: « جاء خبر من اليهود النبي ﷺ فقال: أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: هي في الظلمة دون الجسر » .

وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت: « أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ قلت: أين الناس يومئذ؟ قال على الصراط » .

وأخرج الطبراني في الأوسط والبزار وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن مسعود قال: « قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ قال: أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة .

(الحجر) أخرج الطبراني وابن مردويه وابن حبان عن أبي سعيد الخدري: « أنه سئل سمعت من رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿ربما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: نعم سمعته يقول: يخرج الله ناساً من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون: تدعون بأنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم، فتشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله تعالى، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم، فذلك قول الله: ﴿ربما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ » وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري وجابر بن عبد الله وعليّ .

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لكل بابٍ منهم جُزءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ قال: جزء أشركوا وجزء شكوا في الله تعالى وجزء غفلوا عن الله تعالى .

وأخرج البخاري والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أم القرآن السبع هي المثاني والقرآن العظيم » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: « سألت رجل رسول الله ﷺ قال: أرأيت قول الله: ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ قال: اليهود والنصارى قال: ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ ما عضين؟ قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض » .

وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ فوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال: عن قول لا إله إلا الله .

(النحل) أخرج ابن مردويه عن البراء: « أن النبي ﷺ سئل عن قول الله: ﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب ﴾ قال: عقارب أمثال النحل الطوال ينهشونهم في جهنم » .

(الإسراء) أخرج البيهقي في الدلائل عن سعيد المقبري: « أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ عن السواد الذي في القمر، فقال: كانا شمسين، فقال الله: ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فَمَحَوْنَا آيةَ الليل ﴾ فالسواد الذي رأيت هو المحو » .

وأخرج الحاكم في التاريخ والديلمي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « ولقد كرمتنا بني آدم ﴾ فقال: الكرامة الأكل بالأصابع » .

أخرج ابن مردويه عن علي قال: « قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿ يوم

ندعو كل أناس بإمامهم ﴿ قال: يدعى كل قوم بإمام لهم وكتاب ربهم ﴾ .

وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب: « عن النبي ﷺ: ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ قال: لزوال الشمس ». وأخرج البزار وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « دلوك الشمس: زوالها » .

وأخرج الترمذي وصححه النسائي عن أبي هريرة: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » .

وأخرج أحمد وغيره عن أبي هريرة: « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي » وفي لفظ: « هي الشفاعة » وله طرق كثيرة مطولة ومختصرة في الصحاح وغيرها . وأخرج الشيخان وغيرهما عن أنس قال: « قيل يا رسول الله كيف تحشر الناس على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم » .

(الكهف) أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: « لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة » .

وأخرج عنه أيضاً: « عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ بماء كالمهل ﴾ قال: كعكر الزيت، فإذا قربه إليه سقطت فروة وجهه فيه » .

وأخرج أحمد عنه أيضاً: « عن رسول الله ﷺ قال: ﴿ الباقيات الصالحات ﴾ التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله » . وأخرج أحمد من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » . وأخرج الطبراني مثله من حديث سعد بن جنادة . وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات » .

وأخرج أحمد عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: « ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا، وإن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواعته من مسيرة أربعين سنة ».

وأخرج البزار بسند ضعيف عن أبي ذرّ رفعه قال: إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من ذهب مصمت، عجبت لمن أيقن بالقدر لم ينصب، وعجبت لمن ذكر النار كيف يضحك، وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إذا سألت الله فاسأله الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة ».

(مريم) أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: « إن السريّ الذي قال الله لمريم ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ نهر أخرجه الله لتشرب منه ».

وأخرج مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبه قال: « بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا: أرايت ما تقرؤون: ﴿ يَا أختَ هَارُونَ ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمعون بالأنبياء والصالحين قبلهم ».

وأخرج أحمد والشيخان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرفون فينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح، ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ وأشار بيده وقال: أهل الدنيا في غفلة ».



وأخرج ابن جرير عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: « غي وأتام بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار » قال ابن كثير: حديث منكر.

وأخرج أحمد بن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم: ﴿ ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً ﴾.

وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض فذلك قوله: ﴿ سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾.

(طه) أخرج ابن أبي حاتم والترمذي عن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا وجدتم الساحر فاقتلوه، ثم قرأ: ﴿ ولا يُفْلِحُ الساحرُ حيث أتى ﴾ قال: لا يؤمن حيث وجد ».

وأخرج البزار بسند جيد عن أبي هريرة: « عن النبي ﷺ: ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ قال: عذاب القبر ».

(الأنبياء) أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: « قلت يا رسول الله أنبئني عن كل شيء خلق من الماء ».

(الحج) أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال: « اختصار الطعام بمكة إلهاد ».

وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما سمي البيت البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار ».

وأخرج أحمد عن خريم بن فاتك الأسدي عن النبي ﷺ قال: « عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله ثم تلا: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قولَ الزور﴾ ».

(المؤمنون) أخرج ابن أبي حاتم عن مرة البهزي قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل: إنك تموت بالربوة، فمات بالربوة » قال ابن كثير: غريب جداً.

وأخرج أحمد عن عائشة: « أنها قالت: يا رسول الله: ﴿الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ قال: يا ابنة الصديق ولكنه ألفي يصوم ويصلي وتصدق ويخاف الله ».

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد « عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة ».

(النور) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال: « قلت يا رسول الله هدانا الله السلام فما الاستثناس؟ قال: يتكلم الرجل بتسيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحج فيؤذن أهل البيت ».

(الفرقان) أخرج ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: « سئل عن قوله تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ قال: والذي نفسي بيده إنهم ليستكروهون في النار كما يستكروه التودد في الحائط ».

(القصص) أخرج البزار عن أبي ذر: « أن النبي ﷺ سئل: أيّ الأجلين قضى موسى؟ قال: أوفاهما وأبرهما، قال: وإن سئلت أيّ المرأتين تزوج؟ فقل الصغرى منها » إسناده ضعيف ولكن له شواهد موصولة ومرسلة.

(العنكبوت) أخرج أحمد والترمذي وحسنه وغيرهما عن أم هانئ قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وتأتون في ناديكُم المنكر﴾ قال: كانوا يحدفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فهو المنكر الذي كانوا يأتون.

(لقمان) أخرج الترمذي وغيره عن أبي أمامة: «عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ الآية» إسناده ضعيف.

(السجدة) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أحسنَ كُلِّ شيءٍ خلقه﴾ قال: أما إن است القردة ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها».

وأخرج ابن جرير عن معاذ بن جبل: «عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قال: قيام العبد من الليل.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس: «عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: جعل موسى هدى لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ قال: من لقائه موسى ربه».

(الأحزاب) أخرج الترمذي عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طلحة ممن قضى نحبه».

وأخرج الترمذي وغيره عن عمرو بن أبي سلمة وابن جرير وغيره عن أم سلمة: «أن النبي ﷺ دعا فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً لما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجلبهم بكساء وقال: والله هؤلاء أهل بيتي، فأذهب الرجس وطهرهم تطهيراً.

(سبأ) أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس: « أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم أرض ؟ فقال: بل هو رجل ولد له عشرة، فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة .»

وأخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً قال: « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: ﴿ كأنه سلسلة على صفوان ﴾ فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا - الذي قال - الحق وهو العلي الكبير .»

(فاطر) أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري: « عن النبي ﷺ قال في هذه الآية: ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة .»

وأخرج أحمد وغيره عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال الله ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ ، فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يجسسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ الآية .»

وأخرج الطبراني وابن جرير عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: « إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين، وهو العمر الذي قال الله: ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ .»

(يسر) أخرج الشيخان عن أبي ذر قال: « سألت رسول الله ﷺ عن قوله:

﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: مستقرها تحت العرش». وأخرج عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله: ﴿والشمسُ تجري لمستقرِّ لها﴾.

(الصفات) أخرج ابن جرير عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿حور عين﴾ قال: العين: الضخام العيون شفر الحوراء مثل جناح النسر، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿كأنهن بيضٌ مكنون﴾ قال: رقتهن كرقعة الجلدة التي في داخل البيضة التي تلي القشرة». قوله شفر هو بالفاء مضاف إلى الحوراء، وهو هذب العين، وإنما ضبطه وإن كان واضحاً لأنني رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحفه بالقاف وقال: الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر: يعني في الخفة والسرعة، وهذا كذب وجهل محض وإلحاد في الدين وجراءة على الله وعلى رسوله.

وأخرج الترمذي وغيره عن سمرة «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وجعلنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال: حام وسام ويافت». وأخرج من وجه آخر قال: سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبو الروم.

وأخرج عن أبي بن كعب قال: «سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون﴾ قال: يزيدون عشرين ألفاً».

وأخرج ابن عساكر عن العلاء بن سعد: «أن رسول الله ﷺ قال يوماً لجلسائه: أطت السماء وحق لها أن تئط، ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك راكم أو ساجد، ثم قرأ: ﴿وإننا لنحنُ الصافون وإننا لنحنُ المسبِّحون﴾.

(الزمر) أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم عن عثمان بن عفان: «أنه سأل رسول

الله ﷺ عن تفسير: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ فقال: ما سألتني عنها أحد قبلك، تفسرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، استغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، الأول الآخر الظاهر الباطن، بيده الخير يحيي ويميت» الحديث غريب، وفيه نكارة شديدة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن أبي هريرة: «عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا؟ قال: هم الشهداء.»

(غافر) أخرج أحمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حبان عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.»

(فصلت) أخرج النسائي والبزار وأبو يعلى وغيرهم عن أنس قال: «قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قد قالها ناس من الناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها.»

(جمعق) أخرج أحمد وغيره عن عليّ قال: «ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله وحدثنا به رسول الله ﷺ؟ قال: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ وسأفسرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم، والله أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوهِ.»

(الزخرف) أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ

لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴿١﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول: ﴿ لو أن الله هداني لكنت من المتقين ﴾ ، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول: ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ فيكون له شكر . » قال: وقال رسول الله ﷺ: « ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، فالكافر يرث المؤمن: منزله من النار ، والمؤمن يرث الكافر: منزله من الجنة ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وتلك الجنة التي أوردتكموها بما كنتم تعملون ﴾ . »

(الدخان) أخرج الطبراني وابن جرير يسند جيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال » له شواهد .

وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي ﷺ قال: « ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل منه عمله وكلامه ، فإذا مات فقداه وبكيا عليه ، وتلا هذه الآية: ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ » وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملاً صالحاً تبكي عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدتهم فتبكي عليهم .

وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ: « ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ ثم قال: إنها لا يبكيان على كافر . »

(الأحقاف) أخرج أحمد عن ابن عباس: «عن النبي ﷺ: ﴿أو أثاره من علم﴾ قال: الخط».

(الفتح) أخرج الترمذي وابن جرير عن أبي بن كعب: «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ قال: لا إله إلا الله».

(الحجرات) أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: «قيل يارسول الله ما الغيبة؟ قال: ذكرت أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

(ق) أخرج البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول هل من مزيد، حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط».

(الذاريات) أخرج البزار عن عمر بن الخطاب قال: ﴿الذاريات ذرواً﴾ هي الرياح: ﴿فالجاريات يسراً﴾ هي السفن ﴿فالمقسمات أمراً﴾ هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قلته.

(الطور) أخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمانهم ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ الآية».

(النجم) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ ثم قال: أتدرون ما وفى؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال وفي عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار».



وأخرجنا عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم لِمَ سَمِيَ اللهُ إبراهيمَ خليله الذي وفَى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ حتى ختم الآية».

وأخرج البغوي من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب: «عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ قال: لا فكرة في الرب» قال البغوي: وهو مثل حديث: «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله».

(الرحمن) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء: «عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين». وأخرج ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب والبزار مثله من حديث ابن عمر.

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنتيهما وما فيها، وجنتان من ذهب آنتيهما وما فيها».

وأخرج البغوي عن أنس بن مالك قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ وقال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة؟».

(الواقعة) أخرج أبو بكر النجاد عن مسلم بن عامر قال: «أقبل أعرابي فقال: يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، قال: وما هي؟ قال: السدر، فإن له شوكة مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: أليس يقول الله: ﴿فِي سَدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة» وله شاهد من حديث ابن عبد السلمى، أخرجه ابن أبي داود في البعث.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة

يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ في ظل ممدود ﴾ .

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري « عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينها خمسمائة عام .»

وأخرج الترمذي عن أنس قال: « قال رسول الله ﷺ: ﴿ إنا أنشأنهنّ إنشَاءً ﴾ عجائز كنّ في الدنيا عمصاً رمصاً .

وأخرج في الشامل عن الحسن قال: « أنت عجوز فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، فولت تبكي، قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله يقول: ﴿ إنا أنشأنهنّ إنشَاءً فجعلناهنّ أبقاراً ﴾ .» وأخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: « قال رسول الله ﷺ: ﴿ عُرْباً ﴾ كلامهن عربي .»

وأخرج الطبراني عن أم سلمة قالت: « قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ حُورٌ عِينٌ ﴾ قال: حور: بيض، عين: ضخام العيون، شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر. قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ قال: صفاؤهن كصفاء الدرّ الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي. قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ قال: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه. قلت: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ قال: رقتهن كركة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر. قلت: أخبرني عن قوله: ﴿ عُرْباً أتراباً ﴾ قال: هن اللواتي قبضهن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى ﴿ عرباً ﴾ متعشقات محبيات ﴿ أتراباً ﴾ على ميلاد واحد .» وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿ ثلثة من الأولين

وثلة من الآخرين ﴿ قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعاً من أمتي».

وأخرج أحمد والترمذي عن علي قال: «قال رسول الله ﷺ: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ يقول شكرم: ﴿إنكم تكذبون﴾ يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا».

(المتحنة) أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن جرير عن أم سلمة «عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ولا يعصيتك في معروف﴾ قال: النوح».

(الطلاق) أخرج الشيخان «عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ منه، ثم قال: ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها طاهراً قبل أن يمسه فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾».

(ن) أخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم والحوت، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ن والقلم﴾ والنون: الحوت، والقلم: القلم». وأخرج ابن جرير عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «ن والقلم وما يسطرون» لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة» قال ابن كثير: مرسل غريب.

وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ «تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقضماً، فكان للناس ظلوماً. قال: فذلك العتلّ الزنيم» مرسل له شواهد. وأخرج أبو يعلى وابن جرير بسند فيه مبهم عن أبي موسى «عن النبي ﷺ: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: عن نور عظيم، يهرون لله سجداً».

(سأل) أخرج أحد عن أبي سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ما أقول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا» .

(المزمل) أخرج الطبراني «عن ابن عباس عن النبي ﷺ: ﴿فاقرءوا ما تيسرَ منه﴾ قال: مائة آية» قال ابن كثير: غريب جداً .

(المدثر) أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «الصعود: جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي به كذلك» .

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي عن أنس قال «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ فقال: قال ربكم: أنا أهل أن اتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له» .

(النبأ) أخرج البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً» والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون .

(التكوير) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريد بن أبي مريم عن أبيه «أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ قال: كورت في جهنم ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ قال: في جهنم» . وأخرج عن النعمان بن بشير «عن النبي ﷺ: ﴿وإذا النفوس زوّجت﴾ قال: القرناء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله» .

(الانفطار) أخرج ابن جرير والطبراني بسند ضعيف من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ قال له: ما ولد لك؟ قال: ما عسى أن يولد لي؟ إما غلام أو جارية، قال: فمن يشبه؟ قال: من عسى أن

يشبه؟ إما أباه وإما أمه، فقال النبي ﷺ: مه، لا تقولنّ هذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت: ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ قال: سلكك ».

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « إنما ساهم الله الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء ».

(المطففين) أخرج الشيطان عن ابن عمر « أن النبي ﷺ قال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه ». وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في القرآن ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ».

(الانشقاق) أخرج أحمد والشيخان وغيرها عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب عذب » وفي لفظ عند ابن جرير « ليس يحاسب أحد إلا عذب » قلت: أليس يقول الله: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ قال: ليس ذلك بالحساب، ولكن ذاك العرض. وأخرج أحمد عن عائشة قالت: « قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ هلك ».

(البروج) أخرج ابن جرير عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة، وشاهد: يوم الجمعة، ومشهود: يوم عرفة » له شواهد. وأخرج الطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور، لله تعالى فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعزّ ويذل

ويفعل ما يشاء» .

(الأعلى) أخرج البزار عن جابر بن عبد الله « عن النبي ﷺ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مِنْ تَزَكَّى ﴾ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله: ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ قال: هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها» .

وأخرج البزار عن ابن عباس قال: « لما نزلت: ﴿ إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ قال النبي ﷺ : كان هذا أو كل هذا: ﴿ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ .»

(الفجر) أخرج أحمد والنسائي عن جابر عن النبي ﷺ قال: « إن العشر: عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر» قال ابن كثير: رجاله لا بأس بهم وفي رفعه نكارة.

وأخرج ابن جرير عن جابر مرفوعاً « الشفع اليومان، والوتر اليوم الثالث» . وأخرج أحمد والترمذي عن عمران بن حصين: « أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال: الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر» .

(البلد) أخرج أحمد عن البراء قال: « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: أعتق النسمة وفك الرقبة، قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: إن عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها» .

(والشمس) أخرج ابن أبي حاتم من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس: « سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ أفلحت نفس زكاهها الله تعالى» .

(ألم نشرح) أخرج أبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن ابن سعيد عن رسول

الله ﷺ قال أتاني جبريل فقال: إن ربك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي».

(الزلزلة) أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ يتحدثُ أخبارها﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا».

(العاديات) أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة قال: «قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الإنسان لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ قال: الكنود الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفته».

(أهلام) أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم مرسلًا، قال: «قال رسول الله ﷺ: ﴿أهالكُم التكاثُرُ﴾ عن الطاعة: ﴿حتى زرتُم المقابر﴾ حتى يأتيكم الموت».

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله قال: «أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبًا وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: هذا من النعيم الذي تُسألون عنه». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود «عن النبي ﷺ: ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ قال: الأمن والصحة».

(الهمزة) أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة «عن النبي ﷺ: ﴿إنها عليهم موصدة﴾ قال: مطبقة».

(أرايت) أخرج ابن جرير وأبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص قال: «سألت رسول الله ﷺ عن: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها».

(الكوثر) أخرج أحمد ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة » له طرق لا تحصى.

(النصر) أخرج أحمد عن ابن عباس قال: « لما نزلت ﴿ إذا جاء نصرُ الله والفتح ﴾ قال رسول الله ﷺ : نعتت إلي نفسي ».

(الإخلاص) أخرج ابن جرير عن بريدة لا أعلمه إلا رفعه قال « الصمد: الذي لا جوف له ».

(الفلق) أخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « الفلق: جبّ في جهنم مغطى » قال ابن كثير: غريب لا يصح رفعه. وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن عائشة قالت: « أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال: تعوذني بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب ». وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة « عن النبي ﷺ : ﴿ ومن شرّ غاسقٍ إذا وقب ﴾ قال: النجم الغاسق. قال ابن كثير: لا يصح رفعه.

(الناس) أخرج أبو يعلى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، أي سكن، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس ».

★ ★ ★

فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المصرّح برفعها صحيحها وحسنها وضعيفها ومرسلها ومعزلها، ولم أعول على الموضوعات والأباطيل. وقد ورد من المرفوع في التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها.



**أحدها:** الحديث في قصة موسى مع الخضر، فيه تفسير آيات من الكهف وهو في صحيح البخاري وغيره.

**الثاني:** حديث الفتون طويل جداً في نصف كراس يتضمن شرح قصة موسى وتفسير آيات كثيرة تتعلق به، وقد أخرجه النسائي وغيره، لكن نبه الحفاظ منهم المزي وابن كثير على أنه موقوف من كلام ابن عباس، وأن المرفوع منه قليل صرح بعزوه إلى النبي ﷺ. قال ابن كثير: وكان ابن عباس تلقاه من الإسرائيليات.

**الثالث:** حديث الصور، وهو أطول من حديث الفتون، يتضمن شرح حال القيامة وتفسير آيات كثيرة من سور شتى في ذلك، وقد أخرجه ابن جرير والبيهقي في البعث وأبو يعلى ومداره على إسماعيل ابن رافع قاضي المدينة. وقد تكلم فيه بسببه وفي بعض سياقه نكارة، وقيل إنه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقاً واحداً.

وقد صرح ابن تيمية فيما تقدم وغيره بأن النبي ﷺ بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه، ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر أنه قال: من آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها. دل فحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

وأما ما أخرجه البزار عن عائشة قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد علمه إياهن جبريل. فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير، وأوله ابن جرير وغيره على أنها إشارات إلى آيات مشكلات أشكلن عليه، فسأل الله علمهن فأنزله إليه على لسان جبريل.

وقد منَّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثل المنيع المنال، الفائق بحسن

نظامه على عقود اللآل، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصر الخوال، أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل، وبينت فيه مصاعد يرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويتوصل، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل، فيه لباب المعقول وعباب المنقول وصواب كل قول مقبول، محضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها واقتطفت ثمرها وزهرها وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها، وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها وسبكت فقرها، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبت عنده الأعناق بتأ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى، على أي لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب، ولا أدعي أنه جمع سلامة، كيف والبشر محل النقص بلا ريب. هذا وإني في زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمعهم وأعماهم حب الرياسة وأصمهم، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه، يريد الإنسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيراً، ويبغى العز ولا علم عنده فلم يجد له ولياً ولا نصيراً:

أتمسي القوافل تحت غير لوائنا ونحن على أقوالها أمراء

ومع ذلك فلا نرى إلا أنوفاً مشمخرة، وقلوباً عن الحق مستكبرة، وأقوالاً تصدر عنهم مفتراة مزورة، كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم، كأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم، فالعالم بينهم مرجوم تتلاعب به

الجهال والصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان. وإيم الله إن هذا هو الزمان الذي يلزم فيه السكوت والمصير حلساً من أحلاس البيوت، ورقة العلم العمل لولا ما ورد في صحيح الأخبار « من علم علماً فكتمه أجمه الله بلجام من نار » والله در القائل:

ادأب على جمع الفضائل جاهداً وأدم لها تعب القريحة والجسد  
واقصد بها وجه الإله ونفع من بلغته ممن جد فيها واجتهد  
واترك كلام الحاسدين وبغيهم هملاً فبعد الموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع إلى الله جل جلاله وعزّ سلطانه، كما منّ بإتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله، وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله، وأن لا يخيب أملنا فهو الجواد الذي لا يخيب من أمّله، ولا يخذل من انقطع عن سواه وأمّ له، وصلى الله على من لا نبيّ بعده، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.



## فهرس الجزء الثاني

الصفحة	الموضوع
٥	النوع الثالث والأربعون: في المحكم والمتشابه
٣٥	النوع الرابع والأربعون: في مقدمه ومؤخره
٤٣	النوع الخامس والأربعون: في عامه وخاصه
٥٢	النوع السادس والأربعون: في مجمله ومبينه
٥٨	النوع السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه
٧٥	النوع الثامن والأربعون: في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض
٨٦	النوع التاسع والأربعون: في مطلقه ومقيدته
٨٨	النوع الخامسون: في منطوقه ومفهومه
٩٢	النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته
٩٩	النوع الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازته
١١٦	النوع الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعاراته
١٢٩	النوع الرابع والخمسون: في كنيائته وتعريضه
١٣٥	النوع الخامس والخمسون: في الحصر والاختصاص
١٤٨	النوع السادس والخمسون: في الإيجاز والاطناب
٢٠٩	النوع السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء
٢٣١	النوع الثامن والخمسون: في بدائع القرآن
٢٦٨	النوع التاسع والخمسون: في فواصل الآي

الصفحة

الموضوع

٢٩٢	النوع الستون: في فواتح السور
٢٩٦	النوع الحادي والستون: في خواتم السور
٢٩٩	النوع الثاني والستون: في مناسبة الآيات والسور
٣١٨	النوع الثالث والستون: في الآيات المشتبهات
٣٢٤	النوع الرابع والستون: في إعجاز القرآن
٣٤٨	النوع الخامس والستون: في العلوم المستنبطة من القرآن
٣٦٤	النوع السادس والستون: في أمثال القرآن
٣٧٠	النوع السابع والستون: في أقسام القرآن
٣٧٦	النوع الثامن والستون: في جدل القرآن
٣٨٣	النوع التاسع والستون: فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب
٤٠٣	النوع السبعون: في المبهمات
٤٢٣	النوع الحادي والسبعون: في أسماء من نزل فيهم القرآن
٤٢٤	النوع الثاني والسبعون: في فضائل القرآن
٤٣٨	النوع الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وفضائله
٤٥٠	النوع الرابع والسبعون: في مفردات القرآن
٤٥٩	النوع الخامس والسبعون: في خواص القرآن
٤٦٩	النوع السادس والسبعون: في مرسوم الخط وآداب كتابته
٤٨٩	النوع السابع والسبعون: في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه
٤٩٧	النوع الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه
٥٢٧	النوع التاسع والسبعون: في غرائب التفسير
٥٢٩	النوع الثمانون: في طبقات المفسرين